



جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية: السينما الأمريكية أنموذجاً

رؤى علي صالح أبوعاصي

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1439هـ / 2018م

الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية: السينما الأمريكية أنموذجا

إعداد: رؤى علي صالح أبوعاصي

بكالوريوس تسويق في جامعة بيرزيت ، فلسطين

المشرف: الدكتور أحمد رفيق عوض.

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الدراسات

الإسلامية المعاصرة / كلية الدراسات العليا في جامعة القدس

2018 / 1439 هـ



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج ماجستير الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية: السينما الأمريكية أنموذجاً

اسم الطالبة: رؤى علي صالح أبوعاصي
الرقم الجامعي: 21510115

المشرف: د. أحمد رفيق عوض

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 10 / 6 / 2018 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعاتهم:

- | | |
|----------|---|
| التوقيع: | 1- رئيس لجنة المناقشة: د. أحمد رفيق عوض |
| التوقيع: | 2- ممتحننا داخليا: د. أحمد داوود دعمس |
| التوقيع: | 3- ممتحننا خارجيا: د. شادي رضوان أبو عياش |

القدس - فلسطين

1439 هـ / 2018 م

الإهداء

إلى كل الصادقين قولاً وفعلاً، إلى روح الشهيد باسل الأعرج.

رؤى علي صالح أبوعاصي

إقرار

أقر أنا معدة هذه الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمت الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

رؤى علي صالح أبوعاصي

التاريخ: 2018/6/10.

شكر وتقدير

أتوجه بالاحترام والتقدير والشكر العميق للدكتور أحمد رفيق عوض على وقته وجهده الذي منحني إياه للاستفادة من علمه ونصائحه، وعلى إضاءته، وإشرافه لإثراء هذه الرسالة بملاحظاته القيّمة. وكما أتقدم بالمزيد من الامتتان والعرفان لجميع أساتذتي مع حفظ الألقاب في برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة في جامعة القدس أبوديس. وإني أعرب عن خالص حبي وامتتاني إلى عائلتي وإخوتي وأصدقائي على وقفهم الجادة إلى جانبي، وسعيهم الصادق والحثيث لدعمي ومساعدتي في إتمام رسالتي.

المخلص

تهدف هذه الرسالة إلى تسليط الضوء على أنماط صناعة الصور المقولبة وسياستها وسبل تشكيلها والخطر الحقيقي الناتج عن تشويهها بشكل متعمد، وذلك من خلال الكشف عن الصور النمطية للمسلم في السينما الأمريكية منذ الغزو الأمريكي على أفغانستان والعراق إلى عام (2018م)، التي تعود إلى دوافع فكرية وسياسية وتاريخية دينية منصاعة للصورة الاستشراقية للمسلم. إذ تناولت هذه الدراسة بعنوان "الصورة النمطية للمسلم في السينما الغربية: السينما الأمريكية أنموذجاً"، أهم أدوات واستراتيجيات التضليل والتشويه المتبعة إعلامياً في الغرب من خلال التطرق للصور النمطية المشوهة للمسلم في السينما الهوليوودية. وتظهر أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها، كمحاولة لتفكيك وفحص صورة المسلم كما تُقدمها السينما الأمريكية التي تعتبر من أهم المنابر المؤثرة في الوعي الجمعي العالمي.

ولتحقيق ذلك، اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي النوعي لقراءة وعرض مجموعة من الأفلام التي أنتجتها هوليوود منذ عام (2001-2018م) التي تتناول صورة المسلم كشخصية رئيسية أو ثانوية في مشاهدتها، وقد تم اختيار هذه العينة بعد مشاهدة مئة فيلم أمريكي هوليوودي أنتج بعد الغزو الأمريكي للعراق وأفغانستان. كما اعتمدت الدراسة على مجموعة من الأدبيات السابقة والملمة في هذا المجال مثل الرسالة السياسية لهوليوود: تفكيك الفيلم الأمريكي للدكتور إبراهيم علوش، ودراسة الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية للأستاذ جاك شاهين.

وقد توصلت الدراسة إلى أن هوليوود أساءت للعرب والمسلمين في معظم الأفلام التي أنتجتها ما بين عام (2001م-2018م)، والتي تم فيها التطرق للعرب والمسلمين سواء بطريقة مباشرة أو ضمنية. وكما قدمت السينما الأمريكية الشخصية المسلمة في اثنتي عشرة صورة، وقعت إحدى عشرة صورة منها في قالب الصور النمطية المشوهة والمزيفة، كصورة المسلم الإرهابي وصورة المسلم الهمجي. وقد ينبثق عن هذه الصور تصنيفات مرتبطة بها كالعنف والبدائية. وعلى الرغم من هذه الصور قدمت السينما الأمريكية في المقابل صوراً محسنة، ومغايرة عن المسلمين إلا أنها تبقى استثنائية مقارنة بما هو سائد.

وتوصي الدراسة بالاهتمام بتوعية العرب والمسلمين بضرورة مواجهة هذا التحدي بعيداً عن أي ممارسات قد تقاوم أزمة تشويه الواقع العربي والإسلامي. فلا بد من إنتاج صور بديلة ومضاعفة الجهود والاستثمارات لتفعيل دور السينما العربية الإسلامية عالمياً، وكذلك تأسيس مراكز أبحاث ومؤسسات عربية

إسلامية داخل الولايات المتحدة الأمريكية لتبادل الأبحاث والدراسات، مما يتيح فهما حقيقيا للواقع العربي الإسلامي، وبالتالي التحرر من أسر هذه الصور النمطية عند العوام من المشاهدين.

The stereotypical image of the Muslim in the western cinema: The American cinema as an example

Prepared by: Roua Ali Saleh Abuasi

Supervisor: Dr. Ahmad Rafeeq Awad.

Abstract

This study titled "The stereotypical image of the Muslim in the western cinema: The American cinema as an example" investigates the most important tools and strategies of misrepresentation and distortion used by the western media as it tackles the stereotypical and distorted images of the Muslims in Hollywood. The importance of this study stems from its attempt to deconstruct and examine the stereotypical images of the Muslim in the American cinema which is considered one of the most influential platforms on the global collective awareness. Hence, this study aims to highlight the patterns of the stereotypes industry, its' policies and ways of forming them as well. Therefore, this study seeks to reveal the stereotypes of Muslims in the American cinema since the American invasion of Afghanistan and Iraq to 2018, which are due to the intellectual, political, religious and historical motives influenced by to the Orientalist image of the Muslim.

To achieve this, the study adopted the qualitative analysis approach to read and overview a variety of Hollywood films in which Muslims were incorporated either as major or secondary characters. The films presented in this study were chosen after watching one hundred films released between 2001 and 2018. Also, the researcher referred to a variety of primary and important literature written in this field such as "The Political Message of Hollywood: Deconstructing the American Film" by Ibrahim Aloush and " Real Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a people" by Jack Shaheen.

The study concluded that Hollywood has vilified Arabs and Muslims in most of the films produced between 2001 and 2018, and in which Arabs and Muslims were addressed either directly or implicitly. The results also show that the American cinema has portrayed Muslims through twelve images eleven of which were distorted and fabricated images such as the terrorist Muslim and the barbaric Muslim. Related stereotypes emerge out of the previous images such as the image

of the violent and the primitive Muslim. In spite of these stereotypes, American cinema, on the other hand, offered positive images of the Muslims but they remain exceptional compared to what prevails.

The study recommends that Arabs and Muslims should increase their awareness towards the danger of distorting their Arab and Islamic reality and should face this challenge away from any practices that may otherwise exacerbate the crisis. Hence, it is necessary to produce alternative images and redouble the efforts and the investments in order to activate the role of the Arab-Islamic cinema worldwide as well as establishing Islamic research centers and institutions in the United States of America to exchange research and studies which allows more real understanding of the Arabs and Muslims and thus prevents these stereotypes from negatively affecting ordinary viewers.

المقدمة

تعتبر السينما بشكل عام والسينما الأمريكية بشكل خاص إحدى أهم وسائل الترفيه والإعلان والتوجيه المؤثرة التي تحظى بنسب مشاهدة عالية جدا في معظم دول العالم، ويتابعها الأفراد باختلاف أجناسهم وأعمارهم واهتماماتهم وميولهم نظرا لتنوعها واختلافها، وجودتها العالية فنيا وتقنيا. وتأتي هذه الأهمية والشعبية نتيجة للتطور التكنولوجي في هذا القرن من الزمان، وتحول المجتمعات إلى مجتمعات بصرية تعتمد على الصورة المتحركة أكثر من السطور والكلمات. وكما تعتبر السينما الأمريكية قوة جماهيرية عالمية، تشكل أساسا مهما في بلورة الوعي الجمعي لدى العامة، وأسلوبا دعائيا مهما لنقل وتشكيل الأفكار والمعتقدات التي تُوظف لخدمة الأيديولوجيا المسييسة أو المسيطر عليها اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا¹.

ويمكن القول: إن السينما الأمريكية لعبت بشكل خاص دورا مهما في التأثير على إدراك المشاهد ووعيه، فقد امتد أثر الصور السينمائية إلى تحديد وتشكيل الصورة الذهنية والنمطية² لديه في كل ما يدور حوله من أحداث ووقائع³، إذ ترتبط السينما الأمريكية بعلاقة عميقة بالواقع المعاش، وتعمل على توجيه العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لتصبح السينما الهوليوودية ظاهرة اجتماعية قادرة على اختراق الحواجز والمرجعيات البيئية والفكرية والجغرافية كافة.

وقد كان للولايات المتحدة الأمريكية نصيب الأسد في تشكيل هذه الصورة النمطية للعديد من القوميات والفئات، وخاصة الصور المشوهة عن الإسلام والمسلمين، إذ قامت باستغلال شعبية السينما والاستفادة من قوة تأثيرها بتوظيفها في صناعة العديد من الأفلام التي تتناول العربي والمسلم⁴، جاعلة منه خصماً واضحاً من أجل تحقيق مصالح سياسية أو اقتصادية تخدم سياسات الإعلام الأمريكي والمسيطرين عليه⁵. وكما تزداد خطورة هذه الأفلام بزيادة المكانة التي تحظى بها لدى المشاهد وبالقيم التي تبثها وتزرعها على مر العقود. وبالرغم من وجود بعض الأفلام التي تناولت الإسلام والمسلمين بشكل جيد إلا أنها قلة قليلة مقارنة بغيرها من الأفلام التي تناولت المسلم بالصورة الهمجية والرجعية والمتخلفة⁶.

¹ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص87.

²"الصورة النمطية أخص من الصورة الذهنية، لأن الصورة الذهنية قد لا تتحول إلى نمط، وذلك إذا ما سلمت من عيوب الاختزال، وظلت منفتحة وقابلة للنقد، والمراجعة، والزيادة".

³ينظر: إبراهيم أبو خظالة، الغول الجديد: التربية الخاطئة للغرب، ص241.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص247.

⁵ينظر: عبد الإله بلقزيز، الإعلام وتشكيل الرأي العام، ص314.

⁶ينظر: أحمد دعوش، ضريبة هوليوود، ص16.

وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى دراسة هذه الظاهرة في إطارها المكاني: هوليوود، وإطارها الزمني: ما بين عام (2001م) إلى عام (2018م)، إذ شكلت أحداث 11/9، وغزو أفغانستان عام (2001م) والعراق عام (2003م) منبعا مهما للعديد من الصور السينمائية في الأفلام الغربية والأمريكية، التي أثرت على صورة الإسلام وأتباعه في الوعي الغربي الأمريكي.

ولتسليط الضوء على أنماط الصور النمطية للمسلم في السينما الأمريكية، وكشف سياستها وسبل تشكيلها والخطر الحقيقي الناتج عنها، اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي النوعي لقراءة وعرض مجموعة من الأفلام التي أنتجتها هوليوود منذ عام (2001م-2018م) والتي تتناول صورة المسلم كشخصية رئيسية أو ثانوية في مشاهدتها، وقد تم اختيار هذه العينة بعد مشاهدة مئة فيلم أمريكي هوليوودي أنتج بعد الغزو الأمريكي للعراق وأفغانستان.

وكما اعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات السابقة والملمة في هذا المجال مثل الرسالة السياسية لهوليوود: تفكيك الفيلم الأمريكي للدكتور إبراهيم علوش، ودراسة الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية للأستاذ جاك شاهين، وكذلك اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع التي نشرت حول الموضوع مثل الإسلام والإعلاموفوبيا: الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف للمحجوب بن سعيد، وضريبة هوليوود: ماذا يدفع العرب والمسلمون للظهور في الشاشات العالمية لأحمد دعدوش.

وتتكون الدراسة من خمسة فصول: يتناول الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة، ويصف الفصل الثاني الصناعة السينمائية باعتبارها جزءا من عملية الاتصال الجماهيري، وقد تعرض هذا الفصل للسينما ونشأتها وتأثيرها، أما الفصل الثالث فقد أفرد للحديث عن السينما الأمريكية، والأساليب المتبعة لتشكيل مضامين الأفلام الهوليوودية، وأهم شركاتها العملاقة، لتنتقل الدراسة في الفصل الرابع لصورة المسلم في السينما الأمريكية، ومرجعيات صياغة هذه الصورة وأبعادها، أما الفصل الخامس فقد تناول عدة مختارات سينمائية أمريكية تناولت صورة الإسلام والمسلمين منذ عام (2001-2018)، لتختتم الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للدراسة

المبحث الأول: مشكلة الدراسة.

تلعب السينما باعتبارها أداة إعلامية جماهيرية عالمية دوراً قوياً في إثارة الآراء والأفكار، وتمير الرؤى والمعتقدات، ونقل الأحداث لدى المشاهد بشكل مباشر أو بشكل تدريجي غير مباشر، من خلال تصوير قضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة، لتجسد السينما بذلك جزءاً من الواقع المعيش، وتعمل على نقله في صور سينمائية إلى كافة شرائح المجتمع وفئاته، فتسهم تحت ظروف وعوامل مختلفة في تشكيل وعي الجمهور وتوجيهه باختلاف لغته وأفكاره وثقافته وعاداته وتقاليده¹.

تحلت السينما الأمريكية الهوليوودية بقدرتها على الجذب والترويج للعديد من الصور والقيم والرسائل المباشرة أو المبطنة، وكذلك بقدرتها على التأثير على المشاهد الذي قد يكون في حالة يقظة وإحاطة أو في حالة من اللاوعي والسبات². فتقدم بذلك السينما للمشاهد وجبة دسمة من الصور والمؤثرات التي تحمل

¹ينظر: جان ميثري، المدخل إلى علم جمال وعلم نفس السينما، ص79.

²ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص86.

رسائل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية قد تؤدي إما دورا إيجابيا في الارتقاء بحس المتفرج وعقله، أو دورا عكسيا سلبيا في التأثير الخامد وغير الفعال أو الهدّام.

تعد الصورة النمطية السلبية للإنسان العربي المسلم من أهم هذه الصور التي تتناقلها السينما الأمريكية وتروج لها من خلال أفلامها التي لم تترك بمؤثراتها وتقنياتها مجالا للتفكير. فقد قدمت السينما للمشاهد في أغلب الأحيان صورة استشراقية مشوهة للمسلم¹ من خلال سياق بصري ممتع جدا يجعل المشاهد يستقبل ما يراه باعتباره حقيقة لا تترك مجالا للتفكير أو التشكيك بها منكرين من خلالها فضل المسلمين على مر العقود، ومتجاهلين الفرق بين الإسلام والإرهاب، وبين المسلم والعربي، متغافلين عن المرجعية الحقيقية لديهم، مشددين على الدلالات التي تهدم ولا تبني. وقد استطاع إدوارد سعيد أن يكشف ذلك من خلال أعماله الكبرى مثل الاستشراق².

وبالرغم من أن الأهداف الاستعمارية القائمة على الإخضاع والاستيلاء تعتبر إحدى أهم أسباب تشكيل الصور النمطية للمسلم في السينما الأمريكية ومن أهم مكوناتها، إلا أن الجذور التاريخية للعداء والتعصب والجهل وسوء الفهم تجاه المسلمين لعبت أيضا دورا مهما في تكوين هذه الصور. وفي المقابل، لا تخلو مضامين بعض الأفلام السينمائية الأمريكية من بعض الصور المنصفة عن الإسلام والمسلمين إلا أنها تبقى استثنائية مقارنة بالقاعدة الأساسية³.

وبناء على ما سبق فإن مشكلة الدراسة تتمثل في أن صورة المسلم كما قدمتها السينما الأمريكية لا علاقة لها بالواقع الإسلامي، فهي صورة تخدم السياسات الاستعمارية والاستشراقية التي تشكل دورا مهما في تغذية النزاع والعداء القائم، والتأثير على الرأي والانطباعات العامة لدى العالم الغربي.

¹ينظر: أيمن يوسف، تنميط الإسلام في التصورات الغربية، ص128.

²ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص213.

³ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص149.

المبحث الثاني: أهمية الدراسة.

تتمثل أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

أولاً: تعتبر السينما ذات تأثير كبير على الجمهور، والسينما الأمريكية إحدى أهم هذه المنابر التي تؤثر على الوعي الجمعي العالمي إذ إنها تحظى بنسبة مشاهدة عالية جداً، فهي حاصلة على شعبية هائلة لتتبعها وجودتها العالية فنياً وتقنياً، ومن الضروري أن نتعرف على خصائص هذه السينما ومميزاتها.

ثانياً: تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول تفكيك الصورة النمطية للمسلم وفحصها وتحديدها كما تُقدّم في السينما الأمريكية.

ثالثاً: أصبح تحليل أبعاد هذه السينما وأسبابها ودوافعها لتشويه صورة المسلم ضرورة ملحة في ظلّ اتّساع جمهور الفضائيات.

رابعاً: ضرورة بلورة ردود إعلامية وفكرية على مثل هذه الصورة التي تشوه النظرة إلى المسلم.

خامساً: التركيز على إفرازات الغزو الأمريكي للعراق وأفغانستان، وأحداث (11 أيلول 2001)، وأثرها على صورة المسلم في السينما الأمريكية، ولتحقيق ذلك تناولت الدراسة عينة مختارة من الأفلام بعد مشاهدة مئة فيلم صدر بين عام (2001-2018م).

ونتيجة لذلك واستكمالاً للدراسات التي تناولت الصورة النمطية للمسلم والعربي في السينما الأمريكية في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين تحديداً، فقد كان من الضروري إجراء هذه الدراسة لتحقيق عدة أهداف ولإجابة عن التساؤلات التي تفرض نفسها بعيداً عن الاهتمام بجودة أداء المخرجين والممثلين ومستواهم، وبعيداً عن النقد الفني والتقني للأفلام والسينما الأمريكية. فتمتيز هذه الدراسة في أنها تتجاوز فكرة تقديم الانتقادات فقط وتتعداها لتطرح فهما عاماً للسياسيات الأمريكية ودورها في تشكيل المعرفة ونشرها من خلال التركيز على المؤسسة الهوليودية ورسالتها واستخدامها لأهم أدوات التشويه الإعلامي وهو التتميط، كما تتميز أيضاً بضمها لمجموعة من الصور النمطية المحددة للمسلم في السينما الأمريكية منذ عام (2001م إلى عام 2018م) في دراسة واحدة مقدمة بذلك طرحاً جديداً ومختلفاً للموضوع عن مثيلاتها من الدراسات التي اقتصرَت على تحليل أفلام معينة بمعزل عن سياق زمني ممتد.

المبحث الثالث: أهداف الدراسة.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة الشخصية المسلمة في الأفلام السينمائية الأمريكية وتوضيح معالمها وسماتها وملاحمها ودورها في تغذية العداء عند الغرب والتأثير على الرأي والانطباعات العامة لدى العالم الغربي.

ويتفرع عن هذا الهدف الرئيسي الأهداف الفرعية التي تتمثل في:

أولاً: المساهمة في فهم الطرف الآخر وسياساته في صناعة الصورة وتشكيلها، والتي قد تلعب دوراً محورياً ومجدياً في كثير من الأحيان في تشكيل الانطباعات والآراء والأفكار، وكذلك إقناع الذات ولفت الانتباه والتأثير عليها سواءً أكان التأثير إيجابياً أو سلبياً.

ثانياً: تقديم فهم واضح للعديد من الأفلام السينمائية الأمريكية التي تناولت صورة المسلم وعملت على تميطه واستثناء البعد الإنساني الخاص به في أفلامها من خلال تجريده من مرجعيته وأصله وحقيقته وإفراغه من كل شكل ومضمون، وذلك تلبيةً لأهداف بعض النماذج السياسية أو الاقتصادية وغيرها.

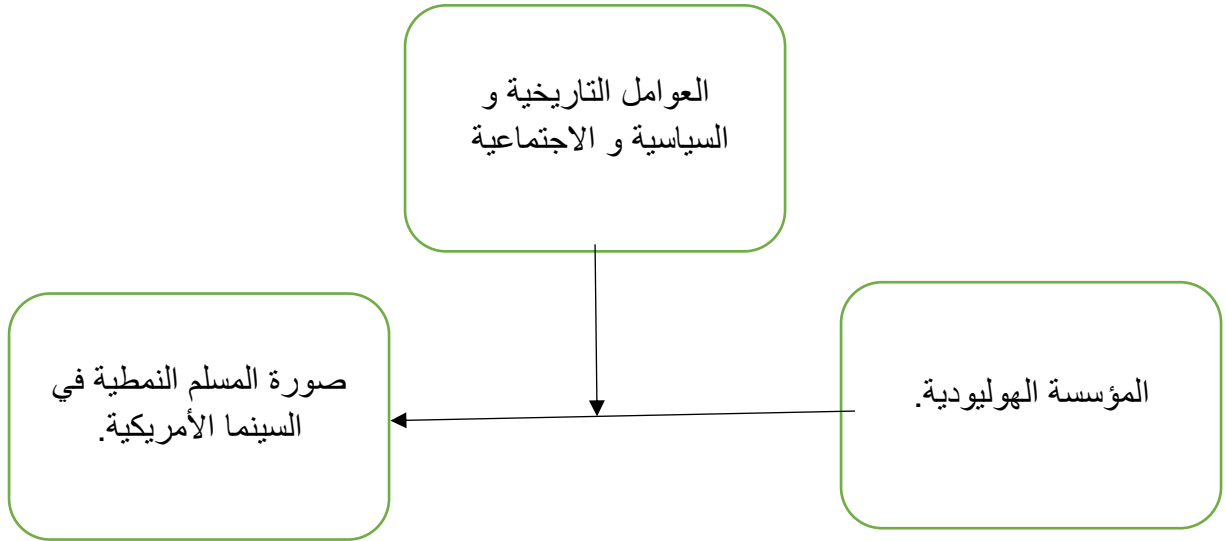
ثالثاً: إعادة برمجة تصوراتنا ومشاهداتنا وتطلعاتنا وإيجاد بدائل لها حول كل ما نشاهده من أفلام وصور متحركة وما نسمعه من أصوات، وكذلك المساهمة في توضيح الصورة المتفردة الخاصة بالمسلم حول العالم وتصحيحها، معتبرة الباحثة هذا الهدف أساساً لانتراع النفس من استعمال العقول واستعمارها وأداة للتمرد على روح القطيع.

المبحث الرابع: تساؤلات وفرضيات الدراسة.

تفترض هذه الدراسة أن السينما الأمريكية تقدم صوراً نمطية مشوهة للمسلم وذلك لدوافع فكرية وسياسية واقتصادية تهدف بشكل أساسي للسيطرة والإخضاع، وزعزعة الأمن والاستقرار، وأن هذه الصورة انصاعت للصورة الاستشراقية للمسلم كما سادت في القرن الثامن والتاسع عشر.

وبناء على هذه الفرضية فإن متغيراتها هي ذات المتغيرات التي اقترحها المفكر الفلسطيني الكبير إدوارد سعيد¹ في كتابه تغطية الإسلام، والتي توضح تأثير الإعلام الغربي على صورة العالم الإسلامي²، إذ توضح هذه النظرية عدة متغيرات، والتي تنطبق بالدرجة نفسها على المؤسسة الهولودية كجزء أساسي من الإعلام الغربي.

متغير مستقل	متغيرات وسطية	متغيرات تابعة
المؤسسة الهولودية	العوامل التاريخية و السياسية و الاستعمارية و الاجتماعية.	صورة المسلم النمطية في السينما الأمريكية.



و بناء على ذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الفرضية من خلال السؤال الرئيسي الآتي:

- كيف صورت السينما الأمريكية المسلم في أفلامها ؟

و يتفرع عنه الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي الصورة النمطة الراسخة في العقل الجمعي للغرب عن الإسلام

والمسلمين؟

2. كيف يتم صياغة هذه الصورة النمطة عن الإسلام والمسلمين في السينما

الأمريكية؟

¹ إدوارد وديع سعيد: من أبرز أعلام فلسطين، فهو ناقد و منظر أدبي فلسطيني، عمل أستاذا جامعا للغة الإنكليزية و الأدب المقارن في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية، و من الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية، و من أهم كتبه: الاستشراق و تغطية الإسلام.

² ينظر : إدوارد سعيد ، تغطية الإسلام، ص29.

3. هل تقع الأفلام السينمائية الأمريكية في مطب الإساءة إلى المسلم وقيمه ومبادئه؟
4. كيف تعاملت السينما الأمريكية مع قضية ما يسمى بالإرهاب؟
5. هل للإسلاموفوبيا دور في تشكيل هذه الصورة النمطية والقاتلية للإنسان المسلم؟

المبحث الخامس: منهج الدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي النوعي الذي يخدم أهداف الدراسة من حيث تفكيك وقراءة مضامين الأفلام السينمائية الأمريكية ومعرفة دوافعها وأسبابها، والبحث في دلالة وصورة الإسلام والمسلمين كما قدمتها الصور السينمائية التي أنتجتها وعملت على تسويقها هوليوود في مطلع القرن الحادي والعشرين. وتلبية لأهداف الدراسة اقتضى استخدام هذا المنهج الذي يتلخص في ثلاث عمليات أساسية مهمة، وهي التفكيك والنقد والاستنباط وذلك من أجل الوصول إلى معرفة جديدة تتعلق بتحليل وقراءة الأفلام السينمائية. فيوفر المنهج التحليلي فهما صحيحا للمقاصد والمصطلحات، وتعليلًا للظواهر المختلفة من خلال إرجاعها إلى أصولها وربطها بعلاها، واستنباط الأحكام والنتائج المرجوة بممارسة التأمل في أجزاء معينة بغية الوصول إلى فهم واسع وعميق للظاهرة المدروسة.¹

ولتحقيق ذلك تم اختيار عينة من الأفلام بعد مشاهدة مئة فيلم² روائي وتسجيلي غربي (إخراج، إنتاج، تسويق، تمثيل) أمريكي تناول المسلم العربي كشخصية رئيسة أو ثانوية منذ عام (2001م) إلى عام (2018م). ومن خلال هذه الأفلام لاحظت تكرار إحدى عشرة صورة نمطية رئيسة للمسلم، سأقوم بعرضها والصور غير النمطية من خلال اثني عشر فيلما تم اختيارهم بناء على مدى شهرتهم وتداولهم، وكذلك بناء على المؤسسات القائمة عليهم والممولة لهم وذلك للعلاقة التي تربط سياسات المؤسسات والسينما. وكما تنوعت العينة بين أفلام سياسية حربية ورومنسية ودرامية وكوميديية وإثارة وأكشن، وذلك للوصول لمعظم شرائح الأفلام السينمائية الهوليوودية، ساعية بذلك إلى الكشف عن معاني المحتوى والمصطلحات والكلمات والإشارات، ومحاولة الإفصاح عنها من أجل تفسير المشكلة المطروحة ودراستها وتحليلها وبيان دلالاتها ووصف مضمونها وصفا موضوعيا دقيقا بعيدا عن تحليل المحتوى كليا بالأرقام.

¹ينظر: سعيد التل، مناهج البحث العلمي، ص261 .

²ينظر: الملحق (1): قائمة الأفلام التي تمت مشاهدتها وتناولت صورة الإسلام والمسلمين.

المبحث السادس: الدراسات السابقة.

الأولى : دراسة بعنوان "صورة الإسلاميين على الشاشة" ، لأحمد سالم . (2014).

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الصورة السينمائية وكيفية توظيفها في خدمة الأيديولوجيا المسيية، وتحديدًا كيفية تصوير الإسلاميين في الشاشة الغربية والعالم العربي، ومدى أمانة ونزاهة هذه التغطية، وتدخل أهواء صانعيها ومصالح السلطات التي تقف خلفها في نقل ورصد صورة المسلمين في الأفلام السينمائية.

وتشير أهم نتائج هذه الدراسة إلى أن عملية توجيه الإدراك وتكوين الانطباعات الأولية تتم من خلال التضخيم والاستبعاد والعزل في وسائل الإعلام. إذ تتعرض صورة الإسلاميين على الشاشة إلى تنوع زائف من أجل الوصول إلى تهميط الإسلام في صورة تساعد على بناء الجدار العازل بين الإسلاميين وبين المجتمعات والشعوب. وكما أن الإسلام الذي يتماهى مع صانعي الصورة في مرتكزاتهم القيمية، ورغباتهم المصلحية ويستوفي القدر اللازم من قابلية التحديث وقابلية الهيمنة هو وحده الإسلامي المرضي عنه.

الثانية: "الرسالة السياسية لهوليوود : تفكيك الفيلم الأمريكي" ، للدكتور إبراهيم علوش. (2013).

تهدف هذه الدراسة إلى نشر وعي سينمائي نقدي سياسي وثقافي، من خلال تشريح هوليوود من منظور الاقتصاد السياسي والهيمنة الثقافية اليهودية عليها بصفتها قلعة يهودية تسعى لقلبة المجتمع الغربي نفسه، لا العربي فحسب. وكما تسعى هذه الدراسة لنشر هذا الوعي النقدي الحزق من خلال قراءة أكثر من خمسين فيلما هوليووديا تتطرق لمواضيع ذات صلة بالعرب والمسلمين في السنوات الأخيرة من رئاسة جورج بوش الابن، وبداية رئاسة باراك أوباما. كما يحلل الباحث هذه الأفلام ويضعها في سياقها الأعم من خلال تنظيرها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.

وتشير أهم نتائج هذه الدراسة إلى أن المفاهيم والقيم والرسائل السياسية التي تروج لها هوليوود خطيرة جدا، فالاختراق السياسي والثقافي لا يبدو للعيان أكثر خطورة بكثير من التعارض بين عاداتنا وتقاليدنا وبعض ما يعرض في تلك الأفلام، إذ تكمن قوة هذه الصور السينمائية الهوليوودية في قدرتها على الجذب والاستقطاب أكثر من غيرها، مما يتوجب علينا التحول من مستهلكين للإنتاج الثقافي إلى ناقدين واعين له، من خلال امتلاك حس نقدي تحليلي سينمائي فطن.

الثالثة: دراسة "الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية" ، للأستاذ جاك شاهين. (2011)

يعدّ هذا الكتاب موسوعة من الأفلام التي قدمت العرب والمسلمين بصورة نمطية مشوهة، إذ تناول جاك شاهين في هذه الدراسة ما يزيد عن 900 فيلم أمريكي أظهر صورة العرب والمسلمين من عصر السينما الصامتة إلى عصر الأفلام المتقدمة. وكما أكد الباحث في هذه الدراسة على أن الإدارة السياسية والعسكرية والسينما في أمريكا وجهان لعملة واحدة، وأن كل منهما يؤثر في الآخر، فالسياسة تؤكد تشويه صورة العربي، أما السينما فتعطي ذرائع لهذا التشويه.

وتشير أهم نتائج هذه الدراسة إلى أنه على مدار سنوات عملت هوليوود على تصوير أمة كاملة بأنها شريرة، فلم يجد الباحث إلا اثني عشر فيلماً يقدم صورة ايجابية للشخصية العربية، بينما قدمت البقية الكاسحة صورة شديدة السلبية والوحشية والعوانية، معتبرة العربي العنيف مصدراً للقلق والتهديد والخطر الحقيقي.

الرابعة: "صورة الإسلام في الإعلام الغربي" لمحمد بشاري. (2004)

تأتي أهمية هذا الكتاب لعرضه نماذج لبعض الصور المشوهة للإسلام والمسلمين في الإعلام الفرنسي والألماني والبريطاني، التي لا تختلف عن باقي الصور المتمثلة في عقلية باقي أفراد الدول الأوروبية. فصورة العربي المسلم لا تخرج من إطار كونه الإنسان الإرهابي والمتخلف أو البدائي أو الشهواني الخسيس، وقد أسهم تعزيز هذه الصور وتشكيلها في بلورة العديد من القناعات والآراء المغلوطة في العقول الغربية. فالإسلام من وجهة نظر هوليوودية يشكل تهديداً للثقافة الغربية ويحاربها، والدين يستخدم كغطاء سياسي لتحقيق أهدافهم الخفية والإرهابية ضد الغرب، وغيرها العديد من الصور غير السوية.

ويؤكد الباحث على دور الأفلام الأمريكية الهوليوودية في تشكيل هذه الصورة النمطية المشوهة للعربي والمسلم لدى الغرب من خلال إنتاج العديد من الأفلام المعادية والتي تحمل صوراً مشوهة، كالأفلام التي تناولت الإسلام كديانة لا تؤمن بالمسيح، ولا تؤمن بالتعددية، وأنه دين عنف واضطهاد وإرهاب، وأنه انتشر بحد السيف. وكما أشار الباحث إلى ضرورة تعرف العالم الغربي على الإسلام من منبعه الأصلي والنقي بعيداً عن التحريف والتشويه السائد في السينما الغربية، وذلك في ظل تزايد اهتمام الغرب بالإسلام مع زيادة الحروب والاعتداءات.

الخامسة: دراسة "التربية الخاطئة للغرب - كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام لدوغلاس كيلنر. (2005).

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على سوء الفهم والتحريف اللذين عملت على بلورتهما المؤسسات الإعلامية والتربوية الغربية تجاه الإسلام، وتوضيح إسهاماتها في تأصيل حالة العداء بينهما ودفعها إلى الذروة، من خلال التقصي والبحث في كيفية قيام هذه المؤسسات التربوية الإعلامية بإيجاد سياسات معادية للإسلام والمسلمين.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن العلاقة بين الشرق والغرب انتابتها على مر السنين حالات العداء والحروب، وأن المؤسسات الإعلامية قامت بتزكية هذا العداء وتعزيزه، وكذلك سعت لتعبئة الغرب على كراهية الإسلام والمسلمين، من خلال مساهمتها في نقل صورة مشوهة عن الإسلام وتضليل المشاهد الغربي وتحريف فهمه.

السادسة: الإرهاب و السينما جدلية العلاقة وإمكانيات التوظيف، كتاب أصدرته دار النشر "مدارك" لعدد من الباحثين. (2010)

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الجدلية والملتبسة بين السينما والإرهاب، كما تهدف إلى فهم أدق وأشمل للمهتمين والنخب وصناع القرار، لتحفيزهم على مقارنة مواضيع الإرهاب الحساسة ذات الأبعاد المختلفة بموضوعية وتوازن وإبداع، بعيدا عن حسابات المصالح والرؤى المعدة سلفا.

وتشير أهم نتائج هذه الدراسة إلى أن الشاشة تلعب دورا كبيرا في صياغة الفهم الجمعي لخلفيات الإرهاب وأهدافه، وأن العرب اليوم أمام تحد حضاري كبير ولا بد لهم من أن يتعاملوا معه بالمستوى الذي يعيد إلى منظومتهم الفكرية مكان الصدارة بين الأطروحات الفكرية والثقافية.

اهتمت هذه الدراسات السابقة بتناول الصور السينمائية، وعوامل تشكيلها وأثرها في تشكيل الوعي الجمعي إزاء العرب والمسلمين، من خلال رصد أبرز الأفلام السينمائية الغربية التي تناولت صورتهم. فأفادت هذه الدراسات السابقة الدراسة الحالية في وضع أسئلة الدراسة، وكذلك التعرف على الجوانب التي تناولتها فيما يخص صورة المسلم الإيجابية أو شديدة العدائية في السينما الأمريكية، وفهم دورها الكبير في صياغتها ونقلها. ولكن تتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في البعد الذي تستخدمه في معالجة قضية الصور

النمطية وذلك باعتبار التتميط أحد أهم أدوات التشويه الإعلامي التي استخدمتها السينما الغربية الأمريكية تحديدا في نقل الصور النمطية للمسلمين من خلال الأفلام التي أنتجتها خلال فترة زمنية ممتدة من عام (2001م) إلى عام (2018م).

(الإطار النظري للدراسة) السينما باعتبارها جزءا من عملية الاتصال الجماهيري.

إن فهم السينما باعتبارها وسيلة مؤثرة من وسائل الاتصال الجماهيري، يفتح أمامنا تصورا عميقا، ووعيا راسخا لحقيقة أن السينما ليست وسيلة ترفيهية بحتة خالية من المعاني، فهي تلعب دورا مؤثرا في إرسال الرسائل الاجتماعية والسياسية، والإفصاح عن الكامن منها، وذلك في مختلف الظواهر والقضايا الحيوية والمهمة والملحة. فالصورة السينمائية تعد من أهم الوسائل تأثيرا وحضورا وإقناعا؛ إذ تتمتع بخصائص تضمن لها استقلالها الذاتي وأهمية تخول لها فرض نفسها مهما طرأ عليها من تغيرات أو أحداث.¹

ينظر البعض إلى السينما على أنها فن تركيبى، فهي تتكون من عدة عناصر متجانسة، كالأدب، والموسيقى، والتمثيل، وغيرها². أما إذا نظرنا للسينما كلغة فهي تتكون من عدة عناصر تعبيرية، تتمثل في البناء الدرامي الذي يكمن في سرد أحداث الفيلم وحبكته وتفاصيله. وأما الجانب التشكيلي فيشمل اللون والإضاءة والمكان والعديد من العناصر والتفاصيل التشكيلية للصورة السينمائية. وأخيرا المونتاج والمتمثل في مونتاج الصوت والصورة واللقطات والأحداث، فتجتمع هذه العناصر كافة لخلق مادة سينمائية تحمل رسالة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية معينة.³

¹ينظر: صالح أبو أصعب، الاتصال الجماهيري، ص24.

²ينظر: عدنان مدانات، بحثا عن السينما، ص14.

³ينظر: المرجع نفسه، ص51.

تعد السينما من أهم الوسائل فهما للمتلقي، كونها وسيلة سمعية بصرية تخاطب وتلامس أكثر الحواس الإنسانية حساسية وتأثراً بالمحيط. فتشكل هيبة الصوت والصورة المتحركة فاعلية أكثر تأثيراً من أي وسيلة اتصال وإعلام أخرى¹، وبذلك تحقق السينما مجموعة من التأثيرات والنتائج المتوقعة على معرفة المتلقي وسلوكه واتجاهاته سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو النظام الاجتماعي ككل، من خلال خلق صلة مستمرة مع الاهتمامات والقضايا الحيوية كافة في كل مكان. فللسينما قدرة على اختزال المسافات بين الشعوب والثقافات، لتشكل وسيلة التواصل العصري بينهم، وذلك في ظل شروط وظروف معينة.

ووفقاً لذلك تحتل الأفلام السينمائية أفضلية لدى الجمهور، فهي قادرة على ملامسة الواقع ومقارنته ومناقشة حياة الناس بشكل أكبر وأكثر تعبيراً، وإضاءة جوانب منسية أو مظلمة في مجتمع ما، وخلق أو إثارة مشاعر الجمهور تجاه مجموعة من المعاني. وفي المقابل قد تستخدم كأداة تشويه وتضليل للحقائق، حيث تشكل هذه المواد السينمائية قوة جماهيرية عالمية قادرة على التأثير على الرأي العام وصياغته وتشكيل الوعي الجمعي أو تشويبه باتباع أساليب متعددة ومتفاوتة وفي ظل ظروف وعوامل مختلفة تحكمها، وقد يزداد حجم هذا الأثر بتقدم المجتمع وتطوره.²

¹ينظر: المرجع نفسه، ص24.
²ينظر: عدنان مدانات، بحثاً عن السينما، ص21.

المبحث الأول: السينما تأثيرها ونشأتها

لا تعتبر السينما وليدة حقبة معينة، أو مكان محدد، إذ تم بلورتها خلال سنين عديدة، فهي تمثل نتاجا لتراكمات كانت بداياتها عدة محاولات لالتقاط وإعادة إنتاج الحركة منذ بدء الحضارة البشرية، فالصورة السينمائية هي صور ساكنة يمثل تعاقبها هذه الحركية، "ولا يحيط المشاهد بها في لحظتها، وإنما يحسها في مفاعيلها"¹. وقد كان إدوارد مويبردج فرنسي الأصل رائدا لهذه البدايات بحصوله على صور متعاقبة لمرحل ركض الحصان باستخدام كاميرات متتابعة، ومن ثم تطويره لكاميرا تعمل على التقاط اثنتي عشرة صورة خلال الثانية.² وبعد فترة من الزمن تم نقل التصوير إلى أبعاد أكبر من الصور الثابتة، ولا يذكر التاريخ من له الفضل في ذلك، ولكنه يبين الدور العظيم لمختبر أديسون في تحريك الكاميرا الثابتة³.

كان لتوماس أديسون ومساعدته وليم دكسون الفضل في صناعة كاميرا الصور المتحركة في عام (1889م) والتي أطلقوا عليها اسم "كينتوجراف". كما أنشأ أديسون استوديو خاصا مصنوعا من ورق القطران من أجل التصوير المتحرك الذي شكل أساسه في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قاموا بإنتاج العديد من الأفلام القصيرة على آلة عرض خاصة تسمى "كنتوسكوب" كانت منتشرة في الأماكن العامة، إذ تتيح هذه الآلة للمتفرج مشاهدة فلم قصير تستغرق مدته ثواني معدودة، وذلك من خلال النظر عبر ثقب أو عدسة زجاجية مكبرة تنقل له المشاهد مقابل أجر بسيط.⁴

عمل الأخوان أوجست ولويس لوميير بعد ذلك على تطوير آلة الكنتوجراف والكنتوسكوب معتمدين على التقنيات التي تعلموها من توماس أديسون، حيث قاموا بصناعة كاميرا أقل إزعاجا تعمل على طبع صور بدائية متحركة وعرضها بطريقة متقطعة، وأطلقوا عليها اسم "سينماتوجراف". وفي سنة (1895م) أنشأ الأخوان لوميير أول فيلم لهما بعنوان "مغادرة مصنع لوميير" الذي يعبر عنوانه عن محتواه، وفي كانون الأول من ذات السنة بدأوا في عرض الأفلام في مقهى خاص في باريس، ليكون فيلم "وصول قطار" من أهم أفلام لوميير، حيث تعلقت عيون المشاهدين بالمشاهد غير المألوفة لتفاصيل حركة القطار البخاري واقترابه من الشاشة بكل دهشة وخوف.⁵

¹جان ميترى، المدخل إلى علم جمال وعلم نفس السينما، ص200.

²ينظر: جون بتتر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، ص238.

³ينظر: المرجع نفسه، ص238.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص239.

⁵ينظر: المرجع نفسه، ص242.

كما ظهر للأخوين أفلام أخرى كـ"إطعام الطفل" والفيلم الكوميدي "لاروسير أروزيه" الذي أثار قبلة جديدة من الضحك نالت إعجاب الجماهير واستحسانهم، إذ ينقل الفيلم يوميات لبستاني يحمل خرطوم الماء، ليأتي طفل خلفه متسللا فيرتكز عليه حتى يتوقف تدفق الماء، فينظر البستاني في فوهة الخرطوم وفي نفس اللحظة يبتعد الطفل فجأة ليصيب الماء وجه البستاني، فتعم أصوات الضحك أرجاء صالة العرض لتلامس بذلك حركة الكاميرا حالتهم المزاجية، ومشاعرهم وأحاسيسهم.¹

ومع انتشار دور العرض السينمائية واتخاذها الأفلام وسيلة لتسليط الضوء على الرسائل السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية، باتت السينما منبرا مهما للفن والثقافة. ففي عام (1897م) أنشئت أول دار خصصت لعرض الأفلام السينمائية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت أماكن العرض تقتصر قبل ذلك على الدكاكين والمحلات من قبل الفنانين المتجولين، وعلى المسارح الشعبية التي كان لها دور في عرض الأفلام السينمائية إلى جانب عرض المنوعات الخفيفة حتى عام (1905م).²

وقد حفز وجود هذه المسارح وتزايدها إنتاج العديد من الأفلام السينمائية من أجل تغطية الطلب الكبير من قبل الجمهور، فقبل مضي عشر سنوات على افتتاح أول دار عرض سينمائية في الولايات المتحدة الأمريكية كان هناك أكثر من عشرة آلاف مسرح نيكيل أوديون³، إذ كانت رسوم دخولها نيكيل واحد وهو ما يعادل الخمس سنتات في العملة الأمريكية. وفي عام (1902م) أنشئ أول مسرح نيكيل في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي لندن افتتحت أول دار سينمائية ضخمة تعمل على عرض برنامج واحد لمدة ساعتين بالإضافة إلى الحفلات اليومية والأمسيات الموسيقية، مما أدى إلى تزايد الاستثمارات السينمائية المربحة، خاصة بعد بناء امبراطوريات سينمائية كبيرة انتشرت في أنحاء العالم كافة.⁴

أسهم العديد من المهتمين في المجالات السينمائية وأدواتها ومهاراتها بتقديم بصمات واضحة وعلامات فارقة في السينما، إلا أن التاريخ يذكر اثنين ممن كان لهما الأثر العظيم عبر العديد من الروائع السينمائية، كان أحدهما الفرنسي جورج ميلييه الذي بدأ في إنتاج الأفلام عام (1897م)، وبعد ذلك أصبح موزعا دوليا مشهورا، حيث قام بإنتاج العديد من الأفلام، أشهرها فيلم "رحلة إلى القمر"، وقد استخدم ميلييه بعض المؤثرات الخاصة والخدع التصويرية المناسبة من أجل إنتاج هذا الفيلم الخيالي الذي يتحدث عن رحلة الفضاء وأهل القمر. وأما الرائد الثاني في مجال السينما فهو إدوين. أس. بورتر، الذي أنتج أفلاما عديدة، كان أهمها فيلم "سرقة القطار الكبرى" الذي اشتهر بسبب تقديمه أسلوب القصة والحكاية للأفلام في

¹ينظر: جون بتتر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، ص242.

²ينظر: نجم شبيب، المدخل إلى السينما والراديو والتلفزيون، ص81.

³نيكل أوديون Nickelodean: قصد بها الدخول إلى القاعة مقابل النيكل.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص81.

مرحلة مبكرة من تاريخ السينما. فقد روى الفيلم قصة مكونة من أربعة عشر مشهداً، لمدة اثنتي عشرة دقيقة من خلال تقطيع مناظر ومشاهد مختلفة وتجميعها، وقد كان لذلك أثر كبير في عالم صناعة السينما، وفي الأفلام الصامتة ومجالات الإنتاج والتوزيع كذلك.¹

استمرت السينما الصامتة على مدار ثلاثين عاماً، وخلال هذه الفترة تألق العديد من النجوم، كتشارلي تشابلن، وجون باريمور، ودوغلاس فيرنباكس وغيرهم. وفي عام (1925م)، ومع ظهور الراديو عزف الناس عن حضور الأفلام السينمائية الصامتة، وفضلوا الاستماع على المشاهدة، مما أدى إلى إضافة أوركسترا في كل دار سينما من أجل المزج بين المؤثرات الصوتية والموسيقى مع كل عرض سينمائي. بدأت الحاجة للصوت تزداد، وبدأت إثر ذلك عمليات وتجارب معينة من أجل اعتماد نظام صوت محدد، فقد رفضت شركة وارنر برذرز (Warner Brothers) ما يقارب الأربعمئة عرض خلال عام (1925م)، حتى اعتمدت نظام فايدافون الذي نجح في تأثيره سينمائياً وتجارياً. كما قامت بعد ذلك شركة "فوكس" بتطوير تقنية ونظام الصوت باستغنائها عن الاسطوانات الشمعية، واعتمادها تسجيل الصوت على الفيلم مباشرة. وخلال فترة قصيرة جداً أنشئ أربعون أستوديو صوت من أجل استخدامهم وبشكل مكثف في إنتاج الأفلام.²

وفي بداية القرن العشرين، بدأ استخدام تقنيات أكثر تعقيداً وتطوراً وإبداعاً، وبذلك ظهر ديفيد وارنر جريفيت كأحد أفضل الموهوبين في إخراج الأفلام المتحركة وإنتاجها في تلك الفترة. فبعد إخراج عدة أفلام سينمائية بدأ تدريجياً باتباع آليات مختلفة في عمل الأفلام المتحركة، وذلك بعمل بروفات قبل التصوير، والعناية بتسلسل الأفلام وتتابع المناظر فيها، وكما عمل جريفيت على إضافة بُعد جديد لأعماله من خلال استعمال اللقطات القريبة والبعيدة ومن زوايا مختلفة ومرتفعة. وظهر ذلك في فيلمه الأول "مغامرات دوللي"، حيث أدرك جريفيت أهمية الزوايا المختلفة في اتخاذ اللقطات وأثرها على نقل الصور والمشاعر للمشاهدين، كما عمل جريفيت على استخدام أفلام أطول بالتخلص تدريجياً من استعمال الفيلم ذي بكرة واحدة، مما أتاح له القيام بتجارب أكبر. وقد جعل حرص جريفيت على تقنيات استعمال الكاميرا وتصميم المناظر والمونتاج منه مخرجاً مشهوراً في جميع أنحاء العالم.³

تعددت الأفلام السينمائية التي قام المبدع جريفيت بإنتاجها، إلا أن فلميه "مولد أمة" و"التعصب" قد شكلا ذروة نجاحه، تاركين أثراً عميقاً في تغيير المفهوم الكلي للأفلام إلى يومنا هذا. إذ يتحدث فيلم مولد أمة بأسلوب دراميكي عن تاريخ الولايات المتحدة خلال الحرب الأهلية، بالمقابل فقد تناول فيلم التعصب -

¹ينظر: جون يتنر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، ص244.

²ينظر: رياض عصمت، ذكريات السينما، ص74.

³ينظر: المرجع نفسه، ص247.

الذي لاقى نقدا لاذعا بأجزائه الأربعة- وجود الظلم على مرّ الزمان، من خلال تطرقه إلى نقل صور مدينة بابل وتسليمها لجيش أحشورش الفارسي، وصراع كهنة بعل وعشتار، وعصر المسيح والتآمر ضده، وصراع البرتوسانت والكاثوليك في فرنسا في عصر النهضة، وكذلك قتل الأطفال وسرقتهم في أمريكا المعاصرة، بالتالي برزت مواهب جريفيت العظيمة في تفاصيل هذه الأفلام التي ما زالت تعتبر أعمالا سينمائية فذة إلى يومنا هذا.¹

قد لا يكون جريفيت من ابتكر الطرق المناسبة لتركيب الأفلام وغيرها، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميته باعتباره أول من وضع قواعد النحو الأساسية للغة السينمائية من خلال عمل طويل منه. كما قام جريفيت بتطبيق المبادئ الأولية للإيقاع البصري على نحو منهجي في فلميه "ولادة أمة" و"التعصب"، إذ تعتبر هذه المبادئ نتاجا لحدسه العبقري وبحوثاته المستمرة، التي لم يتم دراستها والتعرف إليها إلا خلال العشرينيات²، وبتطبيق هذه القوانين والمبادئ يعتبر البعض بأن السينما ظهرت بإمكانياتها الفنية عام (1915م) وذلك مع ظهور فيلم "ولادة أمة".³

¹ينظر: رياض عصمت، ذكريات السينما، ص247.

²ينظر: جان ميترى، المدخل إلى علم جمال وعلم نفس السينما، ص203.

³ينظر: المرجع نفسه، ص212.

المبحث الثاني: السينما و تشكيل الوعي لدى المشاهد.

"الكاميرا تكذب دائما، تكذب بمعدل أربع وعشرين مرة في الثانية"¹ *براين دي بالما².

السينما شأنها شأن باقي وسائل الاتصال والإعلام، وباعتبارها إحدى المؤسسات الاجتماعية، تلعب دورا مهما وأساسيا في تكوين علاقة متشابكة وغنية مع الجمهور، فرغم اختلاف الأفلام ومستوياتها ونوعياتها وجمهورها إلا أنها تعمل على طرح الأسئلة وإثارة الأفكار الأساسية أو الثانوية، بشكل مباشر أو غير مباشر لدى الجمهور. وقد تتكون هذه التساؤلات نتيجة للعلاقة المترابطة بين الواقع والسينما، وإسقاطاته عليه، أو لحقيقة انعكاس صور الواقع المعاد تركيبه وبناءه في الأفلام السينمائية، وقد تكون نتيجة للطبيعة الفكرية الخاصة بالسينما، كالدلائل والرموز الموحية والمقاصد من وراء المشاهد والأحداث التي يتحكم بها المخرج والقائمون على العمل.³

يتعاضد هذا الدور للأفلام السينمائية في عصر الثقافة الرقمية وفي زمن تدفق الأفكار والمعلومات، واستحسان الجماهير لها، نتيجة اعتمادها بشكل أساسي على ثقافة الصورة، التي تبدو أنجح في التعبير عن الرسائل وأسرع في الانتشار وشد الانتباه والاستقبال. فالصورة تعتمد على حاسة البصر التي تلعب العين فيها دورا مهما في تلقي محتويات هذه الرسائل والاستسلام لها، وتهيئة المشاهد للاستقبال الفوري والآلي للصور من دون وعي أو إدراك حقيقي لها أو حتى بذل أي مجهود فكري تجاهها. "فالعين هي الشاهد الصادق، والصورة من منظور ثقافي تربوي تعني الحق"⁴، وبالتالي تقحم الصورة الفرد في حالة من حالات التبعية خاصة أنها تعمل على إثارة المشاعر والعواطف أكثر من تأثيرها على عملية إعمال العقل والتحليل والتحميص.⁵

وعلى الرغم من دور السينما الفعال في المجتمع باعتبارها إحدى وسائل الإعلام والاتصال، وأهميتها في طرح معاناة الناس وقضاياهم، وتأريخ الأحداث والوقائع، وكذلك أثرها الواضح على عمليات التوعية

¹ <https://www.theguardian.com/film/2016/jun/07/brian-de-palma-carrie-scarface-retrospective-documentary>

² براين دي بالما مخرج سينمائي أمريكي من أصل إيطالي، مختص في أفلام الإثارة يعتبر من مخرجي موجة هوليوود الجديدة. من أبرز أفلامه: "كاري"، و "جاهز للقتل".

³ ينظر: عدنان مدانات، بحثا عن السينما، ص22.

⁴ علي كنانة، إنتاج وإعادة إنتاج الوعي، ص35.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص24.

والتنشئة الاجتماعية والسياسية، والتربية، والتثقيف، إلا أنها في المقابل شكلت نافذة أساسية لتسريب الآراء المضللة والأفكار المغلوطة والمقولة بأساليب غير ملحوظة للطبقة المُستَغَلَّة وغير الواعية، وعملت كأداة لتزييف الوعي وتوجيهه وإعادة إنتاجه لتطويع الجماهير واستغلالها.¹

يتبع المضللون من وجهة نظر هيربرت شيلر في كتابه "المتلاعبون بالعقول" خمس أساطير لصياغة العقل والتأثير في الوعي:²

أ- "أسطورة الفردية والاختيار الشخصي"

فحقوق الفرد وحرية المطلقة ما هي إلا أسطورة ووهم كبير، إذ يعزز أصحاب هذه الأسطورة النزعة الفردية، من خلال تبنينهم مفهوم الحرية المطلقة والملكية الخاصة، التي تمكنهم من حيازة العديد من وسائل الإنتاج والترفيه، والتي قد تطالها اتهامات التضليل والإلهاء.

ب- "أسطورة الحياد"

إذ يزعم المضللون المتبنون لهذه الأسطورة بعدهم عن الحزبية، والمصالح الخاصة، وحرصهم على الظهور بمظهر المحايد، حيث إنه لا بد أن يؤمن الجمهور المستهدف بالحياد لتحقيق أثر التضليل الإعلامي بشكل أكبر وأكثر فاعلية، إلا أن إنتاج وسائل إعلامية بهذه الصفات أمر صعب، فالعمل الإعلامي هو عمل ذهني إنساني صيغ بناء على تراكمات وأدوات معرفية وثقافية ونفسية خاصة بالقائمين على العمل. فالموضوعية هنا وعدم الحياد ما هو إلا عنصر تسويقي مهم وقيمة مهنية مهمة لاستمالة عدد أكبر من المستهلكين والمتابعين.³

ت- "أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة"

يصر المضللون أن الطبيعة الإنسانية، ثابتة لا تتغير وكذلك العالم من حولهم، إذ تسهم هذه الأسطورة في إضفاء الشرعية على مبادئ أساسية مؤثرة في الواقع، وكذلك خلق صور نمطية للأفراد والمجتمعات، بالتالي خلق تفسيرات تؤدي إلى تبدل الإدراك والوعي لدى الجمهور المستهدف.

¹ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص81.

²ينظر: هيربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول، ص17.

³ينظر: عبد الإله بلقزيز، الإعلام وتشكيل الرأي العام، ص166.

ث- "أسطورة غياب الصراع الاجتماعي"

ينكر المضللون والمتحكمون في الوعي وجود الصراع الاجتماعي، من خلال سيطرتهم وتحريفهم للواقع الاجتماعي وتغييبه وتشتيت الانتباه عن الأحداث والقضايا الخطيرة فعلا، "فإن العالم غير المغطى إعلاميا سيبدو، وببساطة، وكأنه غير موجود".¹ كما يسعى المضللون إلى تسريب أيديولوجيات، وتصورات، وتصنيفات، في قوالب جذابة وملفتة، لقتل أي شرارة قد تؤدي إلى مقاومة الظلم الاجتماعي.

ج- "أسطورة التعددية الإعلامية"

ومع هذا التدفق الإعلامي الكبير، تعدّ أسطورة التعددية الإعلامية من أهم الأساطير الفعالة في توجيه العقول وتطويعها، ففي ظل تمتع وسائل الاتصال والإعلام بصبغة احتكارية بشكل عام يصبح تنوع الآراء وتعددتها من المهمات مستحيلة التحقق. فمهما كانت درجة صحة المواد الإعلامية، ومهما بلغ مستوى حسن النية إلا أنها تبقى متحيزة، نتيجة للإسقاطات الذاتية القائمة على المواقف الأيديولوجية لمرجعية القائمين عليها ورؤيتهم لها، وكذلك اعتمادها على أسس ومعايير مؤسساتية وغايات اقتصادية، كالأستمرارية والربح، التي تحول بينها وبين هذه التعددية والتنوع.

وكما يصفه باولو فريري² فإن تضليل عقول البشر يعتبر من أهم أدوات القهر³ التي تسعى لقتل أي محاولة محتملة لتغيير الظروف والأوضاع السائدة، وذلك عبر تمرير اللامرئي وترسيخه على أنه الحقيقة، وتعزيز العنف الخفي المضمّر، بكلمات وإيحاءات وتصرفات من شأنها أن تلحق خلافا في الأفراد والمجتمعات من قبل جهات تعسفية توائم أفعالها أهدافها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية⁴.

وقد استخدمت وسائل الاتصال والإعلام، كونها أهم المصادر التلقائية، والفوضوية التي اقتحمت حياة المشاهدين، وحولتهم إلى مستهلكين، لتكون ميدانا رئيسيا للتأثير على إدراك الناس للأمر وخلق تأثيرات معرفية ووجدانية وسلوكية، وذلك على مستويين:

¹ عبد الإله بلقزيز، الإعلام وتشكيل الرأي العام، ص164.

² (1921 - 1997) معلم برازيلي و صاحب نظريات ذات تأثير كبير في مجال التعليم.

³ ينظر: Paulo Freire، Pedagogy of the Oppressed، P.144.

⁴ ينظر: بيير بورديو، العنف الرمزي، ص7.

- المستوى الأول: اعتقال الصورة لعقل المتلقي، وقدرتها على فصله عن محيطه، وزجه في عالم خاص به.

- المستوى الثاني: يتطور المستوى الأول، ليصل إلى درجة التفاعل بين اللامرئي في الصور والعالم الباطني لدى الإنسان.

وكغيرها من وسائل الاتصال والإعلام أسهمت الصورة السينمائية في خلق هذا التأثير، وامتصاص رد الفعل الإنساني وطاقته من أجل التغيير، إذ قتلت لدى المشاهد قدرته على الاستثارة والاستجابة بعد أن بثت فيه حالة من الفتور، وأودت به إلى حالة من الخدر العقلي والأخلاقي والكسل الفكري، الذي يدفعه بعيدا وبشكل أساسي عن عملية التأمل والتفكر وإعمال العقل¹.

¹ينظر: هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، ص45.

المبحث الثالث: الصورة السينمائية وإشكالاتها.

المطلب الأول: الصورة السينمائية.

إنّ الصورة في الفيلم السينمائي عبارة عن مجموعة من الصور المتحركة المتعاقبة التي يصنعها المصور والمنتج، وهذه السلسلة من الصور يطلق عليها لقطة، ومجموعة اللقطات تكون مشاهد وأحداث وتفاصيل الفيلم السينمائي. يتحكم المصور والمخرج بصناعة هذه المشاهد والأحداث من خلال تحديد أطر وعناصر الصورة وترتيبها وضبطها، فأظهار براعة الإضاءة والظلال وتناسق الألوان وغيرها من العناصر يضمن صحتها كافة تجاه تحقيق أفضل تناسق وترابط ممكن لإيصال المعنى المرجو من المشهد. فكل صورة سواء أكانت على درجة من التعقيد أو البساطة تحمل قيمة فنية أو معنى معيناً يصنعه القائم عليها.¹

كما تتكون الصور السينمائية من لقطات قريبة، ومتوسطة، وبعيدة، وكل منها يأخذ زاوية نظر مختلفة يقوم المخرج بتحديدتها والتقاطها وتوزيع عناصرها، لتتنقل من خلالها معاني خاصة يفهمها المتخصص ويقرؤها العوام من الناس. فمثلاً تستخدم زاوية فوق مستوى النظر عادة لإعطاء الشخصية حجماً أكبر مما هي عليه، بهدف تعظيم القادة والزعماء، وأصحاب المناصب والقوة، وتسمى هذه اللقطة بزاوية العظمة، أما زاوية تحت مستوى النظر، فعادة ما تستخدم للتقليل من قدر الإنسان واحترامه وتسمى زاوية الاحتقار.² تعكس هذه العملية مدلولات توضح حقيقة الصورة السينمائية التي تجعلها متحيزة بطبيعتها، إذ إنها تنقل الوقائع والأحداث وتقوم بإعادة بنائها وتركيبها وتطويرها فيلماً في عالم مجسد ومؤطر، بعد إخضاعها لوجهة نظر المخرجين والمتخصصين إنطلاقاً من رؤيتهم ومرجعيتهم.

ومع ذلك فقد تكوّن هذه الصور والمشاهد السينمائية صوراً معبرة عن الواقع وقريبة منه، وقد تضيء جوانب منسية، أو مغيبة، من خلال توظيفها في قضايا فكرية، فلسفية، اجتماعية، سياسية أو اقتصادية. فالسينما لا تثبت بطبيعتها صوراً بمعناها التقني فقط، فقد تغدو حاملة للحقيقة، ومنطلقاً للتفكير بمعالجتها لقضايا حيوية ومتنوعة، وتداخلها كذلك مع الفكر والواقع، وقد تكون بالمقابل أداة يشوبها الضلال والتشويه، فخلف تلك الشاشات الناصعة تجري عمليات أكثر تعقيداً ودقة لإعادة صياغة المفاهيم والأفكار وفق أجندات

¹ينظر: جان ميثري، المدخل إلى علم جمال وعلم نفس السينما، ص77.

²ينظر: هيثم الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري، ص103.

خاصة.¹ ومع أن الأفلام السينمائية قد تحتضن النقيضين في مختلف جوانبها، غير أنها لا يمكن أن تحمل صورة متطابقة للواقع، فهي أقرب لتكون صورة ذاتية لا واقعية حقيقية.

تعتبر الأفلام السينمائية قوة ناعمة فتاكة صلدة تحاكي إلى حد كبير القوى العسكرية الصلبة في تأثيرها على الجمهور إذا تم استغلالها في الصراعات الأيديولوجية. ففي السبعينيات من القرن الماضي كان هناك ما يسمى السينما الثورية، والسينما الأمريكية اللاتينية، التي ساهمت في نشر أنماط وأفكار محددة من خلال أزياء ومواصفات الممثلين وأحاديثهم.² كما تم استغلال الصور السينمائية من خلال تعزيز مكانة القائمين عليها وتحسينها، عن طريق صناعة صورة مطمئنة لهم، ونقل الوقائع والأحداث التي تحيط بنا في أطر وزوايا محددة، فهي تعمل على بث وترويج القيم والأفكار وصناعتها بطريقة موجهة بتبنيها لعدة مفاهيم وأدوات مثل "تشكيل الصور الذهنية" و"صياغة الصور النمطية"³.

وقد برع الأمريكيان في صناعة الصورة الموجهة والمدروسة، وتوظيفها بما يتوافق مع مصالحهم وأهدافهم، خاصة في هذا العالم المليء بالصراعات والخلافات والتناقضات، وذلك باتباع استراتيجيات معينة لتوجيه الجمهور وتشكيل آرائه وبلورتها، وصناعة الصور والانطباعات والأفكار وترويجها ضمن آليات محددة، من خلال التركيز على الإعلام المرئي المتمثل في التلفاز والسينما، وتحديدًا هوليوود. وقد ظهر ذلك بتكريسهم اهتماما واضحا لها لتكون على قدر كبير من التقنية والحرفية والإغراء خاصة بعد ثورة الاتصالات والمعرفة والصورة،⁴ حيث أصبح أفراد المجتمع يبنون توجهاتهم وآراءهم وتصوراتهم ومعتقداتهم وسلوكهم من خلال كل ما يسمعون ويقرأون ويرون في وسائل الإعلام.⁵ ولعل صورة الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها المكونة اليوم تعود إلى الدراما والأفلام الأمريكية التي تعمل على بثها في العديد من الفضائيات والقنوات.

وقد ترك انتشار وسائل الاتصال والإعلام بمختلف أشكالها وامتدادها على نطاق واسع أثرا مهما في صناعة الصور ونقلها، وذلك لقدرتها الكبيرة على الاستمالة، والاستقطاب، ونقل الأخبار والأحداث في تغطية سريعة وفورية، وتقديم خلفيات تفسيرية لها، بشكل يتوافق والعصر الحالي الذي يتسم بالسرعة.⁶ وبذلك

¹ينظر: أيمن ندا، الصور الذهنية والإعلامية، ص132.

²ينظر: مازن عرفة، سحر الكتاب وفتنة الصورة، ص392.

³ينظر: رضوان بلخيري، العرب والمسلمون في السينما الأمريكية بعد 11 سبتمبر، 2033/43.

⁴ينظر: هيثم الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري، ص105.

⁵ينظر: محمد علي، صناعة الواقع، ص99.

⁶ينظر: أيمن ندا، الصور الذهنية والإعلامية، ص111.

فإن تحديد الصور السينمائية الموجهة وبنائها ونقلها من أهم العمليات الأساسية التي يسعى خلفها القائمون على العمل السينمائي، معتمدين على أهم أدوات صناعة الصورة وعلى عملية القولية والتميط.

المطلب الثاني: القولية وصناعة الصور النمطية.

"النمطية عبودية شفاقة لا يراها الإنسان"¹ ياسر حارب².

الصورة النمطية هي نسق من المعتقدات والتصنيفات والتصورات الشائعة الفردية أو الجماعية التي يشترك في حملها مجموعة من الناس تجاه أشياء وقضايا معينة أو حتى أفراد من نفس مجموعتهم أو من مجموعات أخرى. فعلى سبيل المثال قد توصف مجموعة بناءً على مظهرها الجسماني (اليهود لديهم أنوف كبيرة)؛ أو على أساس نسبة الذكاء (الزواج أغبياء)؛ أو على أساس سماتهم الشخصية (اليابانيون خبثاء)، وغيرها من الصور التي عادة ما تعبر عن معتقدات مبسطة وسطحية ومواقف عاطفية وغير دقيقة وقاصرة عن الاحتواء الكلي للموقف أو الحدث، ونادرا ما يكون لها صلة بمعرفة موضوعية أو حقيقية.³

يعتبر ولتر ليبمان⁴ (Lippmann) أول من استخدم مصطلح الصورة النمطية (Stereotyping) في كتابه الرأي العام، الذي صدر عام (1922م) ليعبر عن تصور ثابت لا يتغير، وقد استعاره ليبمان من عالم الطباعة، إذ تعني طباعيا صفيحة القالب التي تصف فيها حروف الطباعة. كما يرى ليبمان أن الإنسان يمتلك مساحة لتصوراته أوسع بكثير من مساحة إدراكه للأمور، فهو يصنع لنفسه صورة عن العالم الذي يعيش فيه وعن كل ما حوله بناء على مدركات ومفاهيم مسبقة اكتسبها من معظم المنظمات والمؤسسات التعليمية والتربوية، ليتكيف معها وينتقي منها ما يناسبه.⁵

وبذلك فهذه الصور قابلة للتطور تحصيلًا حاصلًا لتطور شبكة العلاقات الشخصية للفرد جنبًا إلى جنب مع تطور المصادر المحتملة لهذه الصور النمطية كالسينما والتلفاز والمجلات والكتب المدرسية ووسائل الإعلام والاتصال كافة، ففي بداية مراحل نمو الطفل قد يمتلك القدرة على تمييز هذه الصور ولكن مع عدم

¹ ياسر حارب، بيكاسو وستاريكس، ص20.

² ياسر حارب هو كاتب إعلامي من إمارة دبي، ومؤسس مشارك للمنتدى العالمي "منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة". تتصدر مؤلفاته قوائم الكتب، وآخرها كتاب "الخلع حذاءك".

³ ينظر: Rinehart، 'The Meaning of Stereotypes'، P.137.

⁴ والتر ليبمان: كاتب وصحفي ومعلق سياسي أمريكي (1889-1974).

⁵ ينظر: Lippmann، 'Public Opinion'، P.90.

قدرته على إطلاق الألقاب والأوصاف عليها، ومع تقدمه في العمر وتفاعله مع ما حوله يستطيع أن يكون أكثر تحديدا واتفقا مع المعتقدات النمطية للآخرين.¹

وقد يميل الأفراد بطبيعتهم إلى اللجوء لهذه التعبيرات الرمزية في الصورة النمطية لتحديد هويتهم الاجتماعية وتصنيفهم، ولتشكيل معنى موضوعيا للعالم من حولهم، كما أنها تُمكنهم من التفكير والعمل بطريقة مبسطة وبأسلوب لا يراعي التمايز، مما يوفر لديهم الوقت والجهد وعناء التفكير التحليلي اللازم لاتخاذ القرارات، ولتفسير المواقف والأحداث. وتكمن خطورة هذه الصور النمطية في إطلاقها أحكاما وتقييمات سلبية تنتزع من الآخرين شرعيتهم وأدبيتهم وتساهم في تشكيل العداء تجاههم. وقد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى نشوب حروب أهلية كان مصدرها تلك الصور النمطية السيئة تجاه الغير.² ويعبر ألبورت³ عن ذلك فيقول: "إذا استطعت أن أقسم ثلاثة عشر مليونا من مواطني بلدي تحت يافطة مبسطة تقول: الزنوج أغبياء، وقذرون، وذوو مستوى متدن، فإني بذلك أبسط حياتي بشكل كبير. عندها فقط وبكل بساطة أتجنبهم جميعاً؛ وما أسهل من ذلك"⁴.

ولأهمية الدور الذي تلعبه عملية التتميط على مستوى الفرد والجماعة فقد اهتمت وسائل الإعلام والاتصال كافة بها. إذ تخلق هذه الوسائل الانطباعات وتنقلها، وتقدم العاطفة على العقل والفكر في كل ما يراه المشاهد أمام التدفق السريع للرسائل على قنوات الإعلام والاتصال.⁵ ولذلك، تشكل هذه الوسائل مصدرا مهما وفعالا لتكوين الصور النمطية ونقلها، فهي تعمل على بناء الرسالة وتركيبها أو تأليفها، بحيث تكون مبسطة وسطحية لتناسب الجمهور العام. كما تعمل أيضا على توفير نوع من المصادقية والاحترافية في المحتوى المقدم للجمهور، وكذلك إبرازها وتضخيمها وتكرارها من خلال الوسائل كافة لتترسخ في الأذهان. ويتم تشكيل الصور باتباع عدة أساليب من أهمها:⁶

1- شخصنة المواقف والأحداث (Personalization)

¹ ينظر: Rinehart، 'The Meaning of Stereotypes'، P.139.

² ينظر: أيمن ندا، الصور الذهنية والإعلامية، ص91.

³ غوردون ألبورت هو عالم نفس أمريكي. كان ألبورت من أوائل علماء النفس الذين اهتموا بدراسة الشخصية، ودائما ما يشار إليه بأنه أحد من وضعوا أساس علم نفس الشخصية

⁴ Charles Stangor، 'Stereotypes and Prejudice'، P.27.

⁵ ينظر: نصر الدين العياضي، وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة، ص104.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص113.

ويتم ذلك بتصوير المواقف والأحداث بعد تجريدها من سياقها التاريخي، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، و شخصنتها من خلال ربطها بأفراد معينين أكثر من مجتمعات ومؤسسات، وذلك لصعوبة فهم الجمهور التحليل العميقة كافة، وسهولة متابعة المشخصن منها.

2- إضفاء الطابع الدرامي على المواقف والأحداث (Dramatization)

ويتم ذلك بتقديم الأحداث عن طريق قصص درامية تحتوي على شخصيات وحبكة وتفاصيل تجعل المواقف مثيرة، لإرضاء الاهتمامات العاطفية التي قد تثار.

3- تجزئة المواقف والأحداث (Fragmentation)

ويتم ذلك عن طريق فصل المواقف والأحداث وعدم الربط بينها وبالتالي يكون من الصعب إدراكها والإلمام بتفاصيل الحدث.

4- تنميط المواقف والأحداث (Normalization)

وذلك من خلال تقديم تفسيرات نمطية عادية للمواقف والأحداث.

ومن الواضح أن عمليات التنميط تتعارض في العديد من النواحي الهامة مع القيم الأساسية للنظام المعرفي والنظام التربوي والتعليمي القائم على التفكير السليم. ذلك أن هناك هدفين أساسيين من عملية التعليم القائمة على بناء الفرد والمجتمع، وهما إيصال المعلومات الموضوعية، وتطوير القدرة على التفكير المنطقي النقدي المبني على أساس الدلائل القوية والابتعاد عن التفكير الأحادي العاطفي.¹ لكن قد تنسف الصور النمطية هذه الأهداف وتعمل على تمييع الثقافة؛ فتكون سببا في إحداث صدمة معرفية لأصحابها، وللنظام المعرفي ككل من خلال الهزات غير المتوقعة، التي تتشكل بسبب العلاقة العكسية التي تتمتع بها الصور النمطية الثابتة وتمسك أصحابها بها، والواقع المتحرك، إذ تقف هذه الصور حائلا أمام مواكبة العصر وتقدم الواقع، مما يؤدي إلى إرباك ومفاجأة أصحاب هذه الصور نتيجة تغير الواقع وتبدله.²

ولعل إحدى الوظائف المهمة لعملية التنميط تكمن في إضفاء الشرعية على النظام القائم والدفاع عنه، وتقديم أطر تبريرية له ولعلاقات القوة والسيطرة والطاعة السياسية التي يتبعها، وكذلك للممارسات الجماعية التي تمارسها ولا يقبلها العقل والمنطق، كالتمييز العنصري واستخدام القوة ضد الأنظمة الأخرى.

¹ينظر: Rinehart، The Meaning of Stereotypes، P.139.

²ينظر: أيمن ندا، الصور الذهنية والإعلامية، ص96.

وتبرر الصورة النمطية ذلك من خلال تكوين رؤى ومشاعر زائفة بالأمن والأمان، وإحاطة هذه الأنظمة بهالة من الأهمية العالية والقدسية، فتعمل بذلك على قولبة الذوات البشرية تبعاً للأنظمة وسياساتها.¹

¹ينظر: المرجع نفسه، ص96.

المبحث الرابع: وسائل الاتصال والإعلام وتأثيرها في تشكيل الرأي العام.

حظي الرأي العام باهتمام واسع من قبل وسائل الاتصال والإعلام كافة، وذلك نتيجة التطورات التكنولوجية والعلمية الراهنة التي أدت إلى تنوع هذه الوسائل وانتشارها عالميا متجاوزة العديد من الحواجز الجغرافية، والسياسية، والثقافية بين الدول والشعوب . وقد أدى ذلك إلى زيادة عدد الجماهير والمتأثرين ونمو معرفتهم واطلاعهم وإدراكهم، مما دفع وسائل الاتصال والإعلام إلى الاهتمام بهم والحرص عليهم بصورة أكبر . حيث يتشارك الرأي العام مع وسائل الاتصال والإعلام بالدور العظيم الذي يمارسه في عملية اتخاذ القرارات السياسية أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو غير ذلك من القضايا الحيوية والشائكة التي تمس مصالح المجتمع واهتماماته.¹

يعتمد الرأي العام على تفاعلات مجموعة من الآراء والأفكار والمعتقدات السائدة التي اتخذتها مجموعة من الناس حول قضية معينة وفي وقت محدد، وبذلك فإنه يلعب دورا عظيما في التأثير على الكيان الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي في أي بلد. حيث يقوم الرأي العام بتعزيز التوجهات العامة لدى الجمهور، والحكم عليها، أو كشفها والتعبير عنها وعن مصالحها.³ ولا يقتصر دور الرأي العام على خلق إجماع واتفاق على رأي واحد بين أفراد المجتمع، بل يمتد ليشمل خلق حالة من الإقصاء والنبذ عند المخالفين والمعارضين تجاه أسرى الفكر الجمعي، بحيث تقل احتمالية تعبيرهم عن آرائهم الصريحة إن لم تتسق وتوجه الأغلبية.⁴

ويشكل الرأي العام قوة لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، فصناع القرار باختلاف طبيعتهم سواء كانوا حاكمين أم محكومين يعتمدون بشكل أساسي على الرأي العام من أجل توجيههم لتحقيق أكبر منفعة ممكنة. فرجال الدولة والسياسة يعودون إليه لإعانتهم على رسم سياساتهم الخاصة، وبرامجهم وخططهم بهدف تمكينهم، ورجال الأعمال والاقتصاد كذلك يهتمون به للحصول على أكبر حصص ممكنة في سوق العمل، وكما يهتم أصحاب الشركات والمؤسسات المدنية والخاصة والعامة بالرأي العام من أجل اتخاذ القرارات المناسبة فيما يواجه جمهورها. ولذلك، يسعى الفرد أو أعضاء المجتمع والمسؤولون والموظفون وأصحاب القرار إلى الإحاطة بفهم حقيقي للرأي العام، وإلى التعرف على مدى قوة هذا الرأي وكيفية التحكم

¹ينظر: عبد الكريم الديبسي، الرأي العام، ص51.
³ينظر: صالح أبو اصبع، الاتصال الجماهيري، ص192.
⁴ينظر: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص59.

به والسيطرة عليه أو مجاراته من أجل اتخاذ قرارات حكيمة ورسم السياسات الناجحة التي تُسهم في تحقيق الأثر المرجو.¹

ولا يمكن تحقيق هذا التغيير إلا من خلال الإحاطة بعدة اعتبارات متداخلة لها الأثر في تكوين الرأي العام من أهمها المنظومات الاجتماعية التي تسهم في تكوين شخصية الإنسان وضبط عقلية وتشكيلها. فالجماهير تتأثر بطبيعة الجماعة التي ينتمون إليها ويختلطون بها ويجالسونها، كما يتأثرون بالقيم الدينية وما تتضمنه من تعاليم وأسس وأخلاقيات تعمل على بلورة الرأي العام من خلال نشر التعاليم الدينية باتباع أسلوب الإقناع والخطابة التوعوية والنقاش معتبرها البعض أفيونا للشعوب، ووسيلة لما وصفه علي شريعتي بالاستحمار الديني.² كما تمثل العادات الجمعية والقيم المجتمعية والتقاليد والتراث الثقافي مصدرا أساسيا من مصادر تشكيل الرأي العام وتحديد اتجاهاته ومضامينه إزاء قضايا وموضوعات مختلفة، وذلك نتيجة الطابع التراكمي الاستمراري الذي يتمتعون به. ويلعب النظام السياسي وكذلك الأحزاب السياسية والزعماء وقادة الرأي دورا مهما في التأثير على الرأي العام من خلال طرح الأفكار والمعلومات والآراء عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.³

تشكل وسائل الإعلام مصنعا مهما للصور والآراء والأفكار ووسيلة لنقلها، فهي باختلاف طبيعتها الترفيهية، أو التعليمية، أو التثقيفية أو غيرها تلعب دورا عظيما في التأثير على العقل الجمعي وصناعة الرأي العام وتشكيله والتأثير عليه، وكذلك في ترتيب الأولويات والتأثير عليها أو تعزيزها. وقد تصيب عملية التأثير هذه عامة الشعب ومن يتمتعون بنفوذ أو سلطة قوية على حد سواء كما قد يظهر تأثيرها على مستوى الأفراد وعلى قيمهم واختياراتهم أو على المجتمع ككل والثقافة كذلك. فيزداد عادة اهتمام الجمهور بالقضايا التي توليها وسائل الإعلام اهتماما أكبر، والتي تتعرض لها ولتفاصيلها بشكل أوسع وأعمق. وبالتالي يمكن القول أن هذه الوسائل تغذي المجتمع وتؤثر على صناعة القرارات فيه من خلال تقديم المعلومات والحقائق عن طريق النشرات والتقارير والبرامج المتنوعة والمختلفة، ومن خلال استخدام الأساليب المناسبة في سبيل تغيير العقول والتأثير على اتجاهات الرأي العام ومعتقداته تجاه قضية ما.⁴

لا تقتصر وظيفة هذه الوسائل وقدرتها على التأثير في بث هذه المعلومات والتقارير والبيانات حول أحداث وظروف ما حول العالم، أو حتى في تفسيرها ومعالجتها والتعليق عليها، من أجل الحصول على الإجماع وتحقيق التآلف حول قضايا حيوية ومهمة، بل تعمل على صياغة سياسات معينة وتعبئة الجماهير

¹ينظر: المرجع نفسه، ص55

²ينظر: النباهة والاستحمار، ص108.

³ينظر: عبد الكريم الديبسي، الرأي العام، ص130.

⁴ينظر: صالح أبو أصبع، الاتصال الجماهيري، ص184.

بها أثناء الحروب، أو تعبتهم لضروريات اقتصادية ودينية. وكما تكمن أهميتها في قدرتها على الربط بين أفراد المجتمع، فتشكل حلقة وصل بين الطبقة الحاكمة والأفراد، وكذلك بين الفرد والعالم الخارجي، من خلال تبادل الأفكار والآراء بينهم واستيعابهم للمشاكل وحلها عن طريق إحداث التغييرات اللازمة لذلك، وقد تعمل كذلك كأداة ترفيهية لكسر الحواجز وملء أوقات الفراغ لدى الجمهور.¹

ويرى جوستاف لوبون² أن هناك العديد من العوامل التي تُسهم في تشكيل آراء الجماهير ومعتقداتهم كالصور، والكلمات، والعبارات التي لها دلالات ومعان متحركة ومتغيرة تختلف من شعب إلى آخر ومن زمن إلى غيره. وتتمثل حكمة رجل الدولة أو القائد ومهارته في معرفة كيفية التلاعب بهذه الكلمات وتغييرها باختلاف طبيعة الجماهير دون المساس بأصل معناها، إذ إن لقوة الكلمة والصور التي تعكسها أثراً كبيراً في تغيير المسار وتهييج الجماهير وإثارة معتقداتها، وكذلك صناعة الأوهام لديهم. فتثير الأساطير المنسوجة فضول الجماهير، إذ يستسيغونها ويتقبلونها طالما أنها تشكل جرعة أمل لديهم، وتريحهم من التوقعات والمآهات وأرق التفكير الذي قد تفرضه الحقائق، معززين بذلك في نفوسهم القابلية للاستعباد والاستبداد. ولا يمكن دحض هذه الأوهام والخلاص منها إلا من خلال منهجية حقيقية وواضحة تتمثل في التجربة وتعميمها وتكرارها من عصر إلى آخر في سبيل تحقيق وعي أكثر رسوخاً وفهماً أكثر اتساعاً.³ وقد يلعب الإعلام دوراً مهماً في تسويق هذه الأحلام والأوهام أو طمسها ببيت الأخبار والرسائل الموجهة والحقيقية أو الواقعية بين الجماهير والشعوب الظمأى والتي غالباً ما تتمسك بالأكليسيهات الموروثة والسائدة، محققاً بذلك قدرة على تشكيل الرأي العام أو توجيهه والتأثير عليه.

إلا أن حقيقة هذا الأثر لوسائل الاتصال والإعلام يتحدد بأدوات وعوامل ومحددات كثيرة متشابهة قد تكون بعيدة تعمل على إثارة مجموعة من التساؤلات والأفكار، أو آنية ومباشرة لها أثر فوري وقوي على الجمهور المستهدف. فاختلاف نوع وسائل الاتصال والإعلام يؤثر على فعاليتها في نقل الرسالة وعلى حيويتها في الجذب والاستمالة وعلى قابلية الرسالة للفهم من قبل الجمهور. فوسائل الإعلام المتخصصة والشخصية لها شأن أكبر من الوسائل العامة في تأثيرها على الرأي العام، وكما أن طبيعة القضايا التي تقوم بنشرها هذه الوسائل تزيد من نفوذ الأثر المرجو وفعاليتها، فالوسائل التي تثير قضايا ترتبط بمصالح الناس وتثير اهتماماتهم، وتعبر عن قضايا معاصرة وجديدة غير مكررة هي أكثر تأثيراً من غيرها من الوسائل. وكذلك فإن تأثير وسائل التواصل والإعلام على الرأي العام يختلف في تأثيره بناءً على طبيعة الجمهور

¹ ينظر: نجم شهب، الاتصال الجماهيري، ص 31.

² جوستاف لوبون (1841-1931) كان طبيباً ومؤرخاً فرنسياً، ومن أشهر فلاسفة الغرب، له كتب في علم الآثار وعلم الأثرولوجيا، وعنى بالحضارة الشرقية والإسلامية.

³ ينظر: جوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص 115.

المتلقي، فكلما كان المتلقي أقل إدراكا ووعيا بالموضوع تزيد نسبة فاعلية هذه الوسائل في التأثير على الرأي العام، بالتالي نقل فرصة التغيير والتأثير باقتناع الجمهور بآراء واعتقادات معينة، وتعلقهم بها.¹

وقد تم الاعتماد عبر التاريخ على العديد من الوسائل والأساليب التي وظفها محركو الجماهير في ظروف معينة من أجل تغيير اتجاهات الرأي العام وتشكيلها. ولا بد من الإشارة إلى صعوبة هذه العملية نتيجة لعدة عوامل وموروثات تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية كدور العرق، والتقاليد والأعراف، وكذلك دور المؤسسات التعليمية والسياسية والاجتماعية والدينية. ومع ذلك يؤمن الكثير بأن أسلوب تكرر الرسائل الإقناعية بذات الكلمات والصياغات من أكثر الأساليب والأدوات التعليمية الشائعة تأثيرا ونجاحا في تغيير الآراء، فهو يعمل على ترسيخ الرسالة إلى درجة اعتبارها حقيقة مؤكدة يتعشقها العقل والقلب،² ولا سيما إن كان التعرض لهذا التكرار مدروسا. فالتكرار يؤثر على مشاعر الجماهير وعواطفهم بعيدا عن إعمال العقل والتفكير، وبعيدا عن الإقناع والمناقشة مما يعمل على إثارة عواطفهم والتحكم بهم. وقد استخدمت أمريكا ذلك عقب أحداث (11 أيلول 2001) حينما عملت وسائل الإعلام على تزييف الحقائق والأحداث بشكل متكرر لاستمالة عواطف الجماهير، بالتالي جذب أذهان الناس لهذه الرسائل وخلق أجواء مناسبة للتأثير على الرأي العام.³

وقد اعتمد البعض الآخر على عرض الحقائق الملموسة معتبرا وسيلة أكثر نفعا وأقوى أثرا في صياغة الرأي العام وتوجيهه، وذلك لكونها أدوم وأبقى عبر الزمان، معتمدين على الشرح والتفسير والتحليل والإقناع والخطابات التوعوية من أجل ضمان نجاح هذا الأسلوب. وقد تختلف الأساليب المستخدمة باختلاف طبيعة الرسالة ووسيلة الإعلام المستخدمة ومدى معارضة أو اقتناع الجمهور بالقضية المطروحة. فيستخدم البعض أسلوب تحويل انتباه الجمهور أو تضيق مدى رؤيته، من خلال استدعاء انتباه الناس لقضية شائكة ومهمة أخرى، أو بتضخيم وسائل الإعلام وتعقيدها لموضوع ما على حساب موضوع آخر، من أجل التأثير على اتجاه الرأي العام الراسخ. ويعتبر أسلوب افتعال الأزمات والمشاكل غير المبررة من أهم الأساليب المعاصرة التي استُخدمت من أجل كسب الوقت وإحداث التعديلات المناسبة لمحركي الجماهير، والحصول على مكاسبهم الخاصة، وكذلك لعب بث الشائعات والترويج لها وتهويلها دورا مهما في تحقيق العديد من الغايات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية المختلفة، من خلال إضعاف أنظمة معينة واختلاق العوائق

¹ينظر: صالح أبوأصبغ، الاتصال الجماهيري، ص190.

²ينظر: جوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص133.

³ينظر: عبد الكريم الديبسي، الرأي العام، ص92.

والمتابع والمشكلات، وهذا ما اتبعته الولايات المتحدة الأمريكية في حرب العراق، من نشر لأخبار مضللة لا تمت للحقيقة بصلة، وذلك من أجل السيطرة على الرأي العام و تبرير أفعالها للشعب الأمريكي خاصة.¹ وينساق وراء موجة الشائعات المغرضة هذه جزء كبير من أفراد الشعب الذين لم ينالوا قسطا وافيا من التعليم والثقافة، بالتالي لا يمتلكون قدرة التحليل والنقاش المستند على المنطق. وبذلك، يكون تأثير وسائل الإعلام على وعي هذه الشريحة لإخضاعهم واسترهابهم هينا مقارنة بالتأثير الواقع على الرأي العام الخاص بالمتعلمين والمتقنين في المجتمع. فأصحاب الرأي المنقاد يقبلون ما ينتقى إليهم دون تفكير أو تمحيص أو تدقيق مضيقين بذلك أفق العقل، على عكس الرأي العام الواعي والمتقف الذي يتميز بالوضوح والاستنارة والعقلانية، والذي يمتلك قدرة على التوسع والإبحار والسعي من أجل المعرفة، ليتخلص من محاولات الاستبداد والاستعباد. فيختلف تأثير وسائل الإعلام باختلاف مستوى الوعي والثقافة الذي يتمتع به الجمهور، ووفقا لدرجة الثقة التي يضعها الفرد في الوسيلة وإيمانه بالمعلومات والآراء التي تنقلها. فعلى سبيل المثال، يثق الجمهور في مجتمع ما بالراديو أكثر من الجريدة، وفي المقابل قد تثق مجتمعات بالتلفاز أكثر من الراديو والعكس، ويعود ذلك إلى الجهات المسؤولة والمسيطرة على الوسائل، وقدرتها على التعبير عن وجهات نظر معينة.²

ومع ذلك يبقى التأثير على عقائد الجماهير وآرائها محدودا بعدة عناصر ومعتقدات، كالعقائد الإيمانية الكبرى الثابتة التي تبنى عليها الأمم وتقوم عليها الحضارات، فهي ثابتة التمرکز، وقوية التأثير على المدى الطويل، وتتميز بصلابتها ومحدوديتها فهي محصورة في بضع عقائد أزلية دائمة ومقدسة يصعب المساس بها أو تغييرها. أما الآراء العابرة و المتحركة فهي أفكار ثانوية سطحية لا تتصل بالثوابت الدينية أو الوطنية ولا تقوم على أسس تاريخية أو ثقافية، كما أنها تتغير وتتبدل باستمرار لتتزع عنها صفة الاستمرارية والديمومة فهي تنتهي وتتقلب بمرور الأعوام، وتتأثر بالأحداث اليومية وبمجرىات الحياة، بالتالي فهي لا تتمكن من الناس ولا تسيطر عليهم، إذ يمكن مناقشتها والتخلص منها أو دحضها.³

ويقسم الباحثون النظريات الإعلامية المتعلقة بتأثير وسائل الإعلام على الجمهور كالاتي:⁴

-نظريات متعلقة بالجمهور المستخدم للمواد والوسائل الإعلامية:

¹ينظر: المرجع نفسه، ص92.

²ينظر: عبد الكريم الديبسي، الرأي العام، ص70.

³ينظر: جوستاف لوبون، سيكلوجية الجماهير، ص145.

⁴ينظر: هيثم الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري، ص124.

1- نظرية الاستخدام والإشباع: يرى المنظرون أن وسائل الإعلام تعمل على تلبية حاجات الجمهور الذي يستخدم المواد الإعلامية من أجل إشباع رغباته فقط.

2- نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام: تفترض هذه النظرية أن استخدامنا لوسائل الإعلام والاتصال لا بد أن يتأثر بتأثرنا المتبادل والمجتمع المحيط، و ترتبط بهذه النظرية، نظريات أخرى منها:
- نظرية الرصاصة: إذ تفترض هذه النظرية أن لوسائل الإعلام والاتصال تأثيرا سريعا ومباشرا على الجمهور.

-نظرية الغرس الثقافي: تفترض هذه النظرية أن زيادة معرفه الجمهور وإدراكه للعالم المحيط يتأثر بوسائل الإعلام، وكثرة تعرضه لها.

- نظرية ترتيب الأولويات: تفترض هذه النظرية أن لوسائل الإعلام والاتصال دورا كبيرا في ترتيب اهتمامات الجمهور من خلال التركيز وإبراز قضايا على حساب قضايا أخرى.

-نظريات متعلقة بنوع التأثير الإعلامي الذي تحدثه في الجمهور:

1- نظرية التأثير المباشر: إذ يكون تأثير وسائل الاتصال والإعلام مباشرا وقصير المدى.

2-نظرية التأثير التراكمي: تعتمد هذه النظرية على أن تأثير وسائل الإعلام والاتصال لا يكون مباشرا ولحظيا، وإنما يأتي بعد عدة مراحل وتراكمات إعلامية وخلال فترة زمنية معينة.

3-نظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام: تفترض هذه النظرية على أنه لا بد لوسائل الإعلام والاتصال من مراعاة ظروف الجمهور وخصائصه النفسية والاجتماعية.

ووفقا لذلك فإن لوسائل الاتصال والإعلام الجماهيري علاقة تفاعلية مع الجمهور، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، حيث إن لهذه الوسائل تأثيرا جليا في تحديد الأهمية التي نوليها لمختلف القضايا والقيم، وكذلك التأثير على فهمنا وموقفنا وإدراكنا وحكمنا على الأمور من خلال المواد التي تقدم. فقد يشكل القائمون على الصحافة دورا مهما في الضغط على الرأي العام لتحقيق أهداف معينة، وقد تعكس الأفلام السينمائية بأنواعها كونها أقرب إلى الاتصال الشخصي قيما مجتمعية معينة، فيتحكم القائمون على الإنتاج في تصميم الواقع، وتحديد رؤيتنا لأنفسنا وللآخرين، ونتيجة لذلك اهتم علماء النفس والاجتماع بهذه الوسائل نظرا لتأثيرها العريض والمتباين على المجتمع.

الفصل الثالث

السينما الأمريكية ومضامينها

"أمريكا هي جمهورية التسلية، والأفلام هي حجارة الزاوية النهائية والأسلحة الفعالة لهذه الجمهورية"¹ نيل غابلر²

حظيت السينما الأمريكية بشهرة جماهيرية واسعة، وباهتمام عالمي كبير امتد إلى الأجيال الحالية. فبالرغم من نشأة السينما وتطورها في فرنسا، وبريطانيا، والنمسا، وألمانيا، وأمريكا في الفترة نفسها تقريبا، تفوقت صناعة الأفلام السينمائية الأمريكية وتميزت عن باقي منافسيها، وحافظت على صدارتها ومكانتها المتقدمة مع تعدد محاولات التقليد والمحاكاة واختلافها.³ حيث حصدت السينما الأمريكية معدلات نسب مشاهدة عالية تقدر بالملايين، وذلك بقدرتها العالية على جذب قطاعات مختلفة من الجمهور وخاصة الشباب. وكما أصبحت السينما الأمريكية ظاهرة عالمية ثقافية باهتمامها الكبير والمبكر بصالات العرض

¹ ضياء سردار، الحلم الأمريكي كابوس العالم، ص177.

² مؤرخ وصحفي وناقد أفلام أمريكي، وزميل باحث في مركز شورنشتاين للصحافة والسياسة العامة في كلية كينيدي للعلوم الحكومية بجامعة هارفارد.

³ ينظر: حسن حداد، تعال إلى حيث النكهة: رؤية نقدية في السينما، ص9.

السينمائية، وباكتسابها قوة إضافية بعد ما حققته من إنجازات فنية وثقافية هامة، وما أحرزته من تقدم اقتصادي استثماري ملموس، فهي تسهم في تحقيق إيرادات عالية، عن طريق قوة تأثيرها الجماهيرية الواضحة وانتشارها الواسع، الذي ظهر بجهود مخرجين وممثلين وطاقم فني مبدع ومبتكر¹.

وحازت وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية بأشكالها على رعاية الولايات المتحدة الأمريكية وتمويلها واهتمامها، وسعت لرصد وظائفها، واعتنت بتنوعها وتأثيرها، لأهميتها في إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي الحقيقي في المجتمع، ومساهمتها في بلورة الرأي العام وتشكيله وتحديد اتجاهاته. فهي وسيلة ناجحة وفعالة لمخاطبة عقول الناس واستمالتهم والتأثير عليهم، وكما لها تأثير بالغ في نقل الآراء والأفكار والمعلومات لشرائح معينة ومتباينة من الجمهور. كما اعتنت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص، وعلى مدار سنوات طوال، بالإنتاج السينمائي بشتى أنماطه ومنذ بداياته، وساهمت في دعم مجال الصناعة السينمائية وتشجيعها والعمل على إنتاجها وتوزيعها، إذ بادرت بإغراء كبار المنتجين والمخرجين والأوروبيين والروس وسحبهم للعمل في شركات هوليوود السينمائية².

واختلفت الأساليب والمبادئ التي اتبعتها مضامين السينما الأمريكية في أفلامها، إذ اعتمدت في بعض أفلامها سياسة الخمول والتخدير الممنهجة للشعوب، لتحويل الرأي العام عن القضايا الحقيقية وقضايا المغلوبين عليهم والمستضعفين إلى قضايا شبه هزلية لتبدو غير مهمة وفارغة. كما تبنت الأفلام الأمريكية سياسة الأسلوب التشويهي المناهض للشعوب الأخرى، بزج الشعوب في عالم الأوهام والصور السوداء المشوهة وغير الحقيقية، من خلال إعادة ترتيب التاريخ، والتشكيك في الرموز التاريخية، والطعن في مصداقية الشعوب المستضعفة وعقائدها، لاصطناع عدو وهمي شديد الخطورة، من شأنه أن يرفع قيود الفكر الحر وأغلاله، حتى تتولد انطباعات عامة وزائفة بالشر والقسوة. وكما تُطَوِّع الأفلام السينمائية أسلوب المغامرة والغرابة والصدمة في مواضيعها ومعالجتها وتقنياتها، التي تتيح لها سرعة تحقيق الأرباح المالية العظيمة بشكل قياسي³.

ومع التطور الحاصل في العالم سرعان ما اكتسبت السينما الأمريكية كفن وكوسيلة اتصالية أبعادا جديدة في مجالات الإبداع الفني والتقني، فهي تعج بكم هائل من الإبداع والمبدعين الذين نهضوا بها بقوة باستخدامهم الأساليب التعبيرية المتنوعة والتقنيات الحديثة، والمضامين والمواضيع المتجددة التي تتفق مع الاحتياجات الخاصة والأهداف الثقافية والاجتماعية والفكرية السياسية الهامة⁴. وبذلك، تمارس هذه الأفلام

¹ينظر: رياض عصمت، ذكريات السينما، ص16.

²ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص76.

³ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص76.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص76.

الأمريكية العالمية دورا جوهريا بجذب المشاهدين واقتناصهم، وإثارة اهتمامهم حول القضايا والمشكلات المطروحة بأحدث التقنيات والأساليب، حتى غدت السينما الأمريكية رمزا للقوة السينمائية الأبرز بين منافسيها.

المبحث الأول: هوليوود: محطات هامة.

ارتبطت مقاطعة هوليوود التي تبعد ما يقارب الثلاثين ميلا عن مركز مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية ارتباطا وثيقا بالفن، وامتدت علاقة وثيقة وقوية بين هذا الاسم والسينما، فهي تعد من أهم مواقع الإنتاج السينمائي على المستوى العالمي. حيث استقطبت أصحاب رؤوس الأموال، واحتضنت العديد من نجوم الأفلام، وأنشأت الاستوديوهات والشركات السينمائية، لإنتاج الأفلام الأمريكية والعالمية، فأضحت هوليوود المكان المثالي للعديد من الشركات الصغيرة التي هاجرت إليها من أجل إقامة استوديوهات الإنتاج، وتصوير الأعمال السينمائية منذ عام (1909-1910م).¹

تأثرت الهجرة إلى هوليوود بعدة عوامل جذب متداخلة ومتنوعة، أهمها تدني أجور القوى العاملة، والأراضي الرخيصة، وكذلك وفرة الظروف الطبيعية الداعمة، واعتدال المناخ والطقس والعوامل الجوية المناسبة للتصوير والإنتاج على مدار فصول السنة، وكذلك التكافؤ الجغرافي وتنوعه في السهول والوديان والتلال والجبال والمحيطات والأنهار والبحار والشواطئ مما دفع الشركات الصغيرة لاتخاذها موطنها أساسيا للفن السينمائي، واستغلالهم المناظر الطبيعية وتحويلها إلى ديكورات أفلام. كما تأثرت الهجرة إليها بأجواء الاضطهاد والعنف والمضايقات التي تلقتها الشركات السينمائية الصغيرة من قبل الكيانات والاتحادات الاحتكارية التواطئية.²

ومع استمرار تيار هجرة الشركات الصغيرة المستقلة ما بين (1909-1914م) إلى هوليوود، لمعت بعض الأسماء التي شكلت النواة الأولية والبذرة الأساسية للمشروعات الكبيرة فيها، والتي أنبتت وأثمرت فكان من شأنها تحدي الشركات الاحتكارية. ومن أهم هذه الأسماء كارل لايمل ووليم فوكس، وأدولف زوكور الذي أسس شركة بارامونت، وماركس لوي الذي أنشأ شركة مترو جولدوين ماير، وغيرهم ممن قاموا باتخاذ هوليوود مكانا لإنتاج الأفلام الطويلة ذات الطابع الروائي والتي عرضت بشكل متكرر، فوجدت طريقا لجمهورها بسهولة، وعادت بعائد مادي كبير لصناعها، حتى أطلق في عام (1913م) على الأفلام التي تُنتج في المقاطعة بـسينما هوليوود. ومن أهم الأفلام الروائية تأثيرا هو فيلم مولد أمة (1915م) من إبداع د.و. جريفيث. وبذلك أبدعت هوليوود في السيطرة على الإنتاج والتوزيع والتسويق وعرض الأفلام بجودة عالية لتقلب الموازين لمصلحتها فتصبح هي المسيطرة بعد أن كانت محدودة في تأثيرها عالميا.³

¹ينظر: جبار العبيدي، السينما الأمريكية وأساليبها، ص74.

²ينظر: جيوفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 144/1.

³ينظر: المرجع نفسه، 145/1.

تميزت هوليوود منذ نشأتها بأعمالها الكوميديّة، فقد أطلق على فترة العشرينات من القرن العشرين العصر الذهبي للكوميديا الصامتة. وكان اسم تشارلي تشابلن مرتبطاً بأشد الارتباط بالأفلام السينمائية في عهد السينما الصامتة كأعظم الفنانين الكوميديين، الذين مزجوا بين الكوميديا الحركية البهلوانية، وبين المشاعر الإنسانية والأحاسيس المرهفة. كما ظهر آخرون ممن أثبتوا قوتهم وجدارتهم العالية فنياً، بامتلاكهم الموهبة الكوميديّة وخفة الروح والإبداع، كأمثال بستر كيتون وهارولد لوريد ولوريل وهاردي، والأخوة ماركس (كروشو، تشيكو، هاربو، زويدكو)¹. وفي ذات الفترة برزت فئة أخرى من الأفلام الأمريكيّة وهي أفلام الويسترن (الغرب الأمريكي) أو أفلام الكوبوي، وقد شكل كل من غاري كوبر وجون وين أهم الشخصيات التي تصدرت هذه الأفلام، كما لمع كذلك العديد من المخرجين الذين كانت لهم بصمتهم مثل المخرج جون فورد، فريد زينمان، وجورج ستيفنز، هوارد هوكس، وسام بكنباه، وجون ستورجيس².

اعتمدت الأفلام الهوليوودية الصامتة منذ بدايتها على الصور والعناوين المطبوعة المستمدة من قصص المسرح المشهورة وحكاياته المقتبسة أحداثها من المواد القصصية والروايات الأدبية الأمريكيّة الساحرة³. وجاءت النقلة النوعية لمضامين هذه الأفلام وطرق عرضها وإنتاجها مع دخول الصوت إلى السينما، فمنذ عام (1927م) تحولت الأفلام السينمائية من صور صامتة إلى أفلام ناطقة. أدى هذا التطور في الأفلام إلى تطور الأفلام الاستعراضية الراقصة وازدهارها، وكذلك إلى ظهور نجوم وأسماء لامعة جديدة حققت أرباحاً عظيمة ورواجاً واسعاً بين الجمهور، ففي فيلم (دون جوان) سنة (1926م) استمتع الجمهور إلى أول موسيقى مصاحبة للصورة. وكما استمعوا لأول حوار في أول الأفلام الناطقة في فيلم (مطرب الجاز) سنة (1927م)⁴.

شهدت السينما في هوليوود عدة مراحل مهمة ومؤثرة كانت كفيلة بإكسابها شهرتها ومكانتها العالمية المرموقة، وجعلها قادرة على مواكبة التقدم التقني والفني، وكذلك تجاوز التحديات والعوائق والعقبات التي تواجهها. فقد أحرزت أفلام هوليوود تقدماً ملحوظاً إبان الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، إذ شكلت الحرب فرصة حقيقية لضمان نتائج مفيدة وحاسمة وتقدم ملموس في صناعة الأفلام، فقد استفذت الحرب كل الإمكانيات والتعزيزات ووسائل الإنتاج لصناعة الأفلام السينمائية في أوروبا، مما دفع أصحاب رؤوس الأموال، ورجال الأعمال السينمائيين الأمريكيين لاقتناص الفرصة من أجل السيطرة على السوق الأمريكي، بعد تراجع السينما الأوروبية التي كانت تصدر معظم إنتاجها إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة. فتسارعت

¹ينظر: رياض عصمت، ذكريات السينما، ص63.

²ينظر: المرجع نفسه، ص16.

³ينظر: ضياء الدين سردار، الحلم الأمريكي كابوس العالم، ص198.

⁴المرجع نفسه، ص201.

حركة هوليوود بهدف فرض هيمنتها على الأسواق العالمية، فلم تكتف ببسط نفوذها على الأسواق الناطقة بالإنجليزية لبريطانيا وكندا وأستراليا، بل سعت للسيطرة على أسواق القارة الأوروبية، وتوسعت بشكل ناجح في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى ومنطقة البحر الكاريبي.¹

يعزى هذا الاستقرار والتوسع الذي اتسمت به هوليوود في عقد العشرينيات إلى تطور أنظمة الإنتاج في استوديوهاتها، وكذلك سيطرتها على الدعاية الجيدة واحتكار شبكات التوزيع، وهيمنتها على السوق وقدرتها على إنتاج أفلام تغزو المعمورة بأكملها. كما أن امتلاك هوليوود لدور العرض السينمائية الرئيسية في المدن الكبرى، وإدراكها بأن شبابيك التذاكر تشكل مصدرا حقيقيا للمال، يعتبر أحد أهم عوامل نمو هوليوود وازدهارها، وازدياد شعبيتها واتساع حجم الإقبال الجماهيري عليها. ففي عام (1927م) تراوحت حصة هوليوود من العروض السينمائية الإجمالية حول العالم بين 75%-90%، وفي ذات العام أنتجت استوديوهاتها ما يقارب 700 فيلم طويل، أما في ألمانيا فقد أنتجت استوديوهاتها 214 فيلما، و44 فيلما في بريطانيا.²

لم تكتف هوليوود بسيطرتها الكاملة على الأسواق العالمية من ناحية الإنتاج والتوزيع والدعاية والعرض فحسب، بل اهتمت كذلك خلال تاريخها الحافل على ضرورة التركيز على نظام النجم، فأوجدت نجومها من أمثال تشارلي شابلن، وماري بيكفورد، وفيفيان لي، وصوفيا لورين، ودوجلاس فيريانكس، واستقطبت مخرجيها من جميع أرجاء العالم،³ مثل الألماني فريتز لانغ، والفرنسي فرانسوا تروفو، والإيطالي برتولوتشي، وغيرهم العديد.⁴

وبعد مراحل النمو والاستقرار سرعان ما تعرضت هوليوود للعديد من الصدمات والهزات خلال سنوات (1930م)، كان أهمها الكساد الاقتصادي والأزمات المالية وتداعياتها التي تركت آثارها السلبية والمدمرة على صناعة الأفلام السينمائية الأمريكية. إذ بلغت عائدات هوليوود بين عامي (1930م-1933م) حوالي 480 مليون دولار بعد أن كانت تصل إلى 730 مليون دولار، وأما خسائرها فقدت بما يقارب 55 مليون دولار. فقد تراجع عدد المتفرجين ومتابعي السينما الأمريكية تراجعاً كبيراً، فبعد أن كان عددهم يقدر بـ 90

¹ينظر: جيوفري سيمث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 1/152.

²ينظر: ضياء الدين سردار، الحلم الأمريكي كابوس العالم، ص196.

³ينظر: المرجع السابق، 1/154.

⁴ينظر: رياض عصمت، ذكريات السينما، ص15.

مليون متفرج في الأسبوع وصل عددهم إلى 60 مليون متفرج، مما أدى إلى إغلاق الآلاف من دور العرض السينمائية في الثلاثينيات.¹

وبالرغم من عوامل الهدم التي أصابها، والتي أثرت على شركاتها واستوديوهاتها الكبرى، حافظت هوليوود على مكانتها المتميزة والمتقدمة، وذلك بفضل نواتها الصلبة والقوية، وزيادة دعم الحكومة المركزية في واشنطن للشركات الهوليوودية في الثلاثينيات، وكذلك تدخل دوائر وول ستريت المالية² مما أتاح لها فرصة احتلال مقاعد في إدارة الشركات السينمائية، مقابل توفيرها لأجواء مستقرة وآمنة اقتصاديا. فقد وضعت هذه المؤسسات المالية والبنوك برامج لتمويل وإعادة إعمار الشركات المنهارة وتنظيمها، وإيجاد الفرص وتطوير الشركات الكبرى والمشاريع الجديدة في هوليوود، ففي نهاية الثلاثينيات بلغت أفلام هوليوود حوالي 75% من الأفلام المعروضة في العالم.³

انضم إلى سينما الثلاثينيات العديد من النجوم والمخرجين الذين أثروا على نهضة السينما الأمريكية، من أمثال أندري هاردي، كاري كوبر، وكلاارك جيبيل الحاصل على جائزة الأوسكار⁴ عام 1934م في فيلمه "حدث ذات ليلة (It Happened One Night)"، الذي قام كذلك بدور البطولة في فيلم "ذهب مع الريح" للمخرج فكتور فلمنغ والمنتج ديفيد سيلزنيك، وقد تميز آخرون في نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، مثل جيمي ستيوارت، وجيمي كاجني، وهمفري بوغارت، وريتا هوارت التي لعبت دور البطولة في فيلم "لا مزيد من السيدات"، وجوني وسملر الذي تميز ببطولة فيلم طرزان، وغيرهم.⁵

وكما كان للمخرجين في الثلاثينيات من العقد العشرين دور كبير ومهم في تطوير الفن السينمائي وصناعته، مثل المخرج الأمريكي فون سيزنبرغ، وجون فورد، وهوارد هوكس.⁶ وقد استطاعت السينما الأمريكية أن تصل إلى القمة في عام (1939م)، إذ تعتبر الأفلام المرشحة لجائزة الأوسكار في تلك الفترة، مثل فيلم ساحر أوز، وعربة السفر، والنصر القاتم، وذهب مع الريح، ومرتفعات وذرينج، ووداعا مستر تشيبس، وغيرها العديد من الأفلام مؤشرا واضحا على النجاح الباهر الذي وصلت إليه هوليوود.⁷

¹ينظر: جيوفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 48/2.

²ول ستريت (Wall Street): أحد أهم شوارع منهاتن في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعتبر حاليا الواجهة الرئيسية للسوق الأمريكية، حيث توجد فيه بورصة نيويورك، والكثير من الشركات المالية الأمريكية الضخمة.

³ينظر: جيوفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 48/2.

⁴جائزة الأوسكار (Academy Award): من أرفع الجوائز السينمائية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تقدمها سنويا أكاديمية فنون وعلوم الصور المتحركة.

⁵ينظر: شهيب، المدخل إلى السينما والراديو والتلفزيون، ص53.

⁶ينظر: المرجع نفسه، ص53.

⁷ينظر: جيوفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 63/2.

تغيرت أحوال هوليوود الاقتصادية والصناعية وتبدلت بحلول عام (1941م)، ودخول الولايات المتحدة الأمريكية المفاجئ في الحرب العالمية الثانية (1939م-1945م)، إذ أصبحت شركات هوليوود حليفا وثيقا للحكومة الأمريكية بدأت تعمل لصالحها. وبعد شهور من دخول الولايات المتحدة الحرب ارتكزت مضامين الأفلام في هوليوود على الأفلام الحربية.¹ إذ تعتبر السينما وسيلة جماهيرية أساسية ومن أهم وسائل الدعاية للحرب وللجنود والمواطنين، ووسيلة مهمة لتحريك وعي الرأي العام السياسي والاجتماعي، وكذلك من أهم المرتكزات الأساسية في الحرب النفسية.

ومع هذه التغيرات التي حدثت لصناعة السينما وأثرت على مضامينها خلال وبعد الحرب، وبسبب اختراع التلفزيون، ونتيجة لتناقص عدد الجماهير في السينما في تلك الفترة بدأت هوليوود بالبحث عن تقنيات مبهرة وجديدة من شأنها إغراء المشاهدين وكسب متابعتهم، وإضفاء المزيد من الإثارة والإبهار لتصبح مؤهلة بقوة للتفوق على صور الأسود والأبيض التي تبتث على التلفزيون في المنازل. وقد ظهرت العديد من التقنيات في الخمسينيات مثل تقنية إيستمانكولر (Eastmancolor)² التي أدخلت على الأفلام حتى أصبحت كل أفلام هوليوود تصنع بالألوان.³

وفي عام (1952م) برزت تقنيات جديدة لشركات هوليوود السينمائية، مثل تقنية السينيراما (السينما المجسمة)، وتقنية خلق تأثيرات ثلاثية الأبعاد، وتقنية السينماسكوب⁴ وغيرها من التقنيات التي شكلت عبئا ماليا كبيرا عليها، مما دفع هوليوود لتجريب العديد من التقنيات والابتكارات الجديدة في هذا المجال. وقد وجدت هوليوود حلا طويل الأجل وقليل التكلفة، وهو تقنية "بانا فيجن" التي تستخدم عدسة مرنة خلال التصوير تمكنها من تكبير الصور من خلال تغيير العدسة أمام الكاميرا، ويمكن إضافتها لآلات العرض بحيث لا تكلف أصحاب دور العرض كثيرا، وقد اعتُمدت هذه التقنية بشكل ثابت مع أواخر الستينيات.⁵

دخلت الصناعة السينمائية الهوليوودية عصرا جديدا في عام (1975م) مع ظهور الفيديو المنزلي وانتشاره، وازدهار البث التلفزيوني بالكيل وعبر الأقمار الصناعية. ومع بداية السبعينيات وهو ما يطلق عليه العصر الحديث للفيلم حدثت تغيرات على صناعة الأفلام في هوليوود، وازدهرت بظهور فيلم "حرب النجوم Star Wars" (1977م) لجورج لوكاس الذي عاد على الاستوديو بعوائد تقدر بالملايين من الدولارات.

¹ينظر: جيفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 83/2.

²تقنية إيستمانكولر: هو الاسم التجاري الذي تستخدمه شركة إيستمان كوداك للتقنيات المرتبطة بإنتاج الصور المتحركة والملونة. ظهرت لأول مرة عام 1950 تقنية تتطلب فيلما سالبًا واحدا وليس ثلاثة أفلام سالبية مثلما كان هو الحال مع تقنية التكنيكولر، وقد عرفت بعدة أسماء مختلفة، مثل وارنر كولور، ميتروكولور، باثيكولور و كولومبياكولور، وغيرها.

³ينظر: جيفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 719/2.

⁴تقنية السينماسكوب: وهي شاشة عريضة تستخدم عدسة خاصة لكي تزيد من حجم الصورة. ويعتبر فيلم "الرداء" (1953) أول فيلم بتقنية السينماسكوب.

⁵ينظر: جيفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 720/2.

وعلى الرغم من التغييرات العنيفة التي أحدثتها صورة الفيديو، وتغشي حالة القلق والترقب بين رؤساء شركات هوليوود الكبرى بسبب مخاوف التغيير، فإن عدد المتفرجين لم يتأثر. ففي التسعينيات من القرن العشرين كان هناك ما يقارب العشرين مليون متفرج أسبوعياً يذهبون إلى شاشات العرض السينمائية. وفي عام (1990م) كان عدد شاشات العرض في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أي وقت في نهاية العشرينيات.¹

بالتالي شكلت هوليوود بإنجازاتها وتحدياتها وبأثر المراحل التي مرت بها قاعدة جماهيرية ضخمة وقوية مكنتها من الحفاظ على توازنها، وكذلك منحها القدرة على الانفراد بالهمينة والنفوذ على صناعة الأفلام عالمياً، حيث اخترقت هوليوود العديد من الأسواق، عن طريق استقطابها المبكر للمبدعين في مجال صناعة الأفلام من حول العالم، فأصبحت السينما الأمريكية -هوليوود- من أشهر أماكن الإنتاج السينمائي وأهمها، وأكثرها إنجازاً، وأفضلها تأثيراً على الناس، وأوسعها انتشاراً. إذ تتحكم الأفلام الأمريكية اليوم بما يقارب 70% من السوق الفرنسية، و85% من السوق الإيطالية، و90% من السوق الألمانية، ولا تختلف النسب كثيراً في البلاد الآسيوية وفي أمريكا اللاتينية.²

¹ينظر: جيوفري سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم، 46/3.

²ينظر: ضياء الدين سردار، الحلم الأمريكي، ص212.

المبحث الثاني: شركات هوليوود العملاقة.

عبر مسيرة حافلة بالإنجازات في عالم الأفلام السينمائية الأمريكية، نجح العديد من رجال الأعمال والسينمائيين البارزين في تأسيس وقيادة شركات هوليوود السينمائية الاستثمارية العملاقة ذات التأثير العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية. وعنيت هذه الشركات باستوديوهات الأفلام، والتصوير السينمائي، كما اهتمت بتوزيع الأفلام وتسويقها بمختلف أنواعها واتجاهاتها، مثل أفلام الأكشن، والكوميديا، والرعب، والأفلام العاطفية الرومنسية، والتاريخية، والسيرة الذاتية، والخيال وغيرها العديد.

تسيطر على هوليوود عدة أستوديوهات ضخمة مرتبطة وبشكل مباشر مع مؤسسات مالية، واقتصادية، وإعلامية أخرى، ومن أهم هذه الشركات:

1- شركة والت ديزني (Walt Disney):

من أهم الشركات الإعلامية العالمية الرائدة في مجال الترفيه العائلي، التي تعود بذور تأسيسها إلى عام 1923. تضم شركة والت ديزني مجموعة واسعة من وسائل الاتصال والإعلام والنشر، فهي تمتلك شبكة قنوات (abc) التلفزيونية، وكذلك شبكة التلفزيون (ESPN) الرياضية.¹

2- شركة تونيث سننتشري فوكس (Twentieth Century Fox):

شركة استوديوهات سينمائية أمريكية في كاليفورنيا، يعود تأسيسها لعام (1935م). وقد كانت تابعة لشركة News Corporation لصاحبها روبرت ميردوخ حتى عام (2013م)، أما الآن فهي تابعة لشركة 21st century fox العالمية.²

3- استوديوهات يونيفرسال (Universal Studios):

هي شركة أمريكية رائدة عالميا بين وسائل الإعلام والترفيه، في مجال التطوير والإنتاج، والتسويق. وقد ظهرت عام (1910م)، كانت تمتلكها شركة (NBC Universal)، إلا أن شركة كومكاست (Comcast) استحوذت عليها في عام (2011م).³

4- باراماونت-فياكوم (Paramount-Viacom):

¹ينظر: <https://thewaltdisneycompany.com/about/#leadership>

²ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص13.

³ينظر: <http://www.nbcuniversal.com/our-history>

تعد شركة باراماونت أقدم استوديو للسينما في أمريكا، إذ كانت تمتلك أكبر سلسلة دور عرض في تاريخ السينما، وذلك في عام (1949م)، وقد قدمت العديد من خدمات إنتاج الأفلام على مستوى عالمي، ولأكثر من مئة سنة. وأما الآن فتمتلك شركة فياكوم (Viacom) العالمية استوديو باراماونت، إذ تعمل الشركة على إدارة الاستوديو وتطويره.¹

5- تايم ورنر (Time Warner):

شركة عالمية في مجال وسائل الإعلام والترفيه. تعود بذور نشأتها إلى عام (1990م)، كما أنها شركة متعددة الجنسيات ففي نهاية عام (2016م) بلغ عدد موظفيها حوالي 25000 موظف من جميع أنحاء العالم. تسيطر شركة تايم ورنر على العديد من الشركات التابعة لها، مثل (Cartoon network)، (Adul swim)، (TNT Drama)، وغيرها العديد.²

6- شركة أفلام سوني (Sony Picture Entertainment):

استوديو يعنى بقسم الأفلام والتلفزيون في كاليفورنيا في أمريكا، والتابعة لشركة سوني اليابانية التي تتخذ من طوكيو مقرا لها. يعود تاريخ الاستوديو الغني إلى عام (1918م)، عندما شكل الأخوان هاري وجاك كوهن شراكة مع جو برانت من أجل إنتاج أفلام قصيرة بميزانية منخفضة.³

¹ينظر: <http://www.viacom.com/about/pages/default.aspx>

²ينظر: <http://www.timewarner.com/company/about-us>

³ينظر: <https://www.sonypictures.com/corp/aboutsonypictures.html>

المبحث الثالث: اليهود في هوليبود.

تعود أصول اليهود في هوليبود إلى بداية الهجرة اليهودية المنتظمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد عام (1900م)، وبدء تغلغلهم داخل المجتمع الأمريكي، وعنايتهم بالجوانب الهيكلية والتنظيمية المختلفة، وتنفيذهم للعمليات الإدارية من تنظيم وتخطيط وتنسيق، في سبيل تمكينهم من المشاركة في مختلف المنظمات المرتبطة بلجنة رؤساء المنظمات اليهودية التي تشكلت عام (1906م). كما أن اندماجهم في المجتمع وإدارتهم لمؤسساته الاقتصادية والإعلامية الناجحة المختلفة، أتاح لهم فرصة توسيع دائرة النفوذ اليهودي في المنطقة وتعميقها، وزيادة فاعلية اللوبي الصهيوني¹ داخل النظام الأمريكي.²

أدرك اليهود أهمية كسب معركة الرأي العام وتطوير الجماهير وتضليلهم، واستمالة واضعي الأنظمة والسياسات وأصحاب القرارات، مما دفعهم لبسط سيطرتهم الصهيونية على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة العالمية بشكل عام، والأمريكية بشكل خاص، وكذلك توسيع هيمنتهم على سائر أجهزتها المؤثرة، ومؤسساتها العالمية، وتوظيفها لمصالحهم الخاصة، باعتبارها من أهم الوسائل وأكثرها فتكا في قوة تأثيرها، وسرعة انتشارها.³

ومما لا شك فيه أن هذا التحكم في وسائل الاتصال والإعلام، وخاصة الجماهيرية منها، سيمنح اليهود الفرصة الملائمة للسيطرة على الرأي العام. فمن خلال السيطرة على وسائل الاتصال والإعلام وما يرافقه من سيطرة على الرأي العام يهدف اليهود إلى تحقيق أغراضهم وأطماعهم تجاه العرب والمسلمين، وإتاحة المجال لهم لتضليل الشعوب عامة واليهود غير الصهاينة خاصة، وكذلك التركيز على وحدة الشعب اليهودي في العالم، والعمل على تشجيع حياة اليهود في إسرائيل من خلال الضغط إعلاميا وسياسيا وماليا في سبيل نقلهم من أنحاء العالم وتجميعهم في إسرائيل.⁴

ازداد اهتمام اليهود بوسائل الإعلام الأمريكية بشكل لافت للنظر نتيجة رغبتهم الطموحة والملحة بالاندماج في المجتمع الأمريكي، والاعتراف بهم وقبولهم، وإبراز مواهبهم ومهاراتهم الإعلامية المتجدرة في التقاليد الثقافية اليهودية. إذ تربي الأسرة اليهودية غالبا أطفالها على الإبداع اللغوي ذي الصلة بالخيال

¹اللوبي الصهيوني: مصطلح اختزالي للتعبير عن التحالف الفضفاض بين أفراد، ومنظمات تعمل بنشاط لصوغ السياسة الخارجية الأمريكية في اتجاه مناصر لإسرائيل.

²ينظر: عبد الرزاق الدليمي، العلاقات العامة والعولمة، ص125.

³ينظر: علي وهب، الأخطبوط الصهيوني والإدارة الأمريكية، ص368.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص368.

والمهارات التصويرية.¹ حيث تشكل نسبة العاملين من اليهود ما يقارب ربع العاملين في أهم الوسائل الإعلامية في المجتمع الأمريكي.² فقد قام اليهود بإدارة وتأسيس وشراء الحصص في العديد من المؤسسات الإعلامية، والمحطات التلفزيونية، والإذاعات، والصحف، والمجلات، ودور الإخراج المسرحي والسينمائي. ف يمتلك اليهود مجموعة من أهم الصحف المؤثرة والأكثر قراءة وانتشارا في أمريكا مثل صحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة الواشنطن بوست، وول ستريت جورنال.³ وكما تولى اليهود من النشاط في الحركة الصهيونية إدارة العديد من محطات التلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تولى ليونارد جولدسون محطة (ABC)، وفرد سلفرمان محطة (NBC)، ووليام بالي محطة (CBS)⁴ وغيرها العديد من وسائل الاتصال والإعلام حيث امتد نفوذ اليهود كذلك إلى الأفلام السينمائية الأمريكية.

لجأ اليهود منذ بداية هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل في مجال السينما الأمريكية إنتاجا، وإخراجا، وتمثيلا، وتصويرا، حيث يرجع الأمر لإدراكهم بأهمية الكاميرا واستغلالها في رواية الحكايات، وكذلك لرغبتهم في إيجاد الوظائف الأنسب في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة. إذ تعتبر صناعة الأفلام السينمائية من أهم المهن التي لم تتطلب في بداياتها شهادات مهنية، واستثمارات مالية ضخمة للبدء بها، فهي استثمارات آمنة بعيدة عن المغامرات والمخاطر الكبيرة بأموال المستثمرين.⁵

وقد برز دور المهاجرين اليهود ومساهماتهم في تبني حلم صناعة هوليوود، فقاموا بتأسيس الاستوديوهات ودور السينما في أنحاء الدولة. ومن أهم هؤلاء المؤسسون أدولف سوكر مؤسس شركة بارامونت، وويليام فوكس مؤسس شركة فوكس، ولويس ماير الذي أسس وسام غولدوين شركة مترو غولدوين ماير، وكارل لاميل مؤسس شركة يونيفيرسال، وجاك وارنر مؤسس شركة وارنر، وماركوس لوي، والإخوة وارنر وآخرون، وبارني بالابان الذي أبدى اهتماما كبيرا بالمنظمات اليهودية وسياساتها.⁶

وقد شهدت الساحة دخول العديد من الممثلين اليهود إلى حقل السينما الأمريكية، كنجوم السينما الكوميديّة من أمثال ميل بروكسي، وبوب هوب، وميكي روني، ونيل سايمون، وجاك ليمون، وغيرهم العديد. أما في مجال الأفلام العاطفية والتاريخية، وأفلام المغامرات فقد لعبت الممثلات اليهوديات أدوارا مهمة في أفلام هوليوود، مثل الممثلة إليزابيث تايلور، وبربارة سترابند، وشيلي دوفل، وماري كيلر، ومارشيا ماسون، وسالي كيلرمان، وسوزان أنسباك، وديان كانون، وجيرالدين شابلن، وديبي رينولدز، وجيل كلايبورج، وغيرهم

¹ينظر: جوناثان جولديبرج، قوة اليهود في أمريكا، ص250.

²ينظر: المرجع نفسه، ص247.

³ينظر: علي وهب، الأخطبوط الصهيوني والإدارة الأمريكية، ص377.

⁴ينظر: عبد الرزاق الدليمي، العلاقات العامة والعودة، ص125.

⁵ينظر: أحمد ثابت، إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، ص1143/2.

⁶ينظر: سمير فريد، مدخل إلى السينما الصهيونية، ص10.

العديد من الممثلات. وبذلك لا تكاد تخلو الأفلام الهوليوودية من أسماء يهود قاموا بدور الإدارة، أو الإنتاج، أو التمثيل.¹

كما امتد نفوذ اليهود في هوليوود حتى وصل شركات صناعة برامج الترفيه والتسلية، فقد قام اليهودي الصهيوني مايكل إيزنز بالسيطرة على إحدى أهم شركات الترفيه والتسلية في أمريكا، وهي شركة والت ديزني الإعلامية العالمية، التي يعود قسم كبير من عائداتها لخدمة المشاريع الصهيونية في إسرائيل، كما أن استوديوهاتها تعمل على استئجار عمالة اليهود وبأجور عالية مثل جيفري كاتزينبيرغ، وميشيل أوفيز.²

أدى اتساع نطاق وجود اليهود في هوليوود إلى تشكيل ثقل سياسي ومالي مهم له تأثير بالغ على الحياة السياسية الإسرائيلية. إذ تعد صناعة الأفلام السينمائية الأمريكية من أهم الوسائل الدعائية لبث الأفكار والقيم والمعتقدات الصهيونية اليهودية. كما أن للكيان الصهيوني في هوليوود تنظيمًا رسميًا يتمثل بقسم السينما في جمعية النداء اليهودي المتحد³ والذي بدوره يسعى إلى دعم الصهيانية بعدة طرق أهمها الدعم المالي المباشر. حيث تجمع الأموال التي يعود ريعها لدعم المشاريع الصهيونية وتمويلها من خلال جمع التبرعات وإقامة الحفلات التي يشارك فيها كبار نجوم هوليوود من الصهيانية. كما تسهم هوليوود في صناعة الأفلام الدعائية الصهيونية التي تنقل الصور المشرفة لإسرائيل وتبرر سياساتها وما تقوم به تجاه الفلسطينيين، ومن أهم هذه الأفلام العنصرية اليهودية فيلم "الظل العملاق (Cast the Giant Shadow)" (1966م).⁴

ومما لا شك فيه أن هناك من غير اليهود ممن يعملون في المؤسسات الإعلامية الأمريكية ويديرونها. ومن جهة أخرى، ليس كل يهودي في وسائل الإعلام الأمريكية هو صهيوني يحيك الدسائس، ويسعى وراء أعداء مستهدفين، ويعمل ضمن مؤامرة ملتبسة بالتضليل الإعلامي للسيطرة على العالم، والقضاء على العرب والمسلمين. ومع ذلك لا يمكن إنكار حقيقة المواقف المتحيزة والكثيرة والعنصرية لليهود، وما ترتب عليها من جرائم ضد الإنسانية، كما لا يمكن التغاضي عن القوة الكبيرة التي اكتسبها اليهود جراء امتلاكهم أبرز وسائل الإعلام وأكثرها تأثيرًا واتساعًا في الولايات المتحدة الأمريكية.⁵

وفي هذا السياق، ينبغي الأخذ بالحسبان أن العمل الإعلامي يعتمد على أسس ومعايير مؤسساتية وغايات اقتصادية مهمة تحول دون حياديته. فالعمل الإعلامي بحقيقته هو عمل ذهني إنساني مبني على تراكمات وأدوات معرفية وثقافية ونفسية خاصة بالقائمين عليه. ولذلك، فلا بد وأن تتأثر الأعمال الإعلامية

¹ينظر: فؤاد الرفاعي، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، ص39.

²ينظر: ديفيد ديوك، الصحة-النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ص197.

³تأسس عام 1947، ويترأسه المنتج دافيد سلزنيك، وكان من بين مؤسسيه الكاتب بن هشت.

⁴ينظر: أحمد ثابت، إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل، 1150/2.

⁵ينظر: طلال ناجي، النفوذ الصهيوني في العالم، ص 266.

بأشكالها كافة بكل الإسقاطات الذاتية القائمة على المواقف الأيديولوجية والمرجعيات الخاصة بمن يديرونها ويتحكمون بها.

الفصل الرابع

صورة المسلم في السينما الأمريكية

توصل الباحثون والمهتمون بقضايا الإعلام مع مطلع القرن الماضي إلى دور وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية الكبيرة وأثرها على المستوى المعرفي، والمستوى الاتجاهاي، والمستوى السلوكي للأفراد، والجماعات، والحكومات، لما تحمله من جماليات وقيم ثقافية وفكرية؛ إذ يرى ولبر شرام¹ أن حوالي (70%) من المعلومات والصور التي يستقيها الإنسان عن عالمه مستمدة من خبراته وتجاربه الشخصية، وكذلك من وسائل الإعلام الجماهيرية التي يتعرض لها ويحتك بها من حوله.²

وفي ظل هذا التطور الحاصل على صعيد الإعلام والاتصال الجماهيري، وعلى ضوء الأحداث والأبعاد التاريخية والعلاقات القديمة بين الشرق والغرب، استطاع الإعلام الغربي الأمريكي -هوليوود تحديداً- فرض نفوذه وهيمنته على الرأي العام العالمي والتأثير عليه تجاه صورة الإسلام والمسلمين. فقد عمل الإعلام الغربي وهوليوود على خلق وتعزيز وتعميم أنماط مقولبة ومشوهة وبشعة حيال ثقافة العرب والمسلمين وحضارتهم، كما بث أفكاراً عرقية ثقافية مسيئة لهم في الوعي الجمعي لدى الغرب.³ وقد نتج عن ذلك اتساع

¹ ولبر لانج شرام (1907 - 1987)، يعتبر شرام مؤسس مجال دراسة الاتصالات في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أنشأ العديد من أقسام وبرامج الاتصالات والمعلومات عبر الجامعات الأمريكية، وكما أنشأ أول برنامج منح في ذات المجال.

² ينظر: يامن بودهان، تحولات الإعلام المعاصر، ص40.

³ ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب، ص12.

الفجوة بين الشرق والغرب، وزيادة التحامل الغربي على الإسلام والمسلمين، وكذلك الخلط الواضح بين صورة الإسلام الحقيقي وتصورات الغرب¹.

عرضت الصور النمطية الشائعة التي التصقت بالمسلمين في الإعلام الأمريكي وخاصة في الأفلام الأمريكية الهوليوودية، ووصفتهم بأنهم أشخاص إرهابيون، ومتعصبون، ومتخلفون، وفاسدون، وشهوانيون، ومجرمون، وشيوخ نفط، وعديمو ضمائر، وجهلة، وبرابرة، وبدائيون، ومتعاطشون للدماء²، وغيرها من الصور التي تشكلت نتيجة لتعصب المستشرقين والقائمين على وسائل الإعلام والمسيطرين عليها، أو نتيجة لجهلهم، أو لأسباب سياسية واقتصادية، واجتماعية أخرى³. وقد عملت وسائل الاتصال الجماهيري الغربية كافة على بث هذه الصور، وفق سياسات وخطط مدروسة ووفق معايير وأيديولوجية واضحة المعالم، إذ تشكل هذه الوسائل وخاصة السينما الأمريكية انعكاسا للسياسة الغربية، وجزءا مهما وأساسيا من منظومة السلطة⁴.

¹ينظر: أحمد دعدوش، ضريبة هوليوود، ص160.

²ينظر: المرجع السابق، ص13.

³ينظر: المرجع السابق، ص150.

⁴ينظر: أحمد دعدوش، ضريبة هوليوود، ص215.

المبحث الأول: دور السينما الأمريكية في تشكيل الصور النمطية.

"الذين يحكون القصص هم الذين يتحكمون في المجتمع"¹ أفلاطون

في وسط الترفيه والتسلية التي تقدمها السينما الأمريكية لجأت هوليوود إلى استخدام الصور النمطية والقوالب الجامدة، والدعاية المفرطة لصياغة العقول، وتكريس الأفكار المتحيزة تجاه مختلف العرقيات والقوميات والأقليات والجنسيات التي لم تسلم من وصم هذه الصور والقوالب التي روجت لها الأفلام الأمريكية وذلك خدمة لضرورات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. حيث حكمت السينما الأمريكية العنصرية -خلال سنوات- على الأفارقة أنهم تجار مخدرات، متخلفون، لا يصلحون للانتخاب أو لتولي المناصب الحكومية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك فيلم ولادة أمة الذي صدر عام (2016م). كما أغرق الإفريقيون أيضا في وحل من الصور النمطية السلبية التي وصفتهم بالبرابرة، والبدايين، والرجعيون، كما في أفلام طرزان.²

وزاد اهتمام الأفلام الأمريكية أيضا بالروس الذي ظهروا بصورة العدو القوي الذكي الذي يعمل وينفذ ضمن استراتيجيات وخطط محددة، وذلك ما أظهره الفيلم الأمريكي الكوميدي نينوتشيكا الذي صدر عام (1939م) وأما الصينيون فقد كانوا نموذجا للفئة الشريرة الخالية من القيم والمبادئ الإنسانية كما في فيلم الأرض الطيبة الصادر عام (1937م). في حين عادة ما ظهر العرب على أنهم همجيون وانتحاريون وارهابيون كما هو في فيلم "أكاذيب حقيقية" الصادر عام (1994م)³. وتمتد القائمة: فالمكسيكيات عاهرات وخادمات، والإيطاليون ينتمون لعصابات المافيا، والألمان نازيون وعنصريون، والكوبيون شيوعيون وجواسيس، والهنود الحمر همجيون ويستحقون السحق.⁴

وبالرغم من تعرض السينما الأمريكية كما ظهر أعلاه لمعظم العرقيات والجنسيات إلا أن صورة الإنسان والمجتمع العربي والإسلامي تصدرت هذه الأفلام السينمائية الأمريكية المسيئة للآخر وما زالت باقية للآن. وبالرغم من وجود أفلام تحمل صورا غير نمطية عن الإسلام والمسلمين إلا أنها تبقى غير مؤثرة مقارنة بما هو شائع.⁵

¹ أحمد دعوش، ضريبة هوليوود، ص215

² ينظر: ضياء الدين سردار، الحلم الأمريكي كابوس العالم، ص209.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص209.

⁴ ينظر: العبد الله، الإعلام والقضايا العربية، ص67.

⁵ ينظر: الأهرام، الصور النمطية في السينما الأمريكية، 2004. مصر. تمت زيارة الموقع بتاريخ 12.3.2018:

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/8/21/FACE11.HTM>

وقد اتسم التحريض الإعلامي الغربي الأمريكي العنصري ضد العرقيات والأقليات والمجتمعات وخاصة المجتمع العربي الإسلامي باستخدام الصور النمطية المكررة التي اعتمدت بشكل أساسي على التغطية المضللة المبنية على قدر واضح من الأخطاء والبعيدة كل البعد عن الدقة والموضوعية¹. فقد اتصفت الأفلام الأمريكية بقدرتها على اختزال الصور والأفكار في إطار وهمي محدد المعالم وبشكل لا يتفق مع الحقيقة ولا يمت لها بصلة. ففي هذا الإطار الوهمي يتم تجريد الآخر العدو الخارج عن معاييرها، ونبذته ونزع الصفة الإنسانية عنه، مما يجعل عملية تغيير هذه الصور وفهم حقيقتها مهمة بالغة الصعوبة، بل وأطلق ذلك العنان للمضطهدين استساغة ممارساتهم على المضطهد، وتبرير ممارساتهم السلبية تجاهه².

ومن أجل تحشيد الرأي العام الأمريكي والعالمي، وفي سبيل نقل الخواء الفكري وتقشيه بين الشعوب بشكل يضمن التبعية المطلقة للغرب، لجأ القائمون على الأفلام السينمائية الأمريكية إلى اتباع عدة أساليب كان أهمها إصاق الصفات الوضيعة والرديئة والشريرة بالجماعات الخارجية، لتصبح في النهاية أسطورة مستمرة مغرية مرتبطة بهم أشد الارتباط، كالشياطين، والأشرار، والحيوانات، والخاملين، والبدائيين. كذلك اتبع هؤلاء أسلوب إخراج الآخرين من دائرة الذات من خلال نسبهم إليهم صفات غير مقبولة ولا مبرر لها، كالصفات المتعدية على القيم الأخلاقية والأعراف التي تميزهم ويعتزون بها ويتمسكون بها، مثل وصفهم على أنهم منتمون إلى عصابات، أو تجار مخدرات، أو قتلة. كما ويتم تصنيفهم على أسس وقيم سياسية، وأيديولوجية، كالنازيين والشيوعيين، والإمبرياليين، أو الكولوناليين³. بالتالي تؤدي هذه الصور وظيفتها في تسطيح العقل الجمعي، وتحديد السلوك العام وتوجيهه، وكذلك تبرير السلوكيات الخاطئة، وتجريد المفاهيم وتغييرها، وزج الآخر في دائرة ما هو غير شرعي وغير مقبول، وإبرازه على أنه منبع الشرور كافة، وأنه يشكل مصدر قلق وتهديد حتمي ومباشر لكل من هو حوله.

ولضمان تحول الوسائل الإعلامية الأمريكية إلى وسيلة من وسائل السيطرة والهيمنة غير المباشرة، دأب الإعلام الأمريكي-الأفلام السينمائية خاصة- إلى ترويج هذه الصور النمطية باستخدام الأساطير المستمرة والمليئة بالرموز والإيماءات ونقلها بشكل متكرر ومستمر حتى يلتقطها العقل الباطن، ويعتاد عليها، ويؤمن بها، ويدافع عنها. ولتحقيق ذلك، استخدمت استراتيجيات السرد القصصي والدرامي المليئة بالصور المبسطة التي تمكّن العوام من فهمها واستساغتها⁴، والتي تتحلّى بطبيعة مثيرة ومشوقة لجذب الانتباه، وتحمل مضمونا عاطفيا، وعبارات ولقطات مؤثرة نفسيا ومصطلحات مضللة وغير دقيقة، لترسخ في العقل والقلب

¹ينظر: إدوارد سعيد، تغطية الإسلام، ص29.

²ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في العالم الغربي، ص153.

³ينظر: أيمن نداء، الصور الذهنية والإعلامية، ص118.

⁴ينظر: العبد الله، الإعلام والقضايا العربية، ص70.

وتنفذ بشكل مباشر أو غير مباشر إلى المشاعر والعواطف¹. فيحكّم المشاهد بذلك انفعالاته وعواطفه وسلوكه على سيل المعلومات التي يتلقاها، فيحدّ احتكامه لعواطفه من قدرته على التفكير العقلاني والسليم.

والخلاصة هنا أن عملية تصنيف الجماعات وقولبتهم بهذه الصور المشوّهة في الأفلام السينمائية الأمريكية وفي الإعلام الموجه والمدروس، تعمل على خلق تصور بوجود عدو جديد، بالتالي إصابة العوام من المشاهدين بحالة من الخوف والقلق والتوتر تجاهه، لتقام بذلك وكرد فعل طبيعي حواجز ومواقف متحيزة بين الطرفين.² وبذلك، توفر الأفلام السينمائية الأمريكية بيئة مساعدة لزعزعة علاقة الفرد مع الجماعة المنمطة والهويات الجمعية المنبوذة، وتغييرها من علاقات إنسانية مشروعة إلى حالة من الصراعات الحادة وعدم الأمان والاستقرار بين الحضارات والمجتمعات، ومس السلم والانسجام الخاص بينهما، مما يشكل رادعا لأي فرصة حقيقية لفهم الآخر أو لتغيير أفكارهم وآرائهم تجاههم. وبهذا، تتحقق الأهداف المرجوة في حجر عقول الناس وتعطيلها وكسر إرادتها، باستخدام وسائل العنف الناعمة، التي تخدم في نهاية المطاف أهداف القائمين على العمل الإعلامي.

¹ينظر: يامن بودهان، تحولات الإعلام المعاصر، ص43.
²ينظر: أيمن ندا، الصورة الذهنية والإعلامية، ص116.

المبحث الثاني: الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في السينما الأمريكية.

"إن الاستخدام الذكي لقوة الغرب الناعمة يمكن أن يغير الميزان إلى صالحنا" آرون كوندناني¹.

لا شك أن الأفلام السينمائية الأمريكية بتقنياتها ورسائلها وصيغها الأسطورية، شكلت قوة مؤثرة وفعالة لنسج الصور المزيفة وتسويقها، فقد سخرت هوليوود كل إمكانياتها من أجل خدمة مصالحها الغربية لشيطنه المسلمين، وتشويه صورهم والصاق التهم بهم، وسعت جاهدة لتركيزها في أذهان الجماهير. إذ احتل الإسلام والمسلمون حيزا كبيرا في الإعلام الغربي وفي السينما الأمريكية خاصة، فقد اختير المسلم عدوًا إعلاميًا تقدمه هوليوود بصورة نمطية في أفلامها السينمائية، وذلك في سبيل مسخ الصورة العربية الأصلية واستبدالها برؤية شديدة العدائية، من شأنها أن تخدم مصالح الغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.²

وعلى الرغم من تعدد الصور النمطية المشوهة لمختلف الأجناس والمجتمعات والهويات، إلا أنها باتت تتلاشى وتختفي مع تغير السياسات الأمريكية والغربية، وبدأت بالتحسن بعد حقبة معينة من الزمن. ولكن، لا تنطبق هذه الحالة على صورة الإنسان العربي المسلم التي بقيت متجذرة للآن، والتي تصدرت منتجات هوليوود المسيئة والمهمشة للمجتمعات كما وكيفا. وقد يعود ذلك لما هو أبعد من مجرد تمييز أو تصرف عنصري ضد هويات أو فئات معينة، فصورة المجتمع العربي الإسلامي المشوهة والمنقوصة تشكلت نتيجة لصراع سياسي ثقافي ديني بين الشرق والغرب عبر فترات طويلة من التاريخ، بالتالي لا يمكن مقارنتها بالصور العنصرية المنسوجة تجاه الروس والإيطاليين واليهود والأفارقة وغيرها من الهويات والأقليات.³

يذهب الكاتب جاك شاهين⁴ في كتابه "الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية" إلى أن هوليوود ليست أول من أوجد الصور النمطية المسيئة للإسلام والمسلمين وإنما ورثتها من الصور الكاريكاتورية الأسطورية التي رسمها الأوروبيون للعرب من قبلهم. وقد أسهم في تعزيزها وصياغتها الكتاب والفنانون من خلال الحكايات والأساطير النمطية التي قدمت للعربي المسلم على أنه إنسان همجي وبدائي، وكسول، وأن

¹آرون كوندناني أستاذ جامعي بريطاني يحاضر في قسم الإعلام، والثقافة، والاتصالات في جامعة نيويورك، وكذلك في قسم الدراسات المتعلقة بالإرهاب في كلية جون جي.

²ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب، 18/1.

³ينظر: أحمد دعدوش، ضريبة هوليوود، ص236.

⁴ جاك شاهين: أستاذ أمريكي من أصول لبنانية، كرس حياته العلمية للدفاع عن الشخصية العربية التي تتعرض للتشويه، حصل على العديد من الجوائز، مثل جائزة جامعة بنسلفانيا، والمجلس العربي الأمريكي ضد التمييز، ومؤسسة فولبرايت، ومؤسسة كارنيجي.

نساء هم ضعيفات، وراقصات، وذليلات، وأنهم يعيشون في بيئة صحراوية، ويركبون الجمال، ويفتقدون كل معالم التحضر.¹

استمر تناقل هذه الصور النمطية المشوهة وغير المنصفة للمسلم في وسائل الإعلام الغربية، وظلت تتردد كهدف سهل في العديد من الأفلام السينمائية الأمريكية التي يفوق عدد مشاهديها الملايين. فبعد دراسة وتحليل الباحث جاك شاهين لأكثر من تسعمئة فيلم أمريكي عرضت في الفترة ما بين (1896-2001م)، استنتج الكاتب أن أغلبية هذه الأفلام بالغت وأسرفت في نقل الصور المتحيزة والنمطية للمسلم (الرجل، المرأة، الطفل)، وأن اثني عشر فيلما فقط من أصل هذه الأفلام صوّرت العرب والمسلمين بصور غير نمطية². وبذلك فمن الواضح أن هوليوود صممت بأفلامها السينمائية على إلحاق الأذى والإساءة بالعرب والمسلمين، وممارسة الظلم تجاههم بهدف تجريدهم وتحقيرهم وتهميشهم.

إذ يمكن للمشاهد أن يرى في فيلم الرسوم المتحركة "علاء الدين (Aladdin)" (1992م) الذي أنتجته والت ديزني، بأن المسلمين يظهرون بصورة البدائيين والبرابرة والجهلة، وأنهم يعتقدون ديناً وحشياً في حدوده وعقوباته، وأنهم شيوخ شهوانيون مولوعون بالنساء العاريات³. وظهر في فيلم آخر بعنوان "أرابيسك (Arabesque)" (1966م) قدمه المخرج الأمريكي ستانلي دونين العربي والمسلم على أنه إنسان متآمر، استغلالي جشع، يطمح وراء السلطة والقوة، ويسعى وراء مصلحته الخاصة ولا تهمة خدمة الشعب ومطالبه⁴.

ولم تقتصر صورة المسلم في هوليوود على الصور النمطية الرجعية، فنتيجة للتغيرات السياسية الغربية اتهم المسلم في العديد من الصور السينمائية بأنه متعصب وينتمي إلى جماعات إرهابية، وأنه خال من المشاعر الإنسانية، ويقتل بدم بارد. ففي فيلم "الأحد الأسود (Black Sunday)" (1970م) إخراج الصهيوني جون فرانكين هايمر، أُلصق المخرج صفات الوحشية والتطرف بالشخصية العربية. وترسخت هذه الصورة غير الموضوعية في بداية التسعينيات في العديد من الأفلام السينمائية الأمريكية التي تعمل مباشرة على إظهاره على أنه إنسان سيء وشرير وإرهابي⁵.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك فيلم "أكاذيب حقيقية (True lies)" (1994م) الذي يصور فيه المخرج جيمس كاميرون المسلم على أنه إرهابي يشكل تهديدا لهجوم نووي قد يصيب العديد من المدن الأمريكية. كما يحكي لنا فيلم "قرار مصيري (Executive Decision)" (1995م) للمخرج ستيفن بايرد

¹ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، 1/23.

²ينظر: المرجع نفسه، 1/12.

³ينظر: المرجع نفسه، 1/108.

⁴ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص138.

⁵ينظر: المرجع نفسه، ص139.

قصة العربي المسلم الفاقد للإنسانية لتعجيره نفسه وتبنيه للعمليات الاستشهادية أو الانتحارية كما يصفونها كسبيل للنضال، وغيرها العديد من الأفلام.¹

عَرّضت هوليوود صورة العربي والمسلم للتشويه على مر التاريخ، متناسية دورهم في إنعاش العلوم الأدبية والعلمية والفلسفية ونحوها، متجاهلة إنجازاتهم العظيمة في مجالات كثيرة كالطب، والجبر واختراع مبدأ الصفر، والفلك ورسم خرائط النجوم والكون، والجغرافيا واستخدم خطوط الطول والعرض، والزراعة.² فساهمت هوليوود كأداة في يد المضطهد بطمس هذا التاريخ الإسلامي وتحريفه وتزويره، من خلال اختزال حياة الإنسان المسلم في سلوكيات همجية تخرج رجالها ونساءها بصورة سلبية، وتظهرهم على أنهم أصحاب ثروات وأموال عاجزون عن إدارتها بعقولهم الرجعية المتخلفة، وأنهم قاصرون عن تحصيل العلوم بأنواعها والإلمام بها.³ فلا يكتفي المستعمر الظالم عادة بإخضاع الشعوب وإفراغها من كل مضمون، وإنما يسعى دائما لتشويه الحقائق التاريخية الراسخة للشعب المحتل والمضطهد ويعمل على تزويرها.⁴

كما لجأت الأفلام السينمائية الأمريكية إلى تشويه الإسلام بربطه بعدة مصطلحات عنصرية سياسية متحيزة، كالإرهاب والتعصب والتطرف والأصولية، ولم تفرق في اضطهادها ونقل صورها بين مسلم وعربي، فكلهم أعداء للغرب وكلهم سواء. فظهر ذلك واضحا في فيلم "الحصار (The Siege)" (1998م)، وفي فيلم "أنديانا جونز والحملة الأخيرة (Indiana Jones And The Last Crusade)" (1989م)، الذي جرد المسلمين من إنسانيتهم.⁵

ولم تكتف هوليوود بتجريد الإنسان المسلم وتهميشه، بل عملت كذلك بالتزامن مع الإعلام الغربي بشكل عام على إظهارهم بأنهم جماعة معادية للأديان، وأن الإسلام ديانة لا تؤمن بحرية الاعتقاد، وحقوق الإنسان، وأنها ضد العمل والإنتاج، وأنها انتشرت بحد السيف عن طريق الفتوحات الإسلامية التي اتخذت بنظرهم طابعا اقتصاديا استعماريا تحركها المصالح الشخصية لا الدينية. وبذلك، يرى الغرب أن الإسلام ديانة تعادي الحضارات الأخرى، وأن المسلمين منغلِقون على أنفسهم وعلى تاريخهم وذواتهم.⁶

لم تسلم قضية المرأة المسلمة كذلك من الصورة النمطة والسلبية لها في الأفلام السينمائية، التي غالبا ما تكون صورا منقوصة لا تنسجم مع الواقع. ولم تهدأ الانتقادات حولها من قبل العديد من المثقفين

¹ينظر: المرجع نفسه، ص139.

²ينظر: سعيد اللاوندي، فوبيا الإسلام في الغرب، ص157.

³ينظر: العبد الله، الإعلام والقضايا العربية، ص58.

⁴ينظر: فرانز فانون، معذبو الأرض، ص170.

⁵ينظر: إبراهيم أبو خطالة، الغول الجديد: التربية الخاطئة للغرب، ص245.

⁶ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص156.

والكتاب والإعلاميين، فذكر جاك شاهين أن النساء المسلمات لا يظهرن بإطلالة طبيعية مشرقة، فنادرا ما تظهر المرأة كأمر ناجحة، أو طبيبة، أو كاتبة، أو صاحبة أعمال، أو مهندسة، أو متعلمة، أو مثقفة، أو داعية مصلحة بل العكس تماما حيث عادة ما تظهر بصور منفرة وسلبية. فالمرأة بنظرهم هي ذلك الكائن الضعيف المغطى بعباءة سوداء ولا حول له ولا قوة، تسير خلف زوجها بصمت وخنوع،¹ و دورها يقتصر على الأعمال والهموم المنزلية والسعي وراء رضى زوجها لا أكثر، وأن لا دور لها في المجتمع، ولا في العمل السياسي والثقافي، فهي مسلوبة الحرية أمام الرجال الذين يحتكرون السيادة والقيادة.

وقد برز ذلك في فيلم "ليس من دون ابنتي (Not Without My Daughter)" (1990م)، إخراج براين جيلبرت، المبني على قصة حقيقة لعائلة مكونة من أم أمريكية وأب إيراني وطفلة، يصطحبهما الأب من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إيران، ويقرر بشكل مخادع أن لا تعود العائلة إلى أمريكا وأن تستقر في طهران، لتشهد الأم أمريكية الأصل مجتمعا خانقا بمعتقدات بدائية، وغير منطقية، وعنيفة، لا بد من اتباعها واحترامها، ولا بد من الخضوع لها وتقبلها، فتتعرض الزوجة هناك للتنكيل والإهمال والتجهيل والضرب والاعتداء من قبل زوجها المستبد كما هو حال كل نساء المجتمع في هذا الفيلم. فالتقليل من شأنهن وإقصائهن هو أمر روتيني تتعرض له المرأة المسلمة هناك.² ولم تقتصر الصور المغلوطة عن المرأة العربية والمسلمة على ذلك، فقد ظهرت في العديد من أفلام هوليوود على أنها راقصة تكشف جسدها لإرضاء الرجال وسحرهم، أو أنها امرأة مغطاة بقطع سوداء لا يمكن لأحد أن يراها من خلالها.

يرجع البعض -أمثال جاك شاهين- إلى أن أسباب استمرارية هذه الصور النمطية للمجتمع المسلم، وصعوبة إمكانية مواجهتها، تعود إلى عدة عوامل سياسية وإعلامية واقتصادية واجتماعية. فتعتبر هذه الصور من ضمن الحملات التي تشنها الأنظمة السياسية المعادية للإسلام والمسلمين، والتي تعمل على رسم استراتيجيات سياسية بإشاعتها ونقلها لصور سينمائية بمضامين معادية. لذلك، تقتقر وسائلها الإعلامية بشكل عام إلى المصادقية والموضوعية والدقة في نقل الصور التي تتضاعف وتتدفق بشكل كبير ومتكرر كونها تشكل كذلك مشاريع اقتصادية ناجحة تعود على أصحابها بأرباح مادية طائلة.³

ومن الأسباب الأخرى وراء استمرارية هذه الصور غياب النقد السينمائي الفعال والنشط، لكشف الأخطاء والإشكاليات حيال صورة المسلم والعربي، أو نتيجة لجهلهم ولامبالاتهم،⁴ ويذكر كذلك جاك شاهين في كتابه المخادعون: العرب في وسائل الإعلام الأمريكية، أن استمرارية هذه الصور النمطية إلى وقتنا هذا

¹ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، ص52.

²ينظر: إبراهيم أبو خطالة، الغول الجديد: التربية الخاطئة للعرب، ص272.

³ينظر: المرجع السابق، ص61.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص61.

لا تتوقف فقط على الإعلام الغربي وإنما يلعب الجهلة أو المتجاهلون من الإعلاميين العرب والمسلمين دورا في ترسيخ هذه الصور وتشيئها.¹

يعتبر الاستسلام والعجز العربي من أهم العوامل المساهمة في استمرارية الصور النمطية للمسلم، وفي التأثير على الواقع السينمائي، والتعامل مع مشاكله، وكما أن غياب دور المسلم الإيجابي الفعال والملحوظ عن الساحة السينمائية، لافتقاره للإمكانات والقدرات المادية والتقنية اللازمة لمنافسة الغرب، وتحقيق الإنجازات العظيمة في ذات المجال.

المطلب الأول: أبعاد صياغة الصور النمطية للمسلم.

"دائما كانت هوليوود وواشنطن شريكتي سرير واحد"². ستيف اوهايغن³.

لا بد أن الأفلام السينمائية تأثرت منذ نشأتها بمجريات الأوضاع السياسية والحالات الاقتصادية والاجتماعية، وما من شك أنه لا يمكن فصل هذه العوامل بحدود قاطعة عن السياق التاريخي والتسلسل الزمني للأحداث، إذ تفاعلت هذه العناصر وعملت بشكل متضافر، وفي شيء من الاتساق والتوحد، لتتفاعل بعضها مع بعض وتشكل علاقة تأثير متبادلة مع الصورة السينمائية عبر التاريخ.⁴ ومن أقدم هذه الصور التي شهدت تغيرا ملحوظا مع تغير الأحداث المهمة والظروف المحيطة في وسائل الإعلام الغربية هي صورة الإنسان المسلم في السينما الأمريكية؛ وعلى الرغم من تطور هذه الصور واكتسابها لأبعاد وسمات جديدة، إلا أنها لم تخرج عن التوجه المتمثل في تكريس الصورة النمطية المشوهة للشخصية المسلمة⁵.

اتخذت صورة الإسلام ذلك الطابع السلبي منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا، إذ بدأت بالتشكل والظهور مع بدء المواجهة بين الإسلام والغرب والحركات التبشيرية.⁶ ومنذ ذلك الوقت بقيت الصور الغالبة للإنسان المسلم على أنه شخص همجي، وبدائي، وشرير، وفاقد لمعالم التحضر والتمدن.⁷ اشتقت

¹ينظر: يامن بودهان، تحولات الإعلام المعاصر، ص51.

²ريما المسمار، الإرهاب والسينما، ص110.

³سنيف اوهايغن هو ناقد سينمائي في مجلة "إمباير" السينمائية البريطانية.

⁴ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب، ص21.

⁵ينظر: المرجع نفسه، ص25.

⁶ينظر: يامن بودهان، تحولات الإعلام المعاصر، ص49.

⁷ينظر: أيمن يوسف، تنميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية والفوبيا، ص119.

هذه الصور منذ القدم في الغالب الأعم من روايات الرحالة الأوروبيين وقصصهم، الذين افتتوا بسحر الصحراء والواحات الخضراء تارة، ووصفوها بالمكان المتخلف بعاداته وتقاليده تارة أخرى. فقد ظهر الشرق في صورهم على أنه مكان مليء بالشعوذة والمجون، وأنه يحتوي على القصور المليئة بالجواهر والدرر، وبالملوك والخدم، والجواري والنسوة الراقصات شبه العاريات¹. وازدادت حدة هذه الصور بعد اتخاذها صفات دينية سياسية، فمذ الفتوحات الإسلامية للدول الأوروبية، وانطلاقاً من الحروب الصليبية والاستعمار وُصف العرب والمسلمون بأنهم هائجون، وقساء، وأشرار، وعدائيون².

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، أُلصقت بالإسلام والحركات الإسلامية المعارضة والمعادية للنموذج الغربي مصطلحات كأصولية، والانغلاق الفكري، والتزمت العقائدي، والتطرف الديني، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين في مصر التي تأسست عام (1928م) على يد حسن البنا. استمرت هذه الصور النمطية لتأخذ شكلاً وبعداً آخر، فبعد انطلاقة الثورة الإسلامية في إيران عام (1979م) والجهاد الأفغاني إلى يومنا هذا، بدأت تتصاعد ظاهرة الإرهاب، والخوف من الإسلام والمسلمين³.

وتفاقت هذه الصور بعد ظهور القاعدة، ففي خطاب بوش (2001/9/20م) قال: "حربنا على الإرهاب تبدأ من القاعدة، لكنها لا تنتهي هناك. وهي لن تنتهي إلا حين العثر على كل جماعة إرهابية قادرة على الوصول إلى العالم، ووضع حد لها وهزيمتها"⁴. وطالت مدة هذه الصور، وازدادت غلاظتها ووحشيتها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وبداية البحث الأمريكي عن العدو البديل للشيوعية لتبرئة كل أفعالها الغربية الاستعمارية وتسويغها. وفي عام (2001م) شكلت أحداث أيلول منعطفاً حقيقياً لترسيخ هذه الصور النمطية المرعبة للإسلام وامتدادها إلى الصور السينمائية⁵.

نجحت هوليوود في استغلال هذا العداء الديني والعرقي، وصب العالم في قوالب لخدمة مصالحهم الاقتصادية والسياسية على مر التاريخ، فمن أجل تعزيز المصالح الأمريكية والغربية عملت هوليوود على اتباع استراتيجيات معينة، كان أولها تجسيد الخوف والرعب تجاه الآخر، وأن الأمريكي عرضة للخطر والتهديد من قبل جماعات طائفية وشريرة، فهناك العديد من الأوغاد والمتأمرين الذين يشكلون خطراً مستمراً يهدد الجماعات الأمريكية المسالمة⁶. وقد استغلت السينما الأمريكية ذلك من خلال ضخها للرعب تجاه

¹ينظر: إبراهيم دعدوش، ضريبة هوليوود، ص17.

²ينظر: أيمن ندا، الصور الذهنية والإعلامية، ص175.

³ينظر: أيمن يوسف، تنمية الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية والفوبيا، ص119.

⁴ ينظر: ريما المسمار، الإرهاب والسينما، ص108

⁵ينظر: المرجع السابق، ص119.

⁶ينظر: ضياء الدين سردار، الحلم الأمريكي كابوس العالم، ص215.

الآخر في أفلامها، وادعائها في المقابل أنها تمتلك مفاتيح الخير بخوضها لمعارك هدفها قمع الشر وتضييق دائرته، ودحره بوسائلها التكنولوجية المتقدمة، وذلك في سبيل نشر الخير وإنقاذ العالم.

وعملت هوليوود أيضا على زيادة التحامل ضد المسلم وتحويله إلى سمة نمطية تجرد مواقفه وسلوكه وحياته مما يسهل عملية تصنيفه ونشر التضليل المتعمد لتسويغ أي تصرف مهما كان لا أخلاقيا أو لا إنسانيا. بالمقابل، تغرق هوليوود الغرب بالقيم والمثل والأخلاقيات العليا، فلا كفاء ولا مثل له، وبذلك تثبت شعور الهيبة وتحافظ عليه في نفوس المشاهدين تجاه الحكومة الأمريكية، وترسخ حقها الطبيعي في الهيمنة.¹

وعلى إثر هذا النجاح الاستثماري الذي تحققه صورة العربي والمسلم على إيرادات الأفلام الأمريكية،² وفي سبيل تحقيق مآرب الحكومة الأمريكية، وصياغة السياسة الخارجية، وكسب المواطنين، توسعت جهود هوليوود للدعم الأمريكي والغربي بالوسائل كافة. فقد حُصصت العديد من المبالغ المالية من أجل توجيه الإعلام ضد الإسلام والمسلمين وفي سبيل مراعاة العوامل السياسية ومدى تداخلها لإعادة تركيب صورهم. كما عقدت اجتماعات جمعت بين المنتجين ورؤساء المؤسسات الترفيهية لتنظيم تعاون مستمر بين هوليوود والمؤسسات الإعلامية لخوض الحروب؛ ولتحقيق ذلك عقد اجتماع في البيت الأبيض وحضره العديد من رجال الأعمال والمستثمرين والعاملين في المجال السينمائي، أهمهم جاك فالنتي، رئيس جمعية الأفلام السينمائية الأمريكية، ورجل الأعمال الأمريكي والإعلامي سامنر رdstون، وجوناثان دولجن رئيس فاياكوم.³

وامتد هذا النفوذ مبكرا إلى يد السياسة الصهيونية، فقد انحاز الإعلام الأمريكي للشعب اليهودي ولثقافته، فهو يصور اليهودي على أنه الضحية والبطل، وأما الفلسطينيون فهم الهمجيون والقتلة والإرهابيون، وذلك في العديد من الأفلام التي تدعم القضية الصهيونية وتشجع فكرة الهجرة إلى أرض الميعاد وتروج لها، مثل فيلم "ملك الملوك" و"بيت أبي والشيخ". وفي عام (1948م) عملت هوليوود على إظهار الكيان الصهيوني بصورة البطل الذي يسعى للقضاء على الشرور، وعملت على إظهاره بصور تستقطب استعطاف العالم، كما في فيلم "سيف في الصحراء" (1949م)، وفيلم "الخروج" للمخرج الصهيوني أوتو بريمنجر. وفي منتصف السبعينيات، ومع اكتشاف بشاعة المجازر والجرائم التي ارتكبتها الكيان الصهيوني، بات من المهم التركيز على صورة العدو ورسمة في أطر إرهابية تظهر إسرائيل بصورة البطل، كما في فيلم "البرعم" (1975م).⁴

¹ينظر: المرجع نفسه، ص216.

²ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، ص28.

³فاياكوم هي شركة إعلام ضخمة أمريكية متعددة الجنسيات تتركز اهتماماتها على صناعة الأفلام والتلفزيون الكلي.

⁴ينظر: إبراهيم دعدوش، ضريبة هوليوود، ص18.

بالتالي، جاءت صورة الإسلام والمسلمين في هوليوود مرتبطة بأيديولوجيا غربية أمريكية متطرفة، تصب صفات الرجعية والتخلف عليهم لتكون صورًا إثنائية مشوهة وقائمة بأبعاد ودلالات اقترنت من الأساطير والخرافات في الوعي الجمعي الغربي عن الإسلام، ولتشكك به كديانة سماوية، ولتعتبره دينا إرهابيا رجعيا متطرفا. كما تشكلت صورة المسلمين في لدى الزعي الغربي بأنهم إرهابيون يؤمنون بالعنف والقتل والاضطهاد، وينكرون الحرية ويعادون الإنسانية، ممهدة هذه الصور الطريق للتبرير الأخلاقي للاستعمار والاستبداد.

المطلب الثاني: مسلمون بلا هوية.

"يصنف الذين يفتحون حدودهم كأصدقاء، أما البقية فأعداء" فل سكراتون¹.

في ظل ثبات هذه الصور السلبية والنمطية وتغشيتها وتأصلها في الأفلام السينمائية الأمريكية، وترسخها في العقلية الغربية، ومع استمرار تفاقم موجات العنصرية تجاه الإسلام والمسلمين، ومع عظم أعداد الأفلام السينمائية الأمريكية المسيئة للمسلمين مقارنة بالأفلام غير النمطية، إلا أنه في المقابل بدأت تتغير طبيعة صورة المسلم في هذه الأفلام. فالحكومة الأمريكية واعية تماما للأسباب والعوامل الاجتماعية والأيدولوجية التي قد تؤثر على الشخصية المسلمة وتتحكم في سلوكها وتوجهاتها، مدركة لما قد تفرضه الضرورات نتيجة انفتاح الشعوب على بعضها وتنامي أعداد المسلمين في الغرب.²

إن تهميش الهويات الاجتماعية والدينية وإنكارها وإقصائها بشكل دائم يَكُون لدى أفرادها مشاعر وعواطف سلبية، تؤدي إلى شحن المسلمين وشحذهم، بالتالي زيادة موجة الهجمات الناتجة عن تغشي الحقد والكراهية بين صفوفهم؛ فهذه المشاعر تعتبر من أهم الأسباب السيكولوجية لتبني خيار العنف في سبيل التخلص من الظلم، ولفت الانتباه إلى الهوية غير المعترف بها. فالبيئة المنبوذة عادة ما تكون البيئة الحاضنة للعمليات التي تستخدم العنف³، بالتالي تجنباً لحالات العنف، وكى لا تلعب جرعات الصور السينمائية دوراً وتأثيراً عكسياً، كان لا بد من صبغ المسلم بصور غير منمطة وإيجابية في بعض أفلامها. ففي فيلم (بلا

¹ مؤلف وباحث اجتماعي، كان عضواً في لجنة هيلزبورو المستقلة. وهو حالياً أستاذ بكلية الحقوق بجامعة كوينز بلفاست ومدير مبادرة الطفولة والانتقال والعدالة الاجتماعية

² ينظر: أرون كوندناني، المسلمون قادمون، ص 109.

³ ينظر: عبد المجيد مبلغى، الإرهاب تعريفه وآليات مكافحته، ص 46.

توقف (Non Stop) (2014م) للمخرج جومي كوليت سيرا، الذي يتحدث عن حادثة خطف طائرة والتهديد بقتل ركابها ما لم يتم تحويل مبلغ مقداره 150 مليون دولار إلى حساب تم تحديده من قبل الإرهابي. ظهرت صورة المسلم في هذا الفيلم بشكل غير نمطي وإيجابي، فهو الإنسان الطيب المؤمن، الذي لا ينفك عن مساعدة الغير بلا تكلف، وبذلك فهو فرد فعال وذو أهمية في المجتمع الذي يعيش فيه.

ولا يضعها ذلك في نفس الكفة، فالعديد من الأفلام غير النمطية لا تصنف كأفلام تعرض صورا إيجابية وإنما كأفلام تطرح صورا نمطية جديدة خاضعة للشروط الغربية الهوليوودية بهدف خدمة مصالحهم وتحقيق مآربهم. فقد صرحت إيفلين السلطاني¹ أنّ أدوار العرب والمسلمين تقتصر على دورين أساسيين وهما المسلم المشتبه به، أو المسلم المتعاون مع الأنظمة الغربية والأمريكية². فلا بد للمسلم من احترام شروط الأنظمة الحاكمة والتعايش معها، وأن يقدمها مقياسًا في الحكم على أموره من أجل تحسين صورته في الوعي الغربي وزيادة إمكانية تقبله فيه مما يعني سلب هويته الثقافية الإسلامية.

ومن أهم الأفلام الأمريكية التي تناولت قضية المسلم المتعاون، (فيلم الحصار The Siege) (1998م)؛ فكل المسلمين في هذا الفيلم إرهابيون، والمسلم الصالح هو المتعاون مع الحكومة الأمريكية، الذي يلعب دور عميل في (FBI). وفي عام (2001م) كذلك صدر فيلم (سقوط الصقر الأسود Black Hawk Down)، الذي يظهر فيه صورة المسلم المتعاون في دور العميل الصومالي الذي تعاون مع الأمريكان لإرشادهم إلى مقر القيادة. وكذلك ظهرت صورة المسلم الطيب في فيلم (المنطقة الخضراء Green Zone) (2010م) الذي يقوم على مساعدة الضباط الأمريكان في الوصول إلى القيادي السابق في نظام صدام حسين³.

وبذلك انعكست صورة الإسلام غير النمطية في الصور السينمائية الأمريكية على أنها علاقة فردية بين العبد وخالقه؛ فالإنسان المسلم يمارس شعائره الدينية بشكل فردي وطبيعي. كما ولا يعتبر الإسلام نظاما سياسيا، اقتصاديا، أو اجتماعيا شاملا، ولا يميل للتعصب أو العدوانية، فهو ينبذ العنف والإرهاب، والقضايا المعادية والمقاومة للغرب كافة، ولا يقبل بها، ويتعاون مع الغرب ويتماهى معه، ويقف في صفه في سبيل إرساء الأمن والسلام حتى يصبح جزءا من النسيج الأمريكي. وبذلك يتم تفرغ الإسلام الحقيقي من مضمونه،

¹ إيفلين السلطاني: أستاذة في جامعة ميتيغان، تتابع صورة العرب والمسلمين الأمريكيين في التلفزيون الأمريكي من عام 2001.

² ينظر: إبراهيم دعدوش، ضريبة هوليوود، ص84.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص88.

وإعادة تشكيل هوية المسلم بنزع هويته الثقافية المستمدة من الهوية الإسلامية،¹ فحتى لا يُرتاب في المسلم ولا يشتبه به لا بد أن ينبذ هويته وثقافته ومبادئه الإسلامية في سبيل التحرر.

¹ينظر: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص256.

المبحث الثالث: مرجعيات صورة الشخصية المسلمة في الغرب.

المطلب الأول: الاستشراق دوافعه وأسبابه

يطلق مصطلح الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها علماء الغرب، لدراسة علوم الشرق وتراثهم، وقد بدأت هذه الحركة بدراسة اللغة العربية والإسلام وانتهت بدراسة علوم الشرق كافة، وأديانهم، ولغتهم، وتاريخهم، وشعوبهم، وثقافتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وأوضاعهم. وقد خصصت نفقات هائلة، ومعاهد ومدارس، وبرامج في الجامعات الكبرى، لدراسة دور الاستشراق وتطويره ومناقشته وتفعيله. يختلف الباحثون والمؤرخون في معرفة أول من اهتم بالشرق ودراسته من الغربيين، إلا أنهم قسموا اهتمام الغرب بتاريخ الشرق الإسلامي إلى عدة مراحل تاريخية مهمة.¹

بدأ اهتمام الغرب بالإسلام مع انتشاره، وامتداد حدوده وفتوحاته، حتى بداية وهن الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر، ونتيجة لهذه الفتوحات واتساعها أصاب الأوروبيين خوف وقلق تجاه المسلمين وديانتهم. وأدى ذلك إلى تشكل نظرة نمطية محملة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عنهم، والتي رسخت لديهم قناعات وتوجهات عدائية ومعارضة تجاه المسلمين، في سبيل استهدافهم والنيل من وجودهم.² استمر هذا الاهتمام بالشرق الإسلامي ودراسته مع انهيار الدولة العثمانية، وقيام الحركات السياسية الإسلامية التي تسعى لبناء دولة إسلامية راسخة وقوية، وكان أبرزها ما قام به محمد علي من حملات عسكرية توسعية، وخروجه بالحركة الإصلاحية الداخلية في مصر. كما اهتم الغرب بالإسلام مع بروز المسوغات التي توحى بنهضة جديدة للشرق الإسلامي.³ فما كان على الغرب إلا أن يشكل قوة ردع وقمع ضدها، عن طريق إخراجها من التراث الإسلامي، في سبيل إخضاعها وضمان تبعيتها المطلقة للغرب.

استغل المستشرقون خوف الأوروبيين من الإسلام وأتباعه، فازداد حرصهم واهتمامهم بالشرق الإسلامي، إذ غدت الحضارة الإسلامية واللغة العربية، من أكثر ما اهتمت به الدراسات الاستشراقية. وقد كان للدوافع الدينية دور مهم وراء هذا الاهتمام، حيث سعت هذه الحركة غالباً لطمع بالإسلام والتنفير منه، وإبعاد المسلمين عنه، وقطع صلتهم بالله، والدفاع عن اليهودية والمسيحية ضد الإسلام، والتشكيك برسالة محمد ونبوته، وبالتراث الإسلامي، وبالقيم والعقائد الإسلامية، لتفريغ المسلمين وتدجينهم والسيطرة عليهم،

¹ينظر: عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص83.

²ينظر: عبد الله محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص8.

³ينظر: المرجع السابق، ص 13.

والتسلط على بلادهم واحتلالها وتحويلها إلى بلاد مستهلكة وغير منتجة، وذلك من خلال الاستيلاء على الموارد والثروات الطبيعية، والأسواق التجارية، واستغلالهم اقتصاديا. وقد سهل الاستشراق للغرب هذه الدوافع الاقتصادية والسياسية الاستعمارية، من خلال دراساته التي عيّنت بالحصول على كل المعلومات الخاصة بالبلاد.¹

ومع اختلاف الدوافع وتربطها إلا أنها تصب في هدف واحد، وهو تحويل المسلمين عن دينهم وتشتيتهم، لخدمة الأغراض السياسية، إذ يرى إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" أن الاستشراق نتاج لقوى ونشاطات سياسية معينة². وقد عمل المستشرقون على تحقيق هذا الهدف بإثارة الشبهات والافتراءات حول الإسلام، في محاولة للنيل منه، فسعوا للطعن في عدة قضايا ومعتقدات مثل حقوق المرأة في الإسلام، والرق والوسائل التي اتخذها الإسلام لتحرير الرقيق، بالإضافة إلى الشبهات حول بعض العبادات، كالزكاة والحج، وحول العقوبات في الإسلام، وغيرها³.

أسهمت أفكار المستشرقين وشبهاتهم وكتبهم ومؤلفاتهم في ثبات هذه الصور النمطية وما وقع عليها من تحريف أو إضافات، نتيجة للجهل بحقيقة الإسلام وأصوله، أو العداوة والحقده تجاهه⁴. ومن أشهر هذه المؤلفات، كتاب "النبي محمد (Mahomet)" لفولتير، و كتاب "الكوميديا الإلهية (The Divine Comedy)" لمؤلفه دانتي أليجيري، وقصص "ألف ليلة وليلة" التي ترجمت إلى أغلب اللغات الأوروبية، وغيرها العديد من الموسوعات، والمجلات والمقالات، وحتى المؤتمرات التي تعكس صورة الحضارة الشرقية للعالم الغربي منذ عام (1783م) إلى الآن⁵.

كما وصف الإسلام زورا في العديد من الأطروحات بالتخلف والانحطاط، وأن أتباعه إرهابيون وشهوانيون وبدائيون، وأن الحضارة الإسلامية هي حضارة نقيضة للغرب الذي يمتلك السلطة والمركزية والتفوق⁶. ومع هذا الاهتمام الكبير بالشرق وعلومه وثقافته وأديانه، لا يمكننا حصر مواقف الاستشراقيين وتوجهاتهم بأنها متعصبة وعدائية، فقد برزت بعض المؤلفات لمستشرقين أنصفوا الإسلام بأفلام غربية، مثل المستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه في كتابه "أشعة خاصة بنور الإسلام"، و المستشرق هارديان ريلاند صاحب كتاب "الديانة المحمدية"⁷.

¹ينظر: عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص91.

²ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص215.

³ينظر: أيمن يوسف، تنميط الإسلام في التصورات الغربية، ص126.

⁴ينظر: سمير حجازي، ثقافة العرب وثقافة الغرب في قراءة العصر، ص9.

⁵ينظر: المرجع نفسه، ص99.

⁶ينظر: المرجع نفسه، ص131.

⁷ينظر: المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، ص31.

المطلب الثاني: المسلم في الكتب والمناهج المدرسية الغربية.

بقيت الصور المشوهة والمضطربة والعنيفة للمسلم الذي يهدد أمن المجتمعات الغربية واستقرارها، سواء على الصعيد الأمني والسياسي، الاقتصادي، أو الاجتماعي، تتراكم مع الوقت وتنتقل عبر الأجيال من خلال وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة. ومع ذلك، فإن هذه الوسائل ليست المسؤول الوحيد عن تعزيز هذه الصور وتوجيهها وخلقها. فبالإضافة مع وسائل الإعلام أولى الغرب اهتماما واضحا تجاه الكتب والمناهج المدرسية الغربية، لتعمل جميعها في محصلتها النهائية على تشكيل وعي الغربي وإدراكه وفهمه للآخر، بالتالي تحديد مدى تقبله وطريقة تفاعله معه. إذ تعتبر الكتب والمناهج التعليمية المدرسية الغربية من أهم المرجعيات الرسمية التي تؤثر بشكل كبير في مراحل مبكرة على تشكيل القيم والمثل، والمعتقدات تجاه الثقافات الأخرى¹.

ومع وجود بعض الصور المشرفة للحضارة الإسلامية في المقررات الغربية، إلا أن معظم المناهج المدرسية الغربية قد ملئت بالعديد من الأغلاط المقصودة وغير المقصودة. ففي الكتب المدرسية الألمانية اتهم الإسلام وأتباعه بأنهم بدائيون، وهمجيون، متجاهلين دورهم الحضاري على مر التاريخ²، ويبدو هذا التجاهل والتبخيس واضحا وجليا كذلك في المناهج البريطانية والأمريكية. وأما في الكتب الفرنسية فقد بينت الدكتورة مارلين نصر³ في كتابها صورة العرب والمسلمين في الكتب المدرسية الفرنسية، أن صورة المسلم في كتب القراءة والتاريخ للمرحلة الابتدائية، والثانوية، طُمست على مر التاريخ، وتم التأكيد على دونية المسلم مقابل الغربي، فهم دائما ما يظهرون بصورة الفقراء والمتسولين، والبدو، والخدم، وعمال المصانع، واللاجئين، والرعاة⁴. وفي المناهج الأسترالية اتهم المسلم بالعدائية والعنف وأنه ينتمي إلى ديانة انتشرت بحد السيف. أما في إسبانيا فقد حرم تعليم الإسلام لفترات طويلة من الزمن منذ طرد المسلمين من الأندلس وتولّى الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية لأمر التعليم⁵.

من أهم الصور والقضايا التي أثارتها هذه الكتب وركزت عليها هي صورة الرسول محمد ﷺ، الذي وصف تارة على أنه الرسول الفقير المعدم، وتارة أخرى بالرسول المستبد بطبعه، كما وصف بصفات كالدهاء والمكر والعنف، والسحر، والعداء. فعلى سبيل المثال ادعى كتاب التاريخ للصف الأول الثانوي في فرنسا

¹ينظر: إبراهيم أبو خطالة، الغول الجديد: التربية الخاطئة للغرب، ص255.

²ينظر: محمد أحمد، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، ص153.

³مارلين نصر: باحثة لبنانية، تعمل الدكتورة مارلين نصر أستاذة باحثة ومساعدةً لمدير شؤون البحث العلمي في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في مكتب بيروت.

⁴ينظر: مارلين نصر، صورة العرب والمسلمين في الكتب المدرسية الفرنسية، ص320.

⁵ينظر: المرجع السابق، ص163.

الصادر عن مطبعة هاتيه، بأن محمداً ﷺ هو الرسول الوحيد المهم بالنسبة للمسلمين، وأنه الوحيد الذي يجد فيه المسلمون الأسوة الحسنة، وأنه سم يعيث في الأرض الفساد ويشكل بذلك عدواً أساسياً للكنيسة الكاثوليكية.¹

كما استهدفت هذه الكتب الإسلام بطريقة منفرة، إذ تناولته كديانة تحت على أشكال العنف المختلفة، والدمار، والخراب، والقسوة، والإكراه وذلك في سبيل رسالتها. كما يتناول الكتاب في طياته الحديث عن سلمية المسيحية وعن النهضة الأوروبية بشيء من التفصيل، وفي المقابل يتحدث عن الحضارة الإسلامية وانهارها بشكل غير منصف ليعزز من دونية الحضارة الإسلامية في عقول النشء. وكما يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المدرسية التي تجاهلت دور العرب والمسلمين وفضلهم على الحضارة الأوروبية وإسهاماتهم على الحضارة الإنسانية.²

رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز صورة الإسلام والمسلمين في الكتب والمناهج الأمريكية بعد أحداث (11 أيلول 2001)، التي أظهرتهم بصورة بدائية. فعادة ما يوصف المسلمون بأنهم راكبوا الجمال، وبالبدو، والرحل، وأنهم أهل الصحراء، كما اقترنت صورهم بالعنف والإرهاب والتطرف والاضطهاد. وفي المقابل، صورتهم بعض الكتب على أنهم رجال النفط الجشعين، وأنهم غير أميين، ودكتاتوريون، وغيرها من الصور القاتمة والسلبية التي دُست في الكتب المدرسية الرسمية.³ وتحول مثل هذه الصور دون تحكيم عقل الطالب غير المسلم، وفهمه للأمور والحقائق، وذلك بعد كل ما يتعرض له من مؤثرات ومواد مشبعة بالتدليس والتحريف والتحريض على مدار سنوات، والتي تعمل مجتمعة كأداة أساسية لبلورة عقل الفرد وقناعاته تجاه الآخر.

تشكلت هذه الصورة السلبية بكل ما تحمله من دلالات ومعان ضد الإسلام والمسلمين في الكتب والمناهج المدرسية الغربية، لعدة أسباب كان أهمها، صنغ الغربيين لكتبهم ومقرراتهم بقدر كبير من الأخطاء المسندة إلى مرجعيات سياسية دينية، وحركات تنصيرية وتبشيرية، غير منصفة للحضارة الإسلامية، التي عملت على تشويه تعاليمها وعقائدها الإسلامية. كما شكل اعتماد الغرب على أطره ورؤيته الخاصة في فهم الإسلام والمسلمين بعيداً عن رؤيتهم ومصادرهم الثابتة ومرجعياتهم إلى سد الطريق أمام الفهم والوعي الحقيقي بهذا الدين وأتباعه. ولا شك أن الجهل والاستخفاف بالآخر وإقصائه، وعدم الاعتراف به، وعدم المبالاة، وتكريس مبدأ السيد والعبد، وامتلاك نزعة التفوق والهيمنة الثقافية والعرقية والحضارية للآخر، عوامل تدعو

¹ ينظر: المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، ص42.

² ينظر: المرجع نفسه، ص42.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص50.

لتبني جرائم التحيز والتعصب والتحامل تجاه المسلمين ونبذهم وتشويه صورتهم وصورة ديانتهم، وتضعف احتمالية الاهتمام بهم وبقضاياهم، وتاريخهم.¹

وبذلك يرى المنتبع لصورة المسلم في الكتب والمناهج المدرسية الغربية، بأن الصورة العامة للإسلام وأتباعه في العقل الجمعي الغربي تأثرت على مر التاريخ بصور وإسقاطات رسمت نتيجة لسنوات من التعليم المبني على ما خلفته الحركات الاستشراقية، المرتبطة بنظم سياسية ودينية، والتي عززت دونية الشرق مقابل الغرب، وصورته عنصرا سلبيا وغير فاعل. وبذلك، شكلت هذه الكتب والمناهج مدخلا أساسيا لمواصلة الهيمنة الغربية من خلال تضليل الطلبة الغربيين عبر جرعات دسمة من التحريض تجاه الإسلام، وكذلك بإدخال معلومات مضللة، وتعديلات وإضافات خاطئة ومغلوطة، من شأنها أن تعمل على تدليس الوقائع وتزويرها، دون أدنى مراعاة للحقائق الدينية والتاريخية للحضارة الإسلامية.

¹ينظر: محمد أحمد، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة عرض ونقد، ص170.

المبحث الرابع: الإسلاموفوبيا ودور السينما الأمريكية في التخويف من الإسلام.

لم تهدأ الصراعات بين الإسلام والغرب على مر تاريخها الطويل، حيث شهد التاريخ الإسلامي منذ بداياته سلسلة من التحديات والصراعات والمظالم التي سعت لتشويه حقائقه والتشكيك بقيمه فطالما شكل الإسلام تحدياً حقيقياً للغرب. وقد برزت هذه التحديات في موجة من الثورات والصراعات العسكرية بطابع ديني بين الإسلام والغرب، تمثلت بالفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وبالحراب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، وكذلك احتلال الغرب للدول الإسلامية، والعديد من الصراعات الإقليمية والدولية والإثنية.¹

شهدت الأعوام الماضية تزايداً في حدة هذه التحديات مع اختلاف صورها ووسائلها وأساليبها. فإثر تقاوم هذا الصراع بين الإسلام والغرب، وانطلاق الثورة الإسلامية وصحوتها في إيران، والجهاد الأفغاني في أفغانستان، وظهور القاعدة، وبعد أحداث (11 أيلول/سبتمبر 2001م) في نيويورك تصاعدت حالات التمييز والاضطهاد ضد المسلمين، وزاد تعرضهم للعديد من المضايقات والتدخلات، وحالات التهجير والسجن والضرب والتعذيب والعنف، وذلك نتيجة لتحول الإسلام إلى نوع من الفوبيا المزمنة والخوف الكامن لدى الإعلام الغربي، الذي برع في إلصاق تهمة الإرهاب والعنف والتطرف به وبالمسلمين.²

حاول كثير من المفكرين والمفسرين تحليل ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا Islamophobia) والإحاطة بها بنسبتها إلى عدة ظروف تحكمها، وأسباب مباشرة تؤثر فيها، وعقدت عدة مؤتمرات وندوات في سبيل امتلاك القدرة على تفسيرها والتنبؤ بها، ومن هذه المؤتمرات المؤتمر الدولي الذي انعقد بجامعة ويستمنستر بلندن عام (2001م) تحت عنوان استكشاف الإسلاموفوبيا والتعصب. حيث أكد المؤتمر على خطورة الإسلام، وأن ظاهرة الإسلاموفوبيا في نمو وتزايد فقد باتت أكثر خطراً ووضوحاً وحضوراً وتطرفاً، وهذا ما أكدته أيضاً العديد من الأبحاث والدراسات الغربية التي تناولت موضوع الإسلاموفوبيا وأسبابها وظواهرها، مثل الدراسة التي صدرت عن مؤسسة "رنيميد ترست"³.⁴

تكمن أهم الأسباب الحقيقية التي تقف وراء الخوف من الإسلام في تمسك المسلمين بهويتهم الإسلامية وتشبثهم بها، وصعوبة اندماجهم في المجتمعات الغربية. فعلى عكس المجتمعات الرأسمالية فإن

¹ينظر: سعيد اللاوندي، فوبيا الإسلام في الغرب، ص113.

²ينظر: أيمن يوسف، تنميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية والفوبيا، ص120.

³رينيميد ترست: هي مؤسسة فكرية تأسست عام 1968 من قبل جيم روز، وأنطوني ليستر، بهدف العمل كمركز مستقل للمساواة بين الجنسين.

⁴ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص74.

الإسلام يؤمن بأن السلطة المطلقة هي لله، وأن حاكمية الكون له وحده. وشكل انتشار الثقافة الإسلامية وخاصة في صفوف الشباب، وتنامي الصحو الإسلامية أو المد الإسلامي بكل أشكاله، وتزايد أعداد الحركات الإسلامية التي تهدف إلى إقامة نظام إسلامي لا يقبل الذوبان مع الغرب عاملاً أساسياً للخوف من الإسلام وأتباعه. ولا شك أن النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، وموقف الحركات الإسلامية تجاه القضية، ومناصرة العالم الإسلامي للفلسطينيين ودعمهم، وتأكيدهم على إسلامية القدس وعروبته، وما قد يترتب على ذلك من خلافات سياسية وتاريخية، وأزمات وحروب في منطقة الشرق، يشكل عقدة خوف وتهديد لدى الغرب ومصالحه.¹

يعزز صاموئيل هنتجتون² في نظريته صدام الحضارات ظاهرة الخوف من الإسلام، إذ يرى أن زيادة أعداد المسلمين المهاجرين إلى الغرب، وكذلك ارتفاع أعداد المعتنقين للإسلام، يشكل تهديداً حقيقياً يزاحم الغرب، كما يرى أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، تشكل الحضارة الإسلامية البديل والعدو الجديد للغرب.³ وقد تبني العديد من المفكرين والمحليلين السياسيين هذه النظرة العدائية تجاه الغرب، حيث صرح الأمريكي برنارد لويس⁴ في محاضرة له عام (1990) بمخاوفه تجاه الحضارة الإسلامية المعارضة للغرب والمهددة لقيمه، التي لا تقبل الاختلاف، ولا تعترف بالآخر، مما يؤكد على ديمومة الصراع بينهما وحتميته. ويتفق الباحث البريطاني رونميدي تروست (Runnymede Trust) معهما في كتابه الإسلاموفوبيا تحد لنا (Islamophobia: Challenge for Us) الذي يؤكد فيه أن القيم الإسلامية لا يمكن أن تتفق أو تتسجم والقيم الغربية.⁵

كما أن امتداد الجهل بالإسلام وأتباعه على مدار سنوات شكل وباءً يواجه المجتمعات الغربية بأكملها، إذ تمكنت المناهج الغربية ووسائل الإعلام بكامل تقنياتها وأساليبها من تعزيز هذا الجهل العمد والخطير بالحقائق الدينية الإسلامية، فقد ركزت هذه الوسائل واقتصرت في حديثها على الديانة المسيحية، وإظهارها على أنها البديل الطبيعي للإسلام، وعملت على تشويه صورة المسلم، وإظهاره بصورة الإرهابي المتعصب المحارب لأمريكا وإسرائيل والغرب الذي يهدد أمنها واستقرارها، مما يزرع الخوف والرعب ويرسخه في قلوب المواطنين الغربيين.⁶

¹ ينظر: محمد بشاري، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ص148.

² عالم سياسي أمريكي ومفكر محافظ، بروفوسور في جامعة هارفارد، أكثر ما عرف به على الصعيد العالمي هي أطروحته بعنوان صدام الحضارات.

³ ينظر: صامويل هنتجتون، صراع الحضارات، ص297.

⁴ أستاذ بريطاني أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب واشتهرت أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية.

⁵ ينظر: المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، ص114.

⁶ ينظر: المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلاموفوبيا، ص151.

ويشكل البعد الديني والتاريخي بين الإسلام والمسيحية عاملا يستدعي التناظر بينهما، فبسبب حملات التبشير الدينية السياسية بعد الحملات الصليبية، تعمد المتطرفون من أتباع الكنيسة ورهبانها على تشويه صورة المسلمين ومعاداة الإسلام بقصد التخويف منه، من أجل تخليص العالم من هذا الشر. حيث أشار صمويل زويمر¹ في مؤتمر القدس التصيري عام (1935م) أن المهمة الأساسية من عملية التبشير هي إخراج المسلمين من الإسلام لا إدخالهم في المسيحية بالتالي قطع أي صلة حقيقية له بالله،² وذلك ما يؤكد أنه على الرغم من ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا في القرن العشرين، إلا أن حقيقة الخوف من الإسلام متجذرة في ذاكرة الغربي وعقله منذ القدم، ويتم تناقلها من جيل إلى جيل.

تشير عدد من الدراسات في تناولها لظاهرة الإسلاموفوبيا، إلى أنها أطروحة وهمية لا صحة لها، حيث أنها صناعة يتم تعزيزها وحبكها من قبل الحكومات الغربية، والحركة الصهيونية، وأنصارهم، في محاولة لمواجهة هذا الخطر الإسلامي الداهم والتخلص منه ومن كل ما قد يحمله من أفكار دينية سياسية ثقافية تتعارض مع الغرب. من أجل ذلك، كان التخويف والإرهاب هو الحل الأنجع والمطلوب لدفعه وللتخلص منه. حيث أفصح الباحث الفرنسي فانسن جيسر في كتابه الإسلاموفوبيا الجديدة، إلى أن الإسلاموفوبيا ظاهرة سياسية من اختراع مفكرين غربيين تربطهم علاقات مع أجهزة الاستخبارات الفرنسية، مثل ألكسندر ديل فال، وتاغيف وتريفانون وغيرهم³.

وفي خضم كل ذلك يبدو أن المستفيد الأول هو الأمريكي، الذي جعل من ظاهرة الإسلاموفوبيا والحرب على الإرهاب غطاءً أيديولوجيا لشرعنة العنف الممارس من قبله تجاه المسلمين الذين يقاومون النفوذ الأمريكي والإسرائيلي.⁴ فالمسلم قد يشكل خطرا بتبنيه للقيم والمعايير الإسلامية وتشبثه بها، ولذلك لا بد من صده والتخلص منه. كما و قد يشكل مواطنا صالحا لدى باندماجه وتخليه عن هذه القيم والمعايير ولذلك كان لا بد من استخدام القوى الناعمة في سبيل خلق تصور يجعل من المسلمين مشكلة حقيقية وحساسة تتغلل وسط الغربيين من أجل توجيه ذلك لمصلحة القوى الأمريكية.⁵ فقد استطاعت وسائل الاتصال والإعلام الغربية المتعددة، والسينما الأمريكية خاصة أن تشكل عاملا أساسيا في تكوين الصور السائدة والنمطية المسيسة والمرعبة للإسلام والمسلمين في العقل الغربي وحتى العربي.

¹ميشر أمريكي رحالة وباحث.

²ينظر: محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية، ص236.

³ينظر: المرجع السابق، ص112.

⁴ينظر: أرون كوندناني، المسلمون قادمون، ص61.

⁵ينظر: المرجع نفسه، ص98.

وقد تمكنت السينما الأمريكية أن تغرس بذور الخوف من الإسلام في عقول المشاهدين. فقد خلقت هوليوود بأفلامها وأساطيرها انطباعاً على مدار سنوات طوال بأن الإسلام يحرض على القتل والظلم والعنف والإرهاب وسفك الدماء.¹ وقد تبنت هوليوود مصطلح الحرب على الإرهاب في سلسلة من أفلامها مجسدة بذلك حالة من الرعب تجاهه. ففي فيلم (المملكة The Kingdom) (2007م) للمخرج بيتر بيرغ، تتمتع صورة الفريق العسكري الأمريكي بطابع بطولي بعد وصوله إلى المملكة العربية السعودية من أجل تصفية العدو ومقاومة الإرهابيين.

ويرصد فيلم (كتلة أكاذيب A Body of Lies) (2008م) لريديلي سكوت سيطرة المخابرات الأمريكية وسيادتها وهيمنتها، ويعزز حقيقة أنه لا فكاك منها. كما تتناول العديد من الأفلام الإسلام والمسلمين بصورة الإرهابيين المعادين للغرب، مثل فيلم (مركز التجارة العالمي World Trade Center) (2005م) للمخرج أوليفر ستون، الذي يتناول من عنوانه أحداث (11 أيلول 2001)، وفيلم (قرار تنفيذي Executive Decision) (1996م)، وفيلم (الحصار The Siege) (1998م)، وفيلم (سقوط لندن London has Fallen) (2016م)، وفيلم (الخطوط الجوية المتحدة 93 - 93 United 93) (2006م)، وكذلك فيلم (أنديانا جونز والحملة الأخيرة Indiana Jones and the Last Crusade) (1989م)، وفيلم (اسمي خان My Name is Khan) (2010م)، وفيلم (زيرو دارك ثيرتي Zero Dark Thirty) (2012م)، وفيلم (التصادم Crash) (2004م).

عززت مثل هذه الأفلام الغربية الهوليوودية ظاهرة الإسلاموفوبيا، إذ عملت بصورها السينمائية لدوافع سياسية واقتصادية، على تبني الصور والأفكار التي تحض على الإرهاب؛ إذ ترى هوليوود في صورة الإرهابي المعادي للغرب مصدراً مهماً من مصادر الترويج والربح السريع في أفلامها.² فعملت لذلك على أسلمة الإرهاب، وتوجيه أصابع الاتهام نحوه، وتعزيز الصور النمطية وبنائها عن طريق وصم الإسلام بقيم العنف، التي تؤدي بثباتها وتكرارها إلى تأصيل العداء العميق بين الإسلام والغرب، وإشاعة الرعب والخوف بين المشاهدين.³ فغدت بذلك هوليوود مصنعا رئيساً للتشويه والتحقير الذي تحكمه مصالح وأهداف معينة.

¹ ينظر: ربما المسمار، الإرهاب والسينما، ص165

² ينظر: حازم صاغية، الإرهاب والسينما، ص24.

³ ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب، ص12.

الفصل الخامس

مختارات سينمائية أمريكية تناولت الإسلام والمسلمين.

تحتل السينما الأمريكية بقدرتها على صياغة وترويج العديد من الصور المباشرة والمبطننة، حيث قدمت في أفلامها عددا من الصور المتنوعة للعرب والمسلمين بشكل مباشر أو غير مباشر، وسوف نستعرض عددا من هذه الصور التي قدمتها السينما الأمريكية منذ عام (2001م) إلى عام (2018م).

المبحث الأول: المسلم الهمجي: فيلم كامب إكس راي Camp X-Ray.

ينتمي فيلم (Camp X-Ray) الأمريكي، من إخراج (Petter Sattler)، وبطولة كريستين ستيوارت، وبيمان المعادي، إلى الأفلام الدرامية الحربية. تم تصوير الفيلم في لوس أنجلوس، كاليفورنيا، وكان الموقع المستخدم لتصوير المشاهد والأحداث هو سجن فريد س. نيلس (Fred C. Nelles) المغلق حاليا في كاليفورنيا. عرض الفيلم لأول مرة بتاريخ (17 يناير 2014م)، في مهرجان سن دانس (Sundance)

السينمائي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتم إصداره بتاريخ (17 أكتوبر 2014م)، محققاً أرباحاً وإيرادات عالية حول العالم.¹

تقع أحداث الفيلم وتفاصيله في معتقل غوانتانامو، تحديداً في معسكر إكس راي، أحد أقسام المعتقل الأمريكي الذي شيد بعيداً عن كافة القيم الأخلاقية والمواثيق الدولية.² ومع تعدد الأفلام السينمائية الأمريكية والعالمية التي تناولت هذه القضية إلا أن المخرج والكاتب الأمريكي بيتر ستلر يبهنا في طريقة عرضه لمشاهد هذا الفيلم من خلال ابتعاده عن السياق التقليدي في سرد التفاصيل، إذ تدور أحداث الفيلم وحبكته بعيداً عن الجدل الحاصل حول هذا المعتقل وعن مشروعيته، وعن وضع المعتقلين فيه، ليركز بدلاً من ذلك على دراما يومية واقعية بين مجنونة أمريكية (كريستين ستوارت) وأحد المعتقلين (بيمان معادي) في هذا السجن.

يقدم فيلم كامب إكس راي للمشاهد الأمريكي صورة نمطية ضيقة وعدائية عن المسلم، وذلك من خلال مشاهد افتتاحية التي تعزز هذه الصورة، وترتبط بشكل حاسم وسريع بين الإسلام والإرهاب في أعماق اللاوعي للمشاهد من خلال المشهد الأول الذي يجمع بين فعل الصلاة وتداول نشرة إخبارية لأحداث 11 أيلول، والذي يتبعه مشهد لاعتقال عدد من المسلمين المتهمين بالإرهاب. فتضيف هذه المشاهد القائمة مزيداً من الشرعية على عملية التتميط، وتشكل سبباً كافياً للمشاهد ومبرراً واضحاً للدوافع التي أدت إلى زج كل من هو متهم بالإرهاب في سجن غوانتانامو الذي يفنقر إلى أي جانب من جوانب الإنسانية.

يركز القسم الأول من الفيلم على تقديم العديد من الإشارات والدلالات والرسائل الضمنية التي توصل الصورة النمطية والتي تمثلت بصورة المسلم المحتقر للمرأة، والهمجي الإرهابي:

1- المسلم الهمجي المحتقر للمرأة:

المعتقل بغضب: سأخذ الكتاب، و لكن أنت من ستعطيني إياه.

الحارس الأمريكي: حسناً، ولكن اهدأ.

الحارسة الأمريكية كول موجهة الكلام للحارس: هل قمت بشيء خاطئ؟

¹ينظر: <https://www.imdb.com/title/tt2994190>

²يقع معتقل غوانتانامو في خليج غوانتانامو أقصى جنوب شرق كوبا، وبدأ استعماله في عام 2002م، بعد أحداث 11 أيلول 2001م، إذ اعتقل الجيش الأمريكي عدداً كبيراً من العرب والمسلمين ونقل المئات منهم إليه.

الحارس الأمريكي: كلا، هؤلاء الرجال لا يحبون الفتيات، إنه أمر يتعلق بالعرب.

دار هذا النقاش بعد أن أثرت تائفة أحد المعتقلين عندما قامت المجندة الأمريكية كول بسؤاله إن كان يريد كتابا أثناء أدائها لمهمتها، ليثور عليها ويبدأ بالصراخ في وجهها وشتمها، وإهانتها، وتهديدها، بشكل همجي ولا يهدأ حتى يتدخل زميل المجندة في مناوبتها تلك، فيأخذ المعتقل الكتاب ويقبله على شرط أن يسلمه إياه المجند فقط، و في هذا دلالة على كراهيته أو احتقاره للنساء، لينقل المخرج لنا صورة أولية عن اضطهاد الرجل المسلم للمرأة بشكل عام، وإهانة الديانة الإسلامية لها. ففي عدم قبول المسلم المعتقل التعامل مع المجندة، دلالة على دونية مكانتها مقارنة بالرجل.

2- المسلم الهمجي الإرهابي:

أدت مجموعة من مشاهد الفيلم عملها كوظيفة تعبيرية توضح للمشاهد العديد من الدلالات الرمزية عن الشخصية المسلمة وعن همجيتها وشراستها في التعامل مع الآخر، إذ جمع المخرج بين دالتين في افتتاحية الفيلم للتعبير عن هذه الصورة، وهما الصلاة التي تمثل الديانة الإسلامية، وصورة أحداث (11 أيلول 2011م) التي تمثل العنف والإرهاب، وتُظهر الإسلام ديناً عدوانياً، ودين ترويع وتخويف، يسعى لتدمير الحضارات، ويقف أمام محاولات التطور والرقي.

اكتملت مواصفات هذه اللوحة بعد أول مشهد في القسم الأول من الفيلم، عند دخول مجموعة من الحراس والمجندين الجدد إلى المعتقل للتعرف على أقسامه، حيث أظهر المخرج مجموعة من المعتقلين العرب والمسلمين الملتحين وحالة من الشغب تستولي عليهم، إذ استقبلوا الحراس والمجندين بالصراخ والوعويل، وقاموا برجمهم بوابل من الشتائم والتهديدات باللغتين العربية والإنجليزية الركيكة. فكانت هذه الصورة معبرة وصريحة بمدى همجية المعتقلين وسلوكهم العدواني الحاد، الذي يوحى بالشر والعنف والإرهاب، وبمعادة المسلمين لهم ظاهراً وباطناً. وفي لقطة مقربة يبرز لنا المخرج أحد الشخصيات الرئيسية في الفيلم، وهو المعتقل المسلم علي أمير، مانحاً إياه القوة من أجل إيصال الفكرة الأساسية بأن هدوءه الأولي على نقيض باقي المعتقلين يعطيه خصوصية الاختلاف وهو ما سنقوم بتوضيحه في باقي أقسام الفيلم.

بدأت أول مهمة عملية للمجندة الأمريكية كول، فور وصول الجنود إلى المحطة الأخيرة للمعتقل، واستدعاء الضابط المسؤول عنهم لقمع أحد المعتقلين. شاركت كول في هذه العملية بانضمامها إلى مجموعة قوة ردة الفعل الأولية، لتقوم بقمع أول معتقل مسلم بالقوة، فتلقى منه بصقة على وجهها، تسبقها ضربة قوية

على فكها، ليبقى أثرها الطفيف على وجهها بضعة أيام، وفي ذلك إشارة للشخصية الهمجية والعنيفة التي يتمتع بها هذا المعتقل المسلم، والخالية بطبعها من معاني الإنسانية.

"هم من نفذوا 9-11" هذا ما قاله وأدلى به أحد المجندين لكول عندما عبرت له عن شعورها بالذنب حيال المعتقلين في سجن غوانتانامو، فهي تؤيد أنهم ليسوا بهذه الهمجية والقسوة كما يظن البعض، وإنما فرضت عليهم الظروف غير العادلة ما هو غير مرغوب، أو غير متوقع. تدخل كول بحالة من الحيرة والتخبط، بعد تطور علاقتها تدريجيا مع علي أمير واكتشافها الجانب الإنساني الذي يكمن في داخله وتراه مناقضا ومختلفا عما صوّر لها من قبل، معبرة عن ذلك قائلة: "الأمر ليس بالأبيض والأسود كما قالوا إنه سيكون".

كان التعميم في عبارة ("هم" من نفذوا) الذي يستهدف كل العرب والمسلمين والمعتقلين كافيا لتجسيد أفكار باطنية أكثر خطورة وعمقا، ونشر معتقدات وثقافة خاطئة لدى المشاهد الغربي، كتمجيد الديانة الإسلامية للعنف على السلام، وكنّ المسلمين لمشاعر الحقد والكره الشديدين للغرب، وخاصة للأمريكان. حيث تحمل صورة قتل المسلمين وضربهم واستهدافهم لأرواح الأبرياء بلا رحمة تضمينات تعبيرية تخدم الصورة المنقوصة للمسلم العربي تحديدا وتأصل فيه جل صور العنف والإرهاب.

من السهل على المشاهد الغربي أن يفترض بأن غياب القسوة البدنية والعنف الجسدي والشراسة والإذلال في الفيلم يعني غياب المعاناة الحقيقية للمعتقلين في سجن غوانتانامو. ففي الحقيقة لم نر في الفيلم مشاهد تعذيب أو بتر أعضاء وجرائم، أو حالات موت في أقبية وسرايب هذا المعتقل، إلا أن ذلك لا يلغي بأن الفيلم ليس بذلك النقاء. فسمحهم بممارسة الصلاة وأداء الشعائر الدينية من دون أي مضايقات أو تدخلات، واحترام وجهة نظرهم بعدم مساس القرآن دون قفزات (مع أنها نظرة مختلف عليها ومنقوصة)، واهتمامهم بطعامهم وشرابهم، وبالوضع النفسي الذي يخصهم، لا يلغي أن العنف هو العنف، وأنهم في ساحة حرب، مهما اختلفت الطرق أو الأساليب، ولا يلغي كذلك أن أمريكا حريصة كل الحرص على أن لا تنقل صورة دموية عن نفسها وإن كان الواقع مناقضا لذلك.

إن تضيق العدسة والتركيز على ما تعرض له المعتقلون من عقوبات جسدية عند فعل العصيان، من حرمانهم من النوم، ومن أي حقوق إنسانية يمكن أن يحصلوا عليها، كلها مواقف ناعمة محسنة ومخففة للواقع، تخفي كم الممارسات غير الأخلاقية التي يمارسها النظام الأمريكي، لاعبة بذلك دورا فتاكا في إبراز الأمريكي المتمسك بالحرية، والذي يدعو إلى الإصلاح من خلال محاربته الإرهاب، وقد تم تصوير ذلك من

خلال الربط بين مشهد لصلاة الجماعة يتخلله مشهد الجنود أثناء أدائهم مراسم رفع العلم الأمريكي، وترديدهم لشعارهم المزيف "الدفاع عن الحرية".

وفي حين أن المشاهد قد تبدو محسنة بعض الشيء، إلا أن الفيلم يحمل رسالة خفية مفادها أن النظام الأمريكي يعرف كل شيء، وسيطر على خيوط اللعبة، وأن العلاقة الإنسانية التي تدور أحداث الفيلم حولها ما هي إلا تغطية لما هو أعظم. إذ إن نظرة المجندين كونه تعتبر نظرة فردية شاذة عن النظام الأمريكي ينبغي إيقافها وتحديدها وإصلاحها، وهذا ما كان واضحا في إحدى المشاهد عندما تم تسليمها قرارا بالنقل، نتيجة الاختراقات والانتهاكات التي ارتكبتها. حيث قامت كول بخرق القواعد والقوانين الموجهة أولا بتواصلها مع المعتقل على أمير وثانيا بالاستعاضة عن استخدام رقم 471 عند الحديث معه باسمه. وعلى الرغم من أن علي أمير قد أساء إليها في بداية تواجدها في معتقل غوانتانامو، إلا أنها استنكرت داخليا الفرض القاسي للقوانين والعقوبات، وبررت له فعله بعد أن قامت بقراءة سجله لتكتشف بأن تصرفاته الحادة نتجت تدريجيا كرد فعل طبيعي لما يتعرض له المعتقلون والثائرون على الظلم في سجن غوانتانامو

وقد وظف المخرج عدة عناصر وأحداث لإيصال هذا الشعور بقسوة السيطرة والهيمنة من قبل النظام الأمريكي، بدءا من الإضاءة والألوان القاتمة والمائلة إلى البرودة في القسم الأول من الفيلم، تحديدا عند زج المعتقلين في أقفاص خاصة بهم فور وصولهم إلى معتقل غوانتانامو. إذ إن هذه الألوان ساعدت على ظهور المجندين بمظهر القوة والسيطرة، لتكتمل هذه الرسالة بالنقاط صورة المجند من الأسفل في محاولة لتعظيمه والرفع من مكانته مقارنة بالمعتقل العاجز والضعيف.

وقد رسخ المخرج هذه الرسالة في نهاية الفيلم على لسان علي أمير قائلا: "أنتم تسيطرون على كل شيء ... أنتم تحددون ماذا نأكل و متى ننام ... و تجبروننا على الأكل إن امتنعنا ... إنها حياتكم وليست حياتنا". وفي ذلك دلالة على حجم التنصت والرقابة الدقيقة وغياب الحرية والإخضاع، لتكتمل بذلك الرسالة العظمى في الفيلم والتي تركز على شمولية سيطرة النظام الأمريكي وهيمنته، وإلغائه للآخر، وكذلك تبريره لأي مواقف أيديولوجية وأحكام مسبقة معادية ومنحازة تجاه المسلمين، وأن إقدامهم على ممارسة العنف لا يأتي من دوافع عنصرية، أو عداا عميق وحقد دفين، بقدر ما هو رد فعل تلقائي وطبيعي ودفاعي لما قد تعرض له النظام الأمريكي أو ما قد يتعرض له من عنف واعتداءات.

المبحث الثاني: المسلم الزائد عن الحاجة: فيلم 2012.

يعتبر فيلم "2012" أحد أهم أفلام المغامرة، والخيال العلمي الكوارثي الأمريكي، الذي كلف مبالغ مالية ضخمة تقدر بحوالي 260 مليون دولار، وحقق عائدات مالية كبيرة. صدر الفيلم في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ (13 نوفمبر 2009م)، من إخراج الألماني رولاند أمريك¹ (Roland Emmerich)، وبطولة وتمثيل جون كيوزاك (John Cusack)، وأماندا بيت (Amanda Peet)، ومورغان ليلي (Morgan Lily)، وليام جيمس (Liam James)².

يحكي الفيلم الهوليوودي نبوءة تبنيتها حضارة المايا القديمة، التي ادعت نهاية العالم وفناء البشرية في عام 2012م. وبدافع غريزة البقاء، والحفاظ على البشرية من ويلات الكوارث الطبيعية التي ستغير معالم سطح الأرض، ومن المياه التي ستغمر كل العالم في نهاية المطاف، تقوم الإدارة الأمريكية وبقيادة رؤساء العالم بصناعة سفن بحرية، وأفلاك شبيهة بسفينة نوح. تختار الإدارة الأمريكية 400 ألف شخص فقط من حول العالم ليتم حملهم على متن السفينة وإنقاذهم من الهلاك مقابل مليون يورو للشخص الواحد. يتم انتقاء الأشخاص بناء على حملهم أفضل الجينات والعوامل الوراثية. وتمضي أحداث الفيلم في صراع العائلات من أجل الوصول إلى تلك السفن.

يظهر المسلمون والعرب في الفيلم بمشاهد قصيرة جدا لا تتعدى الثواني، وذلك أثناء صلاتهم حول الكعبة في مناشدة لله أثناء الفاجعة، وكذلك أثناء حوار دار بين ابنة الرئيس الأمريكي، والسيد أنهايزر رئيس العمال في البيت الأبيض، وأدريان هلمسلي المندوب الجيولوجي لمكتب سياسات العلوم والتكنولوجيا أثناء دخولهم إلى سفن النجاة: د.ويلسون: "كيف تم اختيار كل هؤلاء الناس؟"

السيد أنهايزر: "بنفس الطريقة التي تم اختيارك فيها، عن طريق خبراء من جميع أنحاء العالم. لقد استخدمنا علماء الجينات ليحددوا الجينات المثالية التي نحتاجها لتعويض المفقودين من الناس".

أدريان هلمسلي يسأل باستغراب (مشيرا بازدراء إلى شيخ عربي تحوم حوله نساء منقبات): "تم اختيار هؤلاء الناس عن طريق علماء الجينات!؟"

¹برز رولاند أمريك في إخراج وكتابة العديد من الأفلام السينمائية التي تتناول حكايات نهاية العالم، مثل فيلم يوم الاستقلال، وفيلم غودزيلا، وفيلم ما بعد الغد، وغيرها.

²ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص260.

د. ويلسون: "بيدوا لي أن شيكاتهم هي التي أوصلتهم إلى هنا"

السيد أنهايزر: "ذلك صحيح، من دون مليارات الدولارات من القطاع الخاص، لكانت هذه العملية برمتها مستحيلة".

وفي هذا المشهد إشارة عنصرية إلى أن العرب والمسلمين لا داعي لهم في العالم الجديد، وأنهم قوم لا أهمية لهم، ينقصهم العقل، ويعوزهم الذكاء، ولولا شيوخ النفط وملياراتهم لتمويل المشروع وإقامته، لما تمكنوا من الحصول على هذه المقاعد في سفن النجاة. إن استبعاد المسلم خارج نطاق الشعب المختار، بناء على أفضلية العرق والجينات، واتخاذ قرار التخلص منهم لعدم وجود أي فائدة أو قيمة مرجوة منهم في هذه الحياة، يرتبط ارتباطا وثيقا بالصورة النمطية والمهمشة التي تكرر النظرة الدونية للعرب والمسلمين، والتي تعكس علاقات القوة السائدة والمهيمنة في العالم.

وكما إن ظهور العرب والمسلمين في هذا الفيلم في مشاهد ولقطات قصيرة جدا، أمر يتعلق بآلية ورسائل التتميط، فلا يريد المخرج أن يحرف وعي المشاهد عن الرسالة الأساسية للفيلم بتوسيع مساحة المسلم على الشاشة.¹ كما أن تصوير المسلم في الفيلم بطريقة عابرة، أو غير مباشرة، يوفر أرضا خصبة لترسيخ الرسائل اللاشعورية، والصور النمطية بشكل غير واع، إذ تمر الرسائل اللحظية إلى المشاهد، ليستقبلها العقل الباطن ويخزنها بشكل سريع ودون ممانعة، لتؤدي إلى نتائج تعبوية، وتترك أثرها على سلوك المشاهد وقناعاته بعد عدة تراكمات وعوامل متداخلة.

¹ينظر: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص96.

المبحث الثالث: المسلم الثري الشهواني الخسيس: فيلم Taken1 .

أساءت السينما الأمريكية للكثير من الأفكار والمعتقدات والقيم التي تحدد هوية المسلم العربي وصورته في كثير من الأفلام السينمائية، تعتبر صورة الشيخ المسلم العربي الفاجر، والشهواني، والخسيس، من أسوأ الرواسب والصور الباطلة التي تقاطعت والمعتقدات الدينية والعقائدية للمسلمين وعشّشت وتجذّرت في عقلية المشاهد الغربي، بسبب ما كرسته الأفلام الهوليوودية في مشاهدتها ورسخته في أحداثها.¹ ومن أهم هذه الأفلام المعادية والحديثة التي ربطت المسلم والعربي بصورة زير النساء فيلم (Taken 1).

يعد فيلم (Taken1) الذي تبلغ مدة عرضه تسعين دقيقة، من فئة أفلام الجريمة، والإثارة والأكشن، والذي قام بإخراجه المخرج الفرنسي بيار موريل (Pierre Morel) عام (2008م) في فرنسا، وأنتجته الشركة الفرنسية يوروبا (EuripaCrop)، وأما عملية التوزيع فقد تكفلت بها الشركة الأمريكية تونتيث سنشري فوكس (Twentieth Century Fox). قام بدور البطولة في الفيلم الممثل الأيرلندي الهوليوودي الشهير ليام نيسون (Liam Neeson)، وماجي جريس (Maggie Grace)، وكاتي كاسيدي (Katie Cassidy)، ولياند أورسر (Leland Orser)، وفامك جانسن (Famke Janssen). وقد نجح الفيلم نجاحا عظيما إذ عاد على منتجيه وعلى القائمين عليه بأكثر من 55 مليون دولار.²

تدور أحداث الفيلم حول عميل المخابرات الأمريكي المتقاعد برايان ميلز (Liam Neeson)، الذي يسافر إلى أوروبا من أجل إنقاذ ابنته الأمريكية (Maggie Grace) ذات السبعة عشر عاما وصديقتها أماندا (Katie Cassidy)، اللتين تم استدرجهما واختطافهما أثناء سفرهما لقضاء عطلة في فرنسا وأوروبا. وقعت الفتاتان في قبضة عصابات إجرامية من البلد المسلم ألبانيا، إذ دخلت هذه العصابات فرنسا منذ سنوات واتخذت منها مركزا من أجل ممارسة العديد من العمليات غير الشرعية والقانونية، مثل السرقة، وتهريب المخدرات، والإتجار بالناس والفتيات، وتحويلهن إلى مدمنات، واستغلالهن في عمليات الدعارة المنظمة وغيرها. يتصف أفراد هذه العصابات بإطلاق لحاهم وشعرهم القاتم الأسود والكثيف، وكذلك برسم وشوم الهلال والنجمة³ على أجسامهم.

¹ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، 45/1.

²ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص185.

³الهلال والنجمة من ضمن الرموز التي استخدمت منذ زمن في بلدان الشرق الأوسط، وآسيا الوسطى، وفي البلاد ذات الغالبية المسلمة كالألبانيا، وهو رمز مرتبط بالديانة الإسلامية والجماعات والأحزاب المرتبطة بها، وهو أيضا مرتبط بأعلام بعض الدول الإسلامية.

علم الأب برايان بمساعدة زميل قديم له في المخابرات الأمريكية مكان زعيم العصابة الألبانية وهويته الحقيقية، وكذلك نشاطات العصابة، واهتماماتها، ليدرك أنه يمتلك من الوقت 96 ساعة فقط لإنقاذ ابنته قبل فوات الأوان. يظهر الفيلم رحلة سعي العميل برايان من أجل إنقاذ ابنته وسط مغامرات، ومطاردات، واشتباكات، عديدة يتجاوز خلالها كل النظم القانونية، والشرائع الأخلاقية والقيم الإنسانية بدافع غريزة الأبوة، حيث يلجأ العميل إلى العنف المبرر والضروري، فيقتل عشرات المسلمين والعرب والألبان، ويضرب آخرين بطرق وحشية محضنة، معتمدا على مهاراته السابقة في خدمة الحكومة الأمريكية. كما عرض الفيلم مشاهد التعذيب والذل القاسية والمؤلمة التي تعرض لها زعيم العصابة الألبانية من قبل العميل برايان، في سبيل انتزاع الاعتراف منه على مكان ابنته التي بيعت لاحقا بمبلغ كبير بسبب عذريتها.

توفيت أماندا جراء جرعة مخدرات زائدة أعطيت لها من قبل العصابة الألبانية، أما كيم فقد تم معاملتها معاملة خاصة بسبب عذريتها، فقد عرضتها العصابة في إحدى القاعات الخاصة على مجموعة من كبار الأثرياء، الذين لهم اعتبارات خاصة، لتبدأ عملية المزيدة، فتكون الفتاة من نصيب العربي الذي دفع المبلغ الأعلى. تُقتاد كيم وغيرها من الفتيات العذارى إلى يخت فاخر في فرنسا يعود إلى شيخ ثري عربي، تحيط به حاشية من الرجال الذين يتحدثون اللغة العربية، إذ يسعى الشيخ صاحب الملذات والشهوات، خلف الفتيات الأجنبات والمراهقات، إلا أن العميل برايان يستطيع اقتحام اليخت، وقتل العصابة العربية، ومن ثم الشيخ العربي بطلقة واحدة في رأسه.

إن تصوير الألبان والعرب والمسلمين في العديد من المشاهد الضالة في الفيلم على أنهم أفراد عصابات ومنظمات إجرامية خطيرة لها سيطرتها ونفوذها، يوطد مشاعر الازدراء والاحتقار تجاه العرب والمسلمين. كما أن إظهارهم بصورة الإنسان الشرير بطبعه، يبخس من قيمتهم ومكانتهم، ويحط من قدرهم في نفوس المشاهدين، ويثير مشاعر الخوف، والنفور والاشمئزاز لدى الجمهور مما يؤدي إلى خلق موجة العدا والتوتر وتناميها ضدهم في المجتمع الغربي. وتزداد خطورة هذه الصورة بعمق الأحداث وتكررها في العديد من الأفلام الغربية والعالمية.

إن تعزيز الصور النمطية الكريهة والمغلوبة للعرب والمسلمين في الأفلام، وارتباط صورة الشيخ العربي المسلم السمين، بصفات الفجور والشهوانية، والثراء الفاحش، ليس بالأمر الجديد في تاريخ السينما الغربية والأمريكية، فقد تصدرت هذه الصورة النمطية للمسلم في الفيلم الأمريكي "الشيخ (The Sheik)" الذي أنتج عام (1921م)، وفيلم (The Son of the Sheik) (1926م)، وكذلك ظهرت هذه الصورة

في فيلم (1983) (Never Say Never Again)، وفي فيلم ليالي عربية (Arabian Nights) الذي ظهر للسينما عام (1942م)، وكذلك فيلم (Protocol) الذي أنتج عام (1984م).

المبحث الرابع: المسلم الإرهابي ضد الغرب: فيلم المملكة The Kingdom

يعتبر فيلم المملكة The Kingdom أحد أهم الأفلام الهوليوودية التي تناولت الصور النمطية المشوهة والمسيسة للمسلم. إذ تدور قصة الفيلم حول هجوم إرهابي على مجمع الرحمة السكني الخاص بالعائلات الأمريكية التي تعمل في قطاع النفط في العاصمة السعودية الرياض. يتابع فريق من مكتب المباحث والتحقيقات الفيدرالية (FBI) الأمريكية التحقيق في خلفية هذا العدوان السياسي، مواصلا العمل على تصفية الخلية الإرهابية الخطيرة والمسؤولة عن تنفيذ العملية. يمتاز فيلم المملكة بواقعيته، واستناده في أحداثه على واقعة هجوم حقيقية حدثت في المملكة العربية السعودية على مجمع سكني أمريكي عام (2003م)، وكذلك تفجيرات الخبر في السعودية عام (1996م).

يبدأ الفيلم بمقدمة تصويرية توضح في لقطات سريعة نشأة الدولة السعودية، والتسلسل التاريخي للعلاقات بين المملكة العربية السعودية، والولايات المتحدة الأمريكية، لينتقل الفيلم بعد هذه المقدمة إلى فضاء آخر ومشهد لعائلات أمريكية مدنية، في مجمع الرحمة السكني الخاص بهم في الرياض، وقد ملأتهم لحظات عائلية هادئة ومستقرة يسودها الحب والمرح، في وسط إجراءات مشددة وخاصة، وانتشار أمني يسعى لحمايتهم في عموم المنطقة. سعى المخرج بيتر بيرغ في لقطات قريبة ومتوسطة إلى التركيز على ظاهرة انتشار النساء، وصغار الأطفال، والرضع، والرجال بأزيائهم المدنية في أنحاء المجمع، وقد صاحب هذه اللقطات شريط صوتي تمثل بموسيقى مؤثرة تتسم بالإيجابية، وتدل على النشاط والحركة، تخللها أصوات ضحك ومزاح وهتاف، ليؤدي هذا المزج بين الصوت والصورة مهمته في إيصال رسالة المشهد ومضمونه ومدلولاته في ذهن الجمهور قبل تنفيذ العمليات التفجيرية ضدهم من قبل الإسلاميين.

إن استناد المخرج على مشاهد العنف العديدة والتفجيرات الوحشية المتتالية التي طالت دون اكرثا المدنيين الأمريكيان والأطفال خاصة، دون التفريق بينهم وبين البالغين أو العسكريين، يهدف بشكل أساسي لجذب المشاهد الغربي وتلمس نقاط ضعفه، وكسب تعاطفه مع ضحايا العائلات الأمريكية. وقد يشكل فعل التغطية الأيديولوجية، والتستر على الأسباب المباشرة، والبواعث الحقيقية لتلك الممارسات الشرسة والعنيفة المتمثلة في الهجوم الإرهابي في مجمع الرحمة، أحد أهم أسباب ودوافع صناعة هذه الصورة القاتمة¹، التي تعزز نظرة العرب الحاقدة والعدائية للغرب، وزيادة كره المسلمين لهم.

"هل ستموت وأنت تدافع عن عدوك؟" .. سؤال استنكاري وجه للضابط غازي المسؤول عن حماية فريق التحقيق الأمريكي ومساعدته في المملكة العربية السعودية، إذ عبر المخرج في هذا السؤال عن دلالة

¹ينظر: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص101.

واضحة لحقيقة سخط المسلمين على الغرب العدو اللدود، ومدى بغضهم للأمريكي الكافر، إذ تحصره مشاهد الفيلم في نظرة العدو الذي يجب القضاء عليه وقتله. وقد تمثل ذلك في التفاصيل الأولى من الفيلم، وسعي المسلم المتطرف المتمثل في شخصية "أبو حمزة" إلى التصدي للمجتمع الغربي، وذلك بتعدد أساليب وأشكال الهجوم الواقع على المجمع السكني الأمريكي، سواء من خلال إطلاق الرصاص العشوائي على رعايا المجمع، أو تفجير سيارة إسعاف مفخخة، أو إقدام الاستشهادي على تفجير نفسه. كما تطرق الفيلم لاستغلال الأطفال والشباب وتجنيدهم في صفوف الإرهاب، وتعبئتهم بالممارسات والانتهاكات الوحشية، وبمشاعر الحقد والكره تجاه الغرب منذ الصغر، ليخرجوا إلى الدنيا على شاكلة آبائهم.

في عدة مشاهد بالغة الدلالة يبين لنا فيلم المملكة (The Kingdom) نظرة العربي المسلم العدائية للغرب من وجهة نظر غربية، وكذلك أسباب هذه النظرة السلبية المحضة التي تتمثل بناء على مشاهد وتفاصيل الفيلم في التالي:

1- الدعم الأمريكي لإسرائيل.

في أجواء انفعالية شديدة، ووسط حالة من الغضب والهيجان يتم تجهيز آدم ليفيت (Jason Bateman) ، -أحد أعضاء فريق التحقيق الأمريكي الذي تبين أنه زار إسرائيل عدة مرات- بعد خطفه في المملكة العربية السعودية أمام كاميرا تابعة للجماعات الإرهابية، وعلى عنقه سيف يحمله ملثم يستعد لذبحه، وآخر يقرأ خطاباً أمام عدسة الكاميرا، إذ يقول: "لقد تم القبض على هذا الجندي الأمريكي وسوف يلقي جزاءه بالذبح بالسكين. وذلك لتعاونه مع إسرائيل بغية الفساد في الأرض ومحاربة المسلمين"، بالتالي بين الفيلم في مشاهد أهم أسباب النظرة العدائية تجاه الغرب، وأن كل مؤيد ومناصر لإسرائيل لا بد من القضاء عليه، ومحاسبته.

2- صراع المعتقدات والتقاليد الإسلامية والغربية.

يظهر عداة العرب والمسلمين للغرب في الفيلم، إزاء مسألة الصراع القائم بين العادات والتقاليد الشرقية، والمعتقدات الإسلامية، وقدرتها على مواكبة الحداثة والعصرنة الغربية. وقد تعلق ذلك في مشاهد العربي المسلم وصورته وعاداته وتقاليد وطريقة لباس الرجال والنساء، وفهمهم للدين، وإيمانهم بعدة أحكام شرعية مغلوطة ضد الغرب. فقد ظهر المسلم في الفيلم في إطار الإنسان السطحي غير المتمدن، الذي يوجي بالتخلف والبدائية والكسل، وأنه فاقد للعفة، والحياء، وهذا ما وصفه أحد أفراد فريق التحقيق الأمريكي

وهم في طريقهم إلى المملكة العربية السعودية، إذ قال إن الأراضي السعودية أشبه ما تكون بكوكب المريخ، لتكمل زميلتهم جنيت (Jennifer Garner) بنبرة ملؤها الاستهزاء فتقول أنهم سينظرون إليها باحتقار طيلة الوقت.

وفي مشهد لاحق تثور ثائرة أحد المسلمين "لا، حرام، لا يجوز، ابعدي عنه، هذا مسلم" وذلك عندما قامت جنيت بفحص الجثة المسلمة ولمسها من أجل البحث عن أدلة حول الهجوم الإرهابي. إذ تعبر هذه الصور عن الفجوة والتناقض بين المعتقدات والتقاليد الغربية والإسلامية، ورفض الإسلاميين للفكر الغربي وحضارته، واستنكار تواجدهم في البلاد العربية والإسلامية، وذلك خوفاً من محاولة الغربي الكافر تصدير أنماط حياته، القائمة على الفساد الأخلاقي والدعارة، والتخلي عن العفة والطهارة.

3- الابتزاز الاقتصادي.

يعكس الفيلم صورة العربي المسلم الناقم على الغربي الأمريكي الذي يرى في الأراضي العربية والإسلامية مصدراً مهماً للثروات الطبيعية، وهدفاً بارزاً للمطامع الغربية. إذ يعكس تواجدهم العائلات الأمريكية التي تعمل في مجال النفط في المملكة العربية السعودية حقيقة أهداف تواجدهم التي تنص على تقصير عن المطامع الغربية الأمريكية للاستفادة من خيرات البلاد العربية والإسلامية ومواردها، بالتالي تقاوم مشاعر القلق والخوف من الاستيلاء والهيمنة عليها عنوة تحت مسميات مختلفة الأشكال والأساليب، ولكن متحدة الأهداف.

مقابل هذه الصورة العدائية والشريرة للمسلم تجاه الغربي من وجهة نظر غربية، يسمو المخرج بصورة الشخصية الأمريكية النبيلة، وبتضحياتها وفضائلها الكبيرة التي تشمل العالم العربي والإسلامي بحرصها على نشر المحبة والأمن والسلام، وصون حياة الأبرياء، وحمائيتهم، فتعمل على مكافحة التطرف والإرهاب ونبذها في أنحاء البلاد. ويظهر هذا التناقض جلياً في الشخصية الإسلامية والغربية في المقاطع الأخيرة من الفيلم، عندما أعطت العميلة جنيت سكاكر المصاص لطفلة من عائلة عربية مسلمة من أجل لفت انتباهها وتهديتها، لتقوم الطفلة بالمقابل بإهدائها كرة بلورية صغيرة يستخدمها الإرهابيون من أجل صناعة القنابل والمتفجرات اليدوية، وفي ذلك دلالة رمزية على تأزم العلاقات بين الطرفين، وحتمية استمرار الصراع بين الخير والشر، مع اختلاف طبيعة الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى نشوءه.

يهدف الفيلم إلى ترسيخ قيم الكراهية والحقد والازدراء تجاه المسلمين والعرب، وإظهارهم بمظهر الشخصية السلبية ذات السلوكيات الغربية والهجمية، لتشكل هذه الصورة النمطية مبرراً واضحاً، ومسوغاً حقيقياً أمام التدخلات الأمنية الأمريكية الخارجية في البلاد العربية والإسلامية، وتقديم تفسيرات جاهزة

ومدرسة ومقولة لحالات سياسية وأيديولوجية واجتماعية مختلفة¹ وكما كان لتبني سياسة خلق العدو الإسلامي دورا مهما في تشويه الشخصية المسلمة وتهويل المخاوف تجاهها، من أجل التعبير عن حجم التهديد الذي تتعرض له، وبالتالي توطيد أواصر الشعب وتوحيده تجاه عدو خطير محتمل لا بد من محاربه واستهدافه، وبذلك يتحقق نجاح الحكومة والجهات القائمة في استقطاب الشباب الأمريكي للانضمام للجيش².

فيلم المملكة (The Kingdom) الذي صُوّر في الإمارات العربية المتحدة، وفي ولاية أريزونا الأمريكية، هو من إخراج بيتر بيرغ (Peter Berg)، وإنتاج شركة يونيفيرسال بكتشر (Universal Picture)، عام (2007.9.28)م، يقع الفيلم في 110 دقيقة، وهو من نوع أفلام الأكشن والدراما التشويقية. شارك في التمثيل الممثل الأمريكي جيمي فوكس (Jamie Foxx)، والممثلة الأمريكية جينفر جارنر (Jennifer Garner)، والممثل الأمريكي جاسون بيتمان (Jason Bateman)، والممثلان الفلسطينيان علي سليمان، وأشرف برهوم، وغيرهم من طاقم التمثيل.

¹ينظر: عبد الإله بلقزيز، الإرهاب والسينما، ص146.

²ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص130.

المبحث الخامس: مسلم بدائي وبلا مبادئ: فيلم صورة ثلاثية الأبعاد للملك A Hologram for the King.

حقق العلماء العرب والمسلمون الأوائل على مر التاريخ العديد من الإنجازات العظيمة في المجالات العلمية والطبيعية كافة، فقد تركوا بصمة واضحة في عالم الطب والبصريات، والطيران، وفي العلوم الفلكية، والجغرافيا، والكيمياء، والجبر، وغيرها مما أسهم في بناء الحضارة ونهضة البشرية. وعلى الرغم من هذه الإنجازات الملحوظة، حاول الغرب إنكار الفضل العظيم للمسلمين، وطمس دورهم الأساسي في ما حققوه من إنجازات حضارية ضخمة¹، وسعوا جاهدين لتهميشهم وإقصائهم باعتمادهم طرقاً وأساليب متعددة كان أهمها تشويه صورتهم من خلال صناعة الأفلام السينمائية العالمية. حيث استندت هوليوود على سياسة القولية في تصويرها للمسلم العربي على أنه الإنسان البدائي والعدائي، أو البدوي غير المتحضر، أو المتخلف والمتوحش، أو الجاهل الفاقد للقيم والأخلاق.

وتعتبر صورة المسلم البدائي من أكثر الصورة التي يتم تداولها في الأفلام الأمريكية الهوليوودية لتتخذ بذلك صفة الملازمة والديمومة. فمع اختلاف طاقم التمثيل، وأماكن التصوير، واختلاف طرق تجسيد الأفكار وتسويقها، إلا أن هوليوود لم تتوقف عن إصاق تهم الجهل والتخلف والهمجية بالعربي والمسلم في أفلامها². فمثلاً يعتبر فيلم الكرتون الهوليوودي الشهير علاء الدين، أحد الأفلام التي أساءت للعرب والمسلمين، فسورتهم بأنهم همجيون غير متحضرين تهم بهم الفتيات الراقصات شبه العاريات، يعيشون في خيام، ويركبون الجمال، وأنهم ينتسبون إلى ديانة وحشية معادية للأمن والسلام. وتتأكد هذه الصورة من خلال العديد من الأفلام التي لخصت صورة المسلمين بأنهم بدائيون، تحكمهم مبادئ مشتركة تتناقض والقيم الإسلامية الحقيقية. ومن أبرز الأمثلة على تلك الأفلام أيضاً فيلم ثورة ثلاثية الأبعاد للملك (A Hologram for the King)، تدور أحداث الفيلم في إطار أفلام الكوميديا والدراما الاجتماعية، حيث يعاني مندوب المبيعات الأمريكي الذي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وبطل الفيلم كلاي (توم هانكس) من أوضاع صعبة، وتدهور مالي حرج، فيقرر تحت الضغوط المتزايدة السفر للمملكة العربية السعودية، في محاولة لتدبير شؤونه المالية وتحسينها. إذ يسعى كلاي لعرض منتج شركته وبيعه للملك العربي الثري الذي يخطط لتأسيس مدينة هائلة، تحتوي عدة أسواق، ومباني ومنزهات، ومناطق تقنية وصناعية.

¹ينظر: جاك شاهين، الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية، 14/1.

²ينظر: المرجع نفسه، 26/1.

يعتبر هذا الفيلم السينمائي من أكثر الأفلام العنصرية التي كان لها وقعها المؤثر، والتي أثارت جدلاً كبيراً في الوقت الذي عرضت فيه، إذ شوه الفيلم في مشاهده الإسلام ديناً وحضارةً وتاريخاً، من خلال فرض الصور المنحرفة التي تسيء للثقافة العربية الإسلامية، وللعرب والمسلمين على حد سواء. عمل المخرج على تجسيد الإنسان المسلم كشخص متلحف بغطاء ديني لا يمت للإسلام الحقيقي بصلة، كما عُرض بصورة الإنسان الثري الذي يمتلك المال والنفط والسيارات الفاخرة، ولكنه بالمقابل إنسان كسول خامل واتكالي، هش، فارغ من الداخل، جاهل، تافه الاهتمامات، سخي، وبلا هدف حقيقي، وأنه يعيش في بيئة مليئة بالانحرافات الفكرية، والعقائدية، والأخلاقية.

وتعتبر هذه الصورة من أكثر الصور الحاضرة في معظم الأفلام الأمريكية التي تتناول صورة العرب والمسلمين تقريباً والتي بموجبها يتم تصوير الإنسان المسلم على أنه الإنسان البدائي البدوي الذي يمتطي النوق والجمال، ويعيش في بيئة عربية صحراوية قاحلة محدودة عمرانياً وبلا فرص وخيارات حقيقية؛ وهو الشخص الذي يتعامل بكل أمور حياته بشكل ساذج وبدائي، وقد يكون ذلك نتيجة لطبيعته ووطبيعته مجتمعه البدائي غير المتحضر.

نقل المخرج هذه الصورة وشخصها في بداية الفيلم في شخصية الممثل الأمريكي متعدد اللغات أليكسندر بلاك (Alexander Black)، الذي لعب دور يوسف السائق العربي التابع لإحدى الفنادق في المملكة العربية السعودية. تقاجاً كلاي بالمظهر العام للسائق المسلم يوسف الذي لا يوحى بالنظافة والترتيب، وبهندامه التقليدي غير الأنيق، وبسيارته المهترئة، لتكتمل هذه الصورة التقليدية والبدائية في مشاهد قصيرة وسريعة وانتقالية متفرقة أثناء تنقلهم في السيارة في أراضي المملكة، التي تظهر العرب والمسلمين بلباسهم التقليدي، وتركز كذلك على مناظر الصحراء وقوافل الجمال، وعلى مشهد آخر غريب لفلبيينين يكنسون الرمال في وسط الصحراء. يكمل المخرج تفاصيل لوحته بعدد من المشاهد المضللة، والحوارات الساذجة، ففي إحدى الحوارات مع الفريق الأمريكي الذي كان يشكو من فقد بعض الكماليات والأساسيات، أكد كلاي منفعلًا: "بالله عليكم ماذا تتوقعون، نحن في المملكة العربية السعودية، بلد الرمال والجمال والخرفان والخيم".

وفي لقطة قريبة على أحد الصور المعلقة على الحائط في غرف الفندق الذي ينزل فيه كلاي، يضيّق المخرج عدسته على صور قديمة بالأبيض والأسود لعرب بدو، بلباسهم التقليدي، وملاحهم القاسية. وتكتمل هذه الصورة الغليظة، بتصوير الإسلام وأتباعه بصفات العداء والتوحش، والتشدد، فالقصاص والإعدام في الفيلم عادة ما ينفذ علناً وأمام أعين الناس. وكما يسخر المخرج في مشاهد الفيلم من الإنسان المسلم،

فيظهره بشخصية الأمير المسلم السعودي السخيف الذي ينفعل ويضحك بشكل هستيري على توافه الأمور وأصغرها.

إضافة للواقع المتخلف الذي يعيشه العربي والمسلم من وجهة نظر غربية، يكشف المخرج لنا في مشاهد الفيلم تناقض مبادئ المسلم وأفكاره وقيمه، إذ تراه تارة يحافظ على علاقته الفردية مع خالقه حين يقوم بأداء الصلاة في وقتها جماعة، وتارة أخرى تراه الإنسان الخالي من القيم والمثل الأخلاقية الإنسانية الإسلامي. ومن أهم الصفات التي يحرف المخرج أذهان المشاهد الغربي تجاهها هي:

-الخيانة: وتظهر هذه الصفة القبيحة في شخصية المسلم يوسف، الذي تجمعته وامرأة متزوجة أحاديث حب عبر الهاتف.

-الكذب والخداع: تظهر هذه الصفة في شخصية المسلم يوسف الذي استطاع بحيلة منه أن يتستر على كلاي، وأن يذهب معه إلى مكة التي لا يسمح بدخولها لغير المسلمين، وأن يخدع السلطات السعودية والناس من حوله وذلك بوضعه في ثوب تقليدي ليظهر بمظهر المسلم الذي يدعي الإسلام.

-الانحلال: مع أن صناعة الخمر والمشروبات الكحولية والروحية واستهلاكها محظورة في المملكة العربية السعودية، إلا أنه من الواضح في الفيلم أنه يتم تهريب بعضها إلى أراضي المملكة، وتحديدًا بين أبناء الطبقات الاجتماعية الرفيعة.

-الاحتقار: يعكس الفيلم الهوة العظيمة بين الفقراء المنبوذين والأغنياء واتساعها، وتقشي نظرات الاستخفاف والاحتقار والازدراء تجاههم. يرتبط الاحتقار في الفيلم بشخصية المسلم السعودي الذي أكرم كلاي واستقبله في منطقة عمله في المملكة استقبالا حسنا لائقا، إلا أنه في المقابل تجاهل السائق يوسف، ولم يعره أي اهتمام، ولم يكرمه أو يحسن إليه، وإنما على العكس قام بطرده من مكان العمل.

-عدم تقدير الوقت واحترام النظام: أصبحت ظاهرة عدم تقدير المواعيد واحترامها في الفيلم لصيقة بالمجتمع العربي والإسلامي، فكل ما كان يبحث عنه كلاي في بداية تواجده في السعودية هو مدة محددة أو وقت معين يمكن أن يطلعوه فيه عن تواجد الملك في المملكة. فعدم تقدير الوقت وإدراك قيمته، واحترام المواعيد كان يشكل مشكلة حقيقية لدى كلاي. وكما ثارت ثائرة كلاي وهو يحاول جاهدا الاجتماع بكريم الأحمد المسؤول عن الوفد الأمريكي إلا أنه دائم التخلف عن الالتزام بالمواعيد. وبالتالي يركز المخرج انتباه المشاهد على هذه الظاهرة المنتشرة في البلاد العربية، والتي تتنافى والآداب الاجتماعية الإسلامية.

-التملق: عانى الوفد الأمريكي أثناء تواجده في المملكة من قلة الموارد والخدمات، ونقص في بعض الأساسيات والكماليات في الخيمة التي نصبت خصيصا لهم من أجل عرض منتجهم، إلا أنه وفور وصول خبر زيارة الملك دون ذكر موعد محدد، تم تجهيز الخيمة، بالاحتياجات والكماليات والمقتنيات الفاخرة لاستقباله بطريقة تناسب مكانته، في محاولة لكسب ود الملك ورضاه.

-الاتكال وعدم الاستقلال: إن وجود كلاي وفريقه في أراضي المملكة، وكذلك الموظفة الدينماركية التي تعمل في إحدى الشركات السعودية، وكذلك وجود الطبيب الصيني في مشفى سعودي، وتوظيف العمال الفلبينيين في أراضي المملكة دليل على اتكالية أفراد المجتمع السعودي، وعدم استقلاليتهم، واعتمادهم على الغير.

-الاهتمام بتوافه الأمور: يركز الفيلم على ظاهرة الخوض وانشغال المجتمع العربي والمسلم بسفاسف الأمور، ويظهر ذلك في مشهد لكلاي عند صعوده المصعد مع شباب سعودي، فيلقي التحية عليهم، إلا أنه لا من مجيب، إذ كان جل اهتمامهم وتركيزهم يقع على لعبة جديدة تم تحميلها على جهاز إلكتروني محمول.

يؤكد المخرج على عناصر هذه الصورة النمطية في مشهد أخير صادم موضحا من خلاله هدف الفيلم ورسالته، التي تكشف حقيقة المجتمعات العربية والإسلامية، فبعد وقوع كلاي في حب طبيبته المسلمة السعودية، وخلعها الحجاب أمامه في إحدى اللقاءات التي جمعتهم في بيتها، وبعد تعريها أثناء قيامهما بالسباحة، كي يظن من يراها من بعيد أنها رجل يسبح، دلالة على تجريد الشخصية المسلمة من القيم والمعايير والأخلاق الفاضلة، وكشف حقيقتها من وجهة نظر غريبة، وكما أن ممارستهما للعلاقات الغرامية الجنسية مع كلاي، وارتباطها به بعد ذلك، دلالة رمزية قوية على تفكك المجتمع العربي والإسلامي، وسقوط نواته الأسرية، وتخلل المجتمع الغربي فيه.

حقق فيلم (A Hologram for the King) الكوميدي الدرامي أرياحا وعائدات مالية تقدر بحوالي 7.7 مليون دولار أمريكي. أنتج الفيلم الذي يعد من إخراج المخرج الألماني توم تايكور (Tom Tykwer) عام (2016م)، وقام بدور البطولة توم هانكس (Tom Hanks)، وساريتا تشودري (Sarita Choudhury)، وإلكسندر بلاك (Alexander Black). يقع الفيلم في 97 دقيقة، وقد صُوّر في الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، والمغرب، ومصر.¹

¹ينظر: <http://www.imdb.com/title/tt2980210>

المبحث السادس: المسلم الإرهابي ضد إسرائيل: فيلم لا تعبت مع زوهان Don't Mess with the Zohan.

ينتمي فيلم لا تعبت مع زوهان إلى فئة أفلام الأكشن والكوميديا الساخرة. وقد أطلق في صالات العرض في الولايات المتحدة الأمريكية في (6 حزيران 2008م)، وحقق عائدات مالية مقدارها 120 مليون دولار في الشهر الأول من إنطلاقه. يقع الفيلم في 113 دقيقة، وهو من إخراج دينيس دوجان (Dennis Dugan)، ومن تمثيل جون تورتورو (John Turturro)، وإيمانويل الشريكي (Emmanuelle Chriqui)، وروب شنايدر (Rob Schneider)، ونيك سوارديسون (Nick Swardson)، ومن بطولة الممثل اليهودي من نيويورك آدم ساندلر (Adam Sandler)، الذي أسهم في كتابة هذا الفيلم وإنتاجه.¹

تدور أحداث الفيلم في إطار المواقف السياسية المهمة بقضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إذ يحكي الفيلم قصة اليهودي الإسرائيلي الخارق زوهان دفير (آدم ساندلر) الذي يبرع في ملاحقة الإرهابيين المتطرفين العرب والمسلمين وقتلهم. إلا أنه يكتفي من القتال المستمر، ويقرر السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سعياً خلف حلمه في ممارسة فنون تصفيف وقص الشعر، فيعمل زوهان على تديير مكيدة تزيف موته، التي تمكنه من الهرب من الجيش إلى نيويورك، منتحلاً شخصية شاب أسترالي الجنسية ليعمل في صالون تمتلكه الشابة الفلسطينية داليا (إيمانويل الشريكي)، التي يقع في حبها في النهاية.

يمتلئ الفيلم بالعديد من الأكاذيب والمبالغات والافتراءات في نقله للأحداث والمشاهد، إذ يتبنى الفيلم أفكاراً وصوراً عنصرية متحيزة تجعل من المسلم العربي عدواً شريراً عنيفاً مجرماً إرهابياً، يهدد أمن إسرائيل واستقرارها، وسلامة مواطنيها، وأما اليهودي فهو رجل خير وسلام، يسعى للحفاظ على حياة المواطنين من خلال محاربتهم للإرهاب. بالتالي فإن اتجاهه نحو العنف المنظم وغير العشوائي وتبنيه للقضاء على الإرهاب لا ينتهك منظومة القيم الإنسانية التي يحملها الإسرائيلي في الفيلم، كما أنها لا تأتي من دوافع عنصرية متعصبة وإنما رد فعل تلقائي وطبيعي لما قد يتعرض له الإسرائيلي اليهودي في إسرائيل.

في إطار كوميدي يتسم بالسخافة والسذاجة يوجه المخرج عدسته ويسلطها على عدة مشاهد تظهر العداء العربي والإسلامي ضد إسرائيل. ففي إحدى اللقطات التي ترسخ موضوع التنشئة الإسلامية للأطفال، وتعرض قيم الإرهاب والعنف والكره والحقد لديهم ضد الإسرائيليين منذ الصغر، يظهر مشهد لأطفال عرب

¹ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص216.

ومسلمين يحاربون اليهودي زوهان ويلقون الحجارة عليه، إلا أنه يعمل على جمع هذه الحجارة ويصنع تحفة منها، ويهدئها للطفلة المسلمة الصغيرة التي تنبهر بما صنع.

وفي مشهد آخر، تعرف صاحب التكسي الفلسطيني سليم (روب شنايدر) على اليهودي الهارب زوهان في مدينة نيويورك، الذي كان قد سرق عنزته، فيتبعه ويجري ملاحقته ليحاول قتله واغتياله بنفسه، إلا أن أحد أصدقائه ينصحه بأن يترك الأمر لجماعة حزب الله أو حماس الجهادية. يصمم سليم على أن يتم العملية بنفسه. وبشكل يدعى للسخرية، يقرر صناعة قنبلة يدوية من مادة النيتروغليسرين، فيذهبان إلى الصيدلية لشراء المادة بكل بساطة، إلا أنه وبسبب لكنتهم لا يستطيع الصيدلاني تمييز طلبهم، فيعطيهما اثنتي عشرة علبة من مرهم الحروق نيوسبورين، ليصنعوا عجينة من المضاد الحيوي ويلقوها على زجاج الصالون الذي يعمل فيه اليهودي زوهان.

إن الصورة الأولية التي يخرج بها المشاهد هي تمجيد الشخصية اليهودية وإبراز تفوقها، وذلك بشحن مشاهد الفيلم بثقافة تمجيد اليهودي الصالح، وفي المقابل احتقار العربي المسلم الإرهابي الشرير، والخط من قدره وقيمته فهو العدو الذي يمجد العنف، ويسعى لقتل الإسرائيليين الذين يشكلون أحد أهم أسباب العداء العربي الإسلامي للغرب كما ذكرنا سابقاً في فيلم (The Kingdom). كما تعرض هذه الصورة تحويل القضية إلى نوع من الهزل واللامبالاة، وكذلك تغليف الأحداث بأسلوب التبسيط والسطحية، من أجل سهولة التخلل إلى وعي المشاهد وتخديره، والتأثير على الرأي العام، في سبيل خدمة الأهداف الاقتصادية وحتى السياسية المنشودة.

المبحث السابع: المسلم الذي يمكن قتله بسهولة: فيلم القناص الأمريكي American Sniper.

يرصد التاريخ العريق للسينما الارتباط الوثيق لصناعة الأفلام السينمائية الغربية والأمريكية بالأحداث والمتغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية المضطربة حول العالم، حيث شكلت الأحداث والحروب والصراعات العسكرية الدموية منبعا مهما، ومادة دسمة للعديد من الرسائل والصور السينمائية، التي تعد من أهم القوى الناعمة لخدمة الأهداف السياسية، وصياغتها وتطهيرها. فقد شهد العالم العربي والإسلامي العديد من الحروب والنزاعات التي تناولتها الأفلام الأمريكية وعكست أحداثها السياسية الدامية والجسيمة من وجهة نظر غربية.

اتخذ فيلم القناص الأمريكي مكانة عظيمة كأحد أهم أفلام الحرب والأكشن الأمريكية، التي أخذت عن قصة حقيقية مقتبسة من مذكرات القناص الأمريكي كريس كايل في حرب العراق (2003م). صدر الفيلم الذي تستغرق مدة عرضه 133 دقيقة عالميا بتاريخ (16 يناير 2015م)، ويعد من إخراج الأمريكي كلينت إيستوود (Clint Eastwood)، الذي عمل على تصوير أحداثه في الولايات المتحدة الأمريكية. قام بدور البطولة الممثل الأمريكي برادلي كوبر (Bradley Cooper)، وتمثيل سينا ميلير (Sienna Miller)، وكايل جالنر (Kyle Gallner)، والممثل المصري سامي الشيخ (Sammy Sheik).¹

تتناول قصة الفيلم ذي الصبغة الواقعية دور القناص العسكري الأمريكي الأسطوري المحترف كريس كايل (برادلي كوبر) في حرب العراق، الذي يعد الأشرس في تاريخ جيش الولايات المتحدة الأمريكية، فقد حقق كايل أثناء خدمته في العراق الرقم القياسي في أعلى عدد من الضحايا في صفوف العدو العراقي، من خلال إصابته أكثر من 160 طفلا وامرأة ورجلا وشيخا مسلما بإصابات مميتة تقضي عليهم، بدافع حماية زملائه الجنود. يعود كايل بعد عدة جولات في العراق إلى عائلته، ليعكس الفيلم أثر الحرب على البناء النفسي للجندي الأمريكي، الذي تعرض نتيجة لهذه الحرب لنوبات الهلوسة، والهلع، والقلق.

لقي الفيلم عدة انتقادات حول الصورة التي عرضها عن العرب والمسلمين،² والكيفية التي عولجت بها. فقد قدم الفيلم شخصية المسلم في مشاهدته على أنه شخصية همجية شريرة ترتكب أعمالا وحشية مؤكدا على الصورة النمطية البربرية والغوغائية للمسلم المتطرف صاحب الأفكار الدخيلة، والخبيثة، والعنصرية، الذي يمكن قتله بسهولة، لمشاركته بالأعمال الإجرامية، والتجويرات الإرهابية، وأعمال العنف والتخريب.

¹ينظر: <http://www.imdb.com/title/tt2179136/>

²ينظر: <https://www.thewrap.com/american-sniper-complaints-grow-in-hollywood-should-clint-eastwood-be-celebrating-a-killer>

فالمسلم العربي يمثل الشر المطلق، والعدو الكوني المنشود الذي يهدد أمن الغرب وسلامته. إذ ظهر المسلم العربي في الفيلم بأسوأ تجلياته، من خلال عدة مدلولات ورموز ظاهرة وضمنية وظفت في تقديم صورة الشخصية المسلمة الإرهابية.

تناول الفيلم من وجهة نظر غربية أزمة المجتمع الإرهابي الذي تحكمه منظمات إرهابية، وجماعات دينية متطرفة، فأعمال العنف تمثل جزءا لا يتجزأ من الحياة في العراق، وعنصرا أساسيا من فكر الجماعات الإسلامية المتطرفة. فقد طرح الفيلم في مقطعه الأول أثناء محاولة الأم وطفلها قتل عناصر من القوات الأمريكية، تشبع الأطفال بقيم العنف والكره، وتواطؤ المرأة المسلمة في الأعمال الإرهابية، وانضمامها والرجال للجماعات الإرهابية وانخراطها في أعمال العنف. إلا أنه وفي المقابل رسخ الفيلم الصورة التقليدية للأمريكي في السينما الأمريكية، وتم تسويقها بصورة البطل الأمريكي الذي يؤدي واجبه الشرعي والمقدس، وهو مواجهة التهديد الإسلامي، ومحاربة الإرهاب.

على الرغم من المبررات الواهية لحرب العراق، ولنتائجها المادية والبشرية الكارثية والعظيمة، حرصت الحكومة الأمريكية على أن لا تنتقل صورة دموية عن نفسها بتقديسها للجندي الأمريكي في أفلامها، وتبرير الممارسات القائمة، وقمع بوادر التشكيك في أهداف الحرب وشرعيتها. وقد تجلى ذلك في محاولات كريس كايل قمع وردع أي محاولة للتشكيك بقضيته، وإقناع الجنود والقوى الأمنية في نهاية المطاف على خوض الحرب، ففي حوار بين كريس كايل وأحد الجنود:

الجندي: أريد فقد أن أؤمن بما نفعله هنا

كايل: الشر موجود هنا، وقد رأيناه

الجندي: نعم، الشر موجود في كل مكان.

كايل: هل تريد من هؤلاء الأوغاد أن يأتوا إلى سانتدياغو أو نيويورك، نحن نقوم هنا بحماية بلادنا من هذه القذارة.

الجندي: حسنا، لنذهب ونقتل هؤلاء الأوغاد.

شكل هذا الحوار تبريرا واضحا لدواعي الحكومة الأمريكية لغزو العراق، فقد حاول الفيلم ترسيخ الصورة النمطية بالغة السوء عن العرب والمسلمين عن طريق إظهارهم بصورة الإنسان المتشدد الذي يسعى دائما لاستهداف المواطنين الأمريكيين الأبرياء، بالتالي لا بد من قتله لخطورته. وقد كان ذلك واضحا في بداية الفيلم حينما ظهر الجندي كايل أثناء تصويبه سلاحه على أم وطفلها يحاولان قتل عناصر من القوات

الأمريكية بواسطة قنبلة يدوية، إلا أنه وأثناء ضغطه على الزناد، يعود الفيلم بالزمن ليظهر لنا أسباب انضمام كاييل للحرب، والتي تمثلت في تصفية واستهداف الأشخاص والجماعات الإرهابية التي هاجمت الولايات المتحدة الأمريكية عام (1998م) في حادثة الهجوم على السفارة الأمريكية، وأحداث (11 أيلول 2001م).

تحصر مشاهد هذا الفيلم السينمائي صورة المسلم العربي في نظرة الشرير الذي يسهل اصطياده، والوصول إليه، وقتله، في وسط نزاع غير متناظر القوى، وذلك لمحدودية العتاد والأسلحة والذخائر، وقلة الإمكانيات التي تمكنه من حماية نفسه، وفقده العناصر والمهارات المتكاملة للتخطيط الاستراتيجي، واعتماده على العشوائية في القتال. أما الغربي فله الأفضلية التي تمكنه من محاربة المسلمين وتوهين قواهم، وإخضاعهم بكل سهولة، لامتلاكه ما يكفي من التكنولوجيا والسلاح، فقد استطاع القناص الأمريكي البارع قتل ما يزيد عن 160 مسلما في العراق، من بينهم القناص السوري مصطفى (سامي الشيخ) الحاصل على ميداليات في الرماية، والذي برع في قنص الجنود الأمريكيان.

وظف المخرج عدة عناصر وأحداث لإيصال هذا الشعور بالقوة والهيمنة الأمريكية، بدءا من الإضاءة والألوان والأجواء الصفراء المغبرة التي تدل على دمار المنطقة العربية وهلاكها. تكتمل هذه الرسالة بعدة مقاطع سينمائية للجنود الأمريكيان، ومشاهد التدريبات العسكرية الشديدة، في أجواء قاسية، لتحسين أدائهم وإخراج أفضل ما عندهم من قيم الانضباط والشجاعة والنظام، على عكس المسلمين الذين يهدرون قواهم في القتال العشوائي غير المنظم. وكما أن صور العتاد والسلاح والدبابات على مدار الفيلم أسهمت في تعظيم قوة الجندي الأمريكي. وقد رسخ المخرج هذه الرسالة في المشهد الأول من الفيلم، الذي يظهر الدبابة الأمريكية في لقطة قريبة من الأسفل في محاولة للرفع من مكانة الحكومة الأمريكية، وتعظيمها، وإبراز قوتها.

تبني المخرج في مشاهدته منهجا تضليليا من خلال استغلاله صورة العرب والمسلمين كطعم إعلامي وستار من أجل تبرير ممارسات الحكومة الأمريكية في استخدامها العنف، وشرعنتها لحرب العراق، وتقديس ادعاءاتها، وتعزيز أسطورة حرب الخير في وجه الشر التي تخدم أهدافا سياسية غريبة، وبالتالي تجميل صورة الجندي الأمريكي البطل. وكذلك تعزيز الصورة الضعيفة والعشوائية للعصابات المسلمة الإرهابية، غير المنظمة، وغير الشرعية، التي يمكن قتلها والقضاء عليها بسهولة باعتبارها مثالا للشر.

المبحث الثامن: المسلم الطاغية: فيلم الدكتاتور The Dictator.

الفيلم الأمريكي الدكتاتور (The Dictator) هو فيلم كوميدي ساخر، من إخراج لاري كارلس (Larry Charles)، وكتابة ساشا بارون كوهين (Sacha Baron Cohen) ذي الأصول اليهودية الإسرائيلية، والأمريكي أليس بيرج (Alec Berg). صدر الفيلم الذي يعرض في 99 دقيقة بتاريخ (16 مايو 2012م) في الولايات المتحدة الأمريكية. يعد الفيلم من بطولة ساشا بارون كوهين، وتمثيل بن كينغسلي (Ben Kingsley)، أنا فارس (Anna Faris)، وجيسون مانتزوكاس (Jason Mantzoukas)، ومن إنتاج وتوزيع شركة باراماونت الأمريكية.¹

تدور أحداث فيلم الدكتاتور حول حاكم عربي يحاكي من وجهة نظر غربية حكام العرب والمسلمين في طغيانهم، وتصرفاتهم، ومظهرهم العام. يتولى الحاكم الدكتاتوري علاء الدين (ساشا بارون كوهين) دولة يطلق عليها اسم وادية. ويتعرض للضغط من قبل الحكومات الغربية بسبب تبنيه بولايته لدولته نظام حكم دكتاتوري يتعارض والأهواء الغربية. يحارب الحاكم العربي جاهدا منع تفشي النظام الديمقراطي ومبادئه في بلده. ومع ذلك يتم تهديده بعد إفصاحه عن برنامجه النووي الذي يسعى لتحقيقه لتدمير العالم، مما أدى للغدر به، ولتآمر الساسة الغربيين وحاشيته الخاصة عليه، حيث حاولت الأخيرة إقصاءه واستبداله بشبيه له ينفذ مطالبهم في السيطرة على الثروات النفطية ومصادر الطاقة.

يصنف الفيلم من أحدث الأفلام الهوليوودية التي تناولت الخلفية العدائية للحكام العرب والمسلمين، وميلهم لاستخدام أساليب الاستبداد، والقمع، والقهر، والعنف اللفظي أو الجسدي، أو كلاهما. فقد نجح الفيلم في تأصيل أسطورة الشخصية الدكتاتورية العربية المسلمة الطاغية بدور الحاكم الأكثر استبدادا علاء الدين. إذ توضح المشاهد الأولى في الفيلم الإعدامات الدكتاتورية العشوائية التي ينفذها هذا الحاكم لكل من يحاول التقدم عليه، أو مخالفته. ففي إحدى أولومبيات الجري التي أقامها علاء الدين في وادية يبدأ بإطلاق النار بشكل عشوائي على المنافسين الذين من المحتمل أن يسبقوه إلى خط النهاية، مما أدى إلى مقتل بعضهم، وجرح آخرين.

وفي مشهد آخر يأمر الحاكم العربي المسلم علاء الدين بإعدام نضال (جيسون مانتزوكاس) رئيس البرنامج النووي، لاختلافهما على شكل قمة الصاروخ النووي. وكما أمر لاحقا بإعدام أحد العلماء العاملين

¹ ينظر: <http://www.imdb.com/title/tt1645170>

في ذات المختبر فقط لأنه شكك في ذاكرته، وقام بتذكيره بحادثه نضال، وإعدام مواطن آخر لسبب سخيّف وتافه، فقد قطع طريق الحاكم علاء الدين بطريقة مضحكة، فكلاهما اتجها بشكل عفوي إلى اليمين أو إلى الشمال في ذات اللحظة. يتبنى علاء الدين نظام حكم دكتاتوري شديد الفردية، إلا أنه حتى عندما أقر انتهاء هذا الحكم، واستبداله بالديمقراطية، كانت هذه الديمقراطية منقوصة، مبنية على حرية وهمية. ففي نهاية الفيلم تظهر مشاهد تزوير الانتخابات التي نظمها لصالحه بالقوة العسكرية فقد ضغط على مواطنين وادية من أجل الحصول على السلطة والبقاء فيها.

كغالبية الأفلام الأمريكية الهوليوودية عمل فيلم الدكتاتور على صناعة صورة ذهنية مشوهة للعالم العربي والإسلامي وترويجها بشكل كوميدي ساخر من خلال صناعة واقع وهمي وغير دقيق للإسلام وأتباعه. وقد تم تغذية هذه الصورة النمطية المستبدة بمجموعة من الصور السلبية الاستشراقية الأزلية عن المسلمين والعرب. فالحاكم العربي علاء الدين هو ذلك الإنسان الساذج الثري ذو الشخصية المنهمكة في الفسوق والحياة اللاهية والماجنة، والذي يبدد أمواله في الملذات الجنسية، أو يسخرها في تمويل ومساندة العنف والإرهاب ضد الغرب وإسرائيل، ويتضح ذلك من خلال المختبرات المهيئة لصناعة الأسلحة الفتاكة لضربهما. كما يظهر بطل الفيلم بصورته البدائية والأقل تحضرا، وهو يتجول في مدينة نيويورك على متن الجمال، وتحيطه حاشيته والحرس الشخصي النسائي.

يغذي هذا الفيلم الأمريكي الفكر الغربي بهذه الصور النمطية السلبية ويكرسها عبر مشاهد جانبية ساخرة كثيرة يسيء فيها للمسلمين وللعالم العربي والإسلامي، إذ يظهر الحاكم والزعيم العربي الدكتاتوري بمظهر يخلو من القيم الإسلامية الإنسانية، وترتبط به العديد من المشاهد المليئة بالمضامين والإيحاءات التي تشير إلى التخلف، والشهوانية، والعنف، والبطش، وذلك في محاولة لغرس الخوف في الوجدان الغربي تجاه العرب والمسلمين، والتحذير من خطر الدكتاتوريات العربية والإسلامية التي تولد العنف، وتعمل على تعبئة الجماهير العربية بأيديولوجيات الأنظمة العربية الإسلامية الحاكمة، وبقيمها الدكتاتورية الخطيرة.

المبحث التاسع: المسلم المضطهد للمرأة: فيلم رجم ثريا .The Stoning of Soraya

نظرا للظروف والأوضاع السياسية المضطربة في إيران، وتزايد الأسباب التي أدت من جعلها قوة سياسية إسلامية، توسعت دائرة اهتمامات الغرب الخاصة بها وبسلوك أفرادها، وبعاداتهم وتقاليدهم. وقد وصل مؤخرا هذا الاهتمام إلى الأعمال الفنية والصور السينمائية التي تركت أثرا عجزت عن تركه القوى العسكرية بجيشها وعتادها.¹ فقد استغلت بعض الأفلام السينمائية الأمريكية بعض الممارسات المغلوطة والمنتشرة لدى المسلمين في إيران في صناعة وتشكيل الصور النمطية والمشوهة للمسلم، وكما انتهزت سوء الفهم وعدم الدقة القائمة على الجهل وعدم الاهتمام بحقيقة الإسلام وأتباعه.

يعتبر مفهوم القوامة أحد أهم هذه لمفاهيم التي تناولتها الأفلام بشكل مغلوط واستغلته لخلق صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين. ويدعو مفهوم القوامة في الإسلام لرعاية ومسؤولية الرجل وحمايته للمرأة، إلا أن بعض المجتمعات العربية الإسلامية ومن أهمها المجتمع الإيراني ومن وجهة نظر المخرج أساءت فهم هذه المسؤولية، لنقر بموجبها دونية المرأة وتعزز تسلط الرجل واحتقاره وقهره لها.

يعتبر فيلم رجم ثريا أحد هذه الأعمال السينمائية التي تناولت قضية ضعف ودونية المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية، وأثارت المأساة الحقيقية لقصة رجم امرأة في إحدى القرى الإيرانية عام 1986م، والمقتبسة من كتاب (رجم ثريا) للصحفي الفرنسي الإيراني فريدون صاحب جم. الفيلم من بطولة شهرة أгдаشلو (Shohreh Aghdashloo)، وموزان مارنو (Mozhan Marno)، وتمثيل جيم كافيزل (Jim Caviezel)، ونافيد نيبغان (Navid Negahban) وعلي بورتش (Ali Pourtash) وغيرهم. ومن إخراج الأمريكي الإيراني الأصل سايروس نوراسته (Cyrus Nowrasteh). وإنتاج الشركة الأمريكية رودسايد أتراكشنز (Roadside Attractions) في كاليفورنيا عام (2008م).²

يثير الفيلم قضية رجم امرأة إيرانية بالحجارة بعد ارتكابها جريمة الزنا في إحدى القرى الإيرانية النائية. إذ وقعت ثريا (موزان مارنو) العفيفة ضحية مؤامرة قذرة بتدبير من زوجها المسلم الإيراني علي (نافيد نيبغان) الذي لفق لها هذه التهمة بمساعدة الشيخ الملا حسن (علي بورتش)، وعمدة القرية إبراهيم (دايفد ديان)، إذ دبروا لها عملا عند رجل أرمل في بيته، مما أتاح لهم فرصة إثارة الفتنة والشائعات، واتهامها بالزنا حتى

¹ينظر: أيمن يوسف، تنميط الإسلام في التصورات الغربية، ص145.

²ينظر: http://www.imdb.com/title/tt1277737/?ref=ttfc_fc_tt

يتخلص منها زوجها علي ويتزوج طفلة بعمر 14 عاما، وذلك بعد أن رفضت الطلاق منه لامتناعه عن إعالة ابنتيه ونفقتهما.

يبدأ الفيلم بمشهد لصحفي أجنبي في إحدى القرى الإيرانية الذي يتعرف بالصدفة على زهرة (شهرة أغداشلو)، التي تسعى جاهدة فيما بعد لتحقيق الوعد الذي قطعه على ابنة أختها ثريا قبل رجمها، وذلك بأن تخبر العالم كله بحقيقة طهرها وعفتها، وبهذا تقوم وبسرية تامة بإثارة تفاصيل قصة ابنة أختها، وكذلك فضح ظروف موتها الدموية، والممارسات الوحشية وغير الإنسانية والعنصرية التي يرتكبها أفراد المجتمع الإيراني الإسلامي في حق المرأة المسلمة، التي تمثل غيابا كاملا لحقوق المرأة المسلمة في إيران.

يفترض مجتمع الفيلم الشرقي الذكوري المتمثل في أبناء القرية الإيرانية النائية في النساء أن يكن مغطيات، صامتات، منكسرات، ضعيفات، عاجزات، يقبلن الإهانات، والضرب، مطأطأت الرؤوس، خاضعات للرجل الذي يسلبهن حريتهن بسلطته المطلقة عليهن حتى وفاتهن، وبالتالي يفترض غياب حقوقهن كافة. تعاني المرأة المسلمة في الفيلم من دونية مرتبتها بالنسبة للرجل المسلم، فصوت المرأة لا أهمية له في هذه القرية، وهذا ما عبرت عنه زهرة للصحفي أثناء نقلها لقصة ثريا إذ قالت له: "صوت المرأة لا أهمية له هنا، أريدك أن تأخذ صوتي معك". وأما الرجل المسلم في الفيلم فيفتقد للقيم والمبادئ السامية، فهو الشخص الفاسد، الشهواني، ووظيفة المرأة هي إمتاعه وتسليته لا غير، وقد أكدت ذلك إحدى نساء القرية في حديثها إذ قالت: "كل الرجال سواء، امنحهم الطعام والفرش ولن يحتاجوا منك شيئا آخر".

تعاني المرأة في ذات المجتمع الإسلامي من السلطة المطلقة لرجل الدين، والأب، والزوج، والأخ. فرجل الدين المتمثل بشخصية الملا يلبس ثوب الطيبة والصلاح والقداسة ويوظف الدين لخدمة المجتمع الذكوري. أما سلطة الرجل والزوج فتتمثل بشخصية علي، الذي يظهر بصورة الإنسان المتستر وراء الإسلام لتحقيق عدوانيته وقمعه في ظلمه لزوجته ثريا، وعنصريته تجاه أبنائه، فهو يسعى للانتقال للمدينة برفقه أبنائه الذكور فقط، فكما عبر في حديثه العنصري لهم قائلا: "هذا العالم هو عالم الرجال". أما سلطة الأب فتتمثل في والد ثريا الذي سلمها إلى رجل لتتزوج به بغير رغبتها، والذي وافق لاحقا على أن يكون أول من يبدأ برجمها دون معرفة الحقيقة.

يشكل مشهد الرجم في المقاطع الأخيرة أطول مشاهد الفيلم، إذ استخدم المخرج تأثير الحركة البطيئة والمقربة لينقل حدة المشهد بأدق التفاصيل، فقد بين مشاهد حفر حفرة ثريا، وطريقة تثبيتها في الأرض ورجمها من قبل أفراد القبيلة، واستمرار العذاب والألم لفترة طويلة. يركز المخرج الأمريكي الإيراني على قسوة مشهد الرجم للمتزوج الغربي، ويعمل بالصورة البطيئة على تقديم وتعزيز الصورة الكلاسيكية السائدة في

الغرب، وهي همجية ودموية ووحشية التشريع الإسلامي وحدوده، إذ يلخص هذا المشهد رسالة الفيلم، التي تصور المجتمعات العربية الإسلامية وإشكالاتها وتسعى لكشف غاياتها من وجهة نظر غربية، وفضح قضايا التستر خلف الدين والسلطة، واستدعاء الصور الذهنية النمطية في العقل الغربي الجمعي، والتي ترسخ الصورة البدائية والوحشية والعدوانية للإسلام وأتباعه.

المبحث العاشر: المسلم المرضى عنه: فيلم الخائن Traitor.

يعتبر فيلم "خائن" الأمريكي، الذي يقع في 114 دقيقة، من فئة أفلام الإثارة والأكشن. أطلق الفيلم بتاريخ (27 أغسطس 2008م)، بالتزامن مع حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام (2008م)، ليحقق عائدات ومكاسب مالية كبيرة. الفيلم من كتابة وإخراج المخرج اليهودي جفري نتشمنوف (Jeffrey Nachmanof)، وإنتاج وتوزيع شركة أفلام (Overture). قام بدور البطولة الممثل والمخرج الأمريكي دون تشادل (Don Cheadlr) الذي لعب دور الشاب المسلم سمير هورن، وأدى الممثل أسترالي الأصل جاي بيرز (Guy Pearce) دور العميل روي كلايتون، والممثل الفرنسي الأمريكي (Said Taghmaoui) لعب دور عمر صديق سمير، وغيرهم ممن أبدعوا من طاقم التمثيل.¹

تدور أحداث فيلم خائن (Traitor) حول سمير هورن (Don Cheadlr)، الذي ينحدر من عائلة مسلمة لأب سوداني، وأم أمريكية. يؤمن سمير بالله ويخشاه، ويتخذ الإسلام والسلام منهاجاً للحياة، ويسعى لنشر الحب والأمن والأمان، ويحارب العنف والتطرف، ويرفض الصراع والتدمير، ويعتبر الجماعات المتطرفة أبرز أعداء الإسلام والسلام. ينقلنا هورن بدوره في أحداث ومشاهد الفيلم إلى إطارين زمنيين أساسيين، يرتبط الإطار الأول في افتتاحية الفيلم، التي حملت كما كبيرا من الرموز والإشارات، لخدمة رسالته. بدأ الفيلم بمشهد قريب للطفل سمير، حين كان يقضي وقتاً مع والده في تلاوة القرآن، والصلاة، ولعب الشطرنج في أجواء عائلية حميمية، حتى خرج الوالد، ليشهد سمير أثناء توديعه له حادثة موته أمام عينيه، إذ قتل بشكل مفاجئ ومروع في عملية تفجير للسيارة التي كان يقفها في إحدى شوارع السودان.

وأما الزمن الثاني فيدور بعد موت والد سمير وهجرته مع أمه منذ صغره إلى شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية. أكمل سمير مسيرته التعليمية في أمريكا، وعاش الإسلام في غربته، وانضم إلى الجيش الأمريكي، وحارب معهم. ونظراً لاعتناق سمير الإسلام، ونتيجة لإيمانه العميق، وللغته، وأصله، وخلفيته العسكرية، وخبرته في التعامل مع القنابل وصناعتها، ولقدرته على الاندماج، تم اختياره من قبل المخابرات الأمريكية للقيام بدور الجاسوس والعميل السري وغير المعروف لباقي الأجهزة الأمنية من أجل القضاء على معاقل الجماعات الإرهابية حول العالم، وتجفيف منابعهم، ومحاربة العنف والتطرف. ظهر سمير في اليمن، ليقبض عليه لاحقاً مع غيره ممن هم متهمون بالإرهاب. ومع الأيام يكسب ثقتهم ومودتهم بالدرجة التي

¹ينظر: إبراهيم علوش، الرسالة السياسية لهوليوود، ص147.

تجعلهم يتخذون منه صديقا، فينضم إليهم بعد فرارهم من السجن، وبالتالي تتم ملاحظته من قبل CSI، كأحد أهم المشتبهين بهم في عدة عمليات إرهابية.

تكمن رسالة الفيلم في التصورات والمعايير الغربية لتمييز الإسلام الحقيقي وأتباعه، والتفريق بينه وبين إسلام الشرق، وذلك من وجهة نظر غربية. وكذلك طرح إمكانية وأسس التقارب والتعايش السلمي بين الإسلام والغرب. إذ ينقل الفيلم رسالة واضحة مفادها أن المسلم التقي والورع لا يشكل بالضرورة مصدر ذعر وقلق، وقد لا يكون إنسانا شريرا، ومتعصبا، أو فاسدا، إذا كان مستعدا لأن يكون عميلا ومتعاوننا مع الأجهزة الأمنية الأمريكية والغربية¹.

يبدل فيلم خائن (Traitor) جهدا تعبويا كبيرا يُشعر المشاهدين الغربيين من خلال مشاهدته بالخطر المحقق بهم من قبل المسلمين والعرب، إذ يقدم مشهد ارتباط سمير بالمنظمات الإرهابية المنظمة، وتحضيره للسترات الناسفة، والقنابل والمتفجرات، واستعداده لتنفيذ عملية تفجير القنصلية الأمريكية في فرنسا صورة همجية وعنيفة عن الإسلام وأتباعه. كما تتعزز هذه الصورة العنيفة بين جميع أفراد المجتمع الأمريكي خاصة، بعدة مشاهد أخرى، كقتل صديقهم وإلقاءه من أعلى البرج بعد أن أفصح عن قيامه بعملية استشهادية أثناء توديعه لفرد من أفراد العائلة. كما كان لقتل العديد من المدنيين في إسبانيا، بعد قيام شاب مسلم بتفجير سيارة مليئة بالمتفجرات على إحدى الشواطئ العامة، دور في تنامي ظاهرة كراهية الإسلام والمسلمين.

خمسون حافلة كان يخطط العقل المدبر والزعيم الإرهابي نذير لتفجيرها في نفس الوقت والتاريخ في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. أراد نذير إرسال رسالة مفادها بث الرعب في نفوس الغرب، وزعزعة أمنهم واستقرارهم، وإقناع النظام الأمريكي بأنه لا وجود لأي مكان آمن لهم. حيث يقوم الخمسون استشهائيا ممن استعدوا لتنفيذ العملية منذ فترة طويلة، من شباب مسلمين غير ملتحين وشابات مسلمات غير محجبات من أصل عربي، وممن اندمجوا في المجتمع الأمريكي بتفجير أنفسهم في الباصات التي حددت لهم مسبقا، وقد أطلق على هذه العملية اسم "رسالة شكر الهبة".

أدى استمرار العمليات الإرهابية، وكثرة الهجمات في الفيلم، بتنفيذ عرب ومسلمين مندمجين في المجتمعات الغربية، إلى تعزيز رسالة خطيرة مفادها أن جميع العرب والمسلمين يكونون عداء صريحا وكرها شديدا للأمريكان والغرب، وأنه لا بد من توخي الحذر والاحتراس منهم جميعا. وفي هذه المشاهد تبرير واضح لنمو مشاعر الكراهية، وتعاضم أسباب الإحساس بالخوف، وانتشار داء الإسلاموفوبيا، والحرب على الإرهاب، وتبرير السياسات العدوانية للأنظمة الغربية، فكل المسلمين إرهابيون ما لم يتعاونوا مع الغرب.

¹ينظر: إبراهيم علوش، ضريبة هوليوود، ص150.

تضافرت العديد من الرواسب الفكرية الخاطئة عن الإسلام في عدة مشاهد في الفيلم، على سبيل المثال، بدا ذلك واضحاً في بداية مشهد العرافة التي تمارس الدجل والسحر في مقطع تصوير في اليمن، ومشهد شرب الخمر، والفهم الخاطئ لمفهوم "التقية" في القرآن. إلا أن أهم الالتفاتات التي تكررت في الفيلم حول الانحرافات الدينية والفكرية كان مضمونها الفرق بين إسلام الشرق والإسلام الحقيقي من وجهة نظر غربية، إذ بين المخرج في عدة مشاهد وبناء على أسس ومعايير غربية مختلفة، أن إسلام العميل سمير الذي تم تعقيمه، أصح وأعظم من إسلام الجماعات الإسلامية التي اخترقها.

خرج المخرج عن سياق المعتاد في مشاهد الفيلم وشخصياته، وكذلك في تناوله لموضوع خطر المسلمين، والجماعات الإرهابية وهويتها، وإمكانية التعايش معها، حيث بدى التناقض واضحاً في شخصية سمير، وأصدقائه من الجماعات الإسلامية. إذ رفض سمير العنف والإرهاب بأشكاله، وسعى جاهداً للقضاء عليه من خلال عمله عميلاً سرياً للمخابرات الأمريكية، وتعاونه معهم، ومحاولته إعاقة العمليات الإرهابية، وإحباطها. ظهر ذلك في الجزء الأخير من الفيلم، عندما قام بوضع حاملي القنابل كافة في حافلة واحدة لتنفجر بمن فيها. وأما الجماعات الإسلامية المقاومة المتمثلة بأصدقاء سمير، صُنفت من وجهة نظر غربية أنها لا تمثل الديانة الإسلامية، أو بالأحرى لا تمثل الإسلام بمفهومهم. فمهما بدا الإسلام متصالحاً مع بعض المفاهيم الغربية، ومهما تقاطعت دائرة مواءمته مع معتقدات الغرب ومصالحه، إلا أن المعيار الأساسي في تمييز الإسلاميين هو نبذ العنف والإرهاب¹.

ركز المخرج في نهاية الفيلم على حوار رمزي دار بين كلايتون وسمير لترسيخ مضمون رسالة الفيلم وتنبيتها لدى المشاهد.

كلايتون: هذا البلد مدين لك.

سمير (وبعد حديث دار بينهما): لقد اتخذت قراراً حول حياة ناس أبرياء، ويجب أن أعيش مع ذلك، وأكمل قائلاً: هل تعلم أن القرآن يقول أنه إذا قتلت إنساناً بريئاً وكأنما قتلت البشرية بأكملها.

كلايتون: وكذلك يقول القرآن أنه إذا حافظت على حياة أحدهم كأنك قمت بحفظ البشرية جمعاء.

يوجي هذا الحوار بحقيقة الصورة النمطية التي يعززها المخرج في عنوان الفيلم، وهي صفة الخيانة، إذ يعتبر ما قام به سمير من وجهة نظر العالم الإسلامي خيانة عظيمة، ولكن في المقابل من وجهة نظر

¹ينظر: أحمد سالم، صورة الإسلاميين على الشاشة، ص242.

غربية يرى كلايتون بأن هذه الخيانة مبررة، كونه أنقذ آلاف الأرواح، فما قام به من وجهة نظره هو عمل نبيل، طالما أنه يتفق والسياسات الغربية والمهيمنة.

اختتم هذا الحوار الذي يستند على الآية الكريمة ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا¹﴾، بمد الأمريكي كليتون يده للسلام، إذ يوحى هذا المشهد بتفاصيله قبول سمير وتقبله كجزء من المجتمع الأمريكي. يلي هذا المشهد لقطة قريبة تمثل نهاية الفيلم، وتوضح الرسالة الحقيقية له، إذ ينتهي بمشهد لسمير أثناء قيامه بالصلاة، وكأن المخرج يوضح لنا أن قبول المسلم جزءا من المجتمع الغربي، لا بد وأن يكون بناء على الإسلام المستكين والهادئ.

وذلك يعني أن المسلم المقبول والمرضي عنه هو الذي تتناسب مواقفه ومعتقداته وأفعاله وتصوراته مع إدارة السلطة الأمريكية المهينة، وهو الذي يفدي الشعب الأمريكي بروحه وحياته، ويحارب معه ولأجله، ويسعى للقبض على الجماعات المتطرفة الإسلامية التي تشكل تهديدا لأنظمة الحكم الغربية، ويقوم بالتبليغ عنها، والنيل منها بكل الطرق والأساليب، وهو الذي يتعاون مع الغرب ويتحالف معه بشكل فعال في حل الأزمات، وبالتالي لا بد أن يكون المسلم عبدا طائعا ضعيفا ومستكينا، أو حتى جاسوسا ليرضى الغرب عنه.

¹سورة المائدة، 32/5.

المبحث الحادي عشر: المسلم المشتبه به: فيلم واجب وطني Civic Duty

مع ثبات التتميطات التي طالت العرب والمسلمين في السينما الغربية والأمريكية، ومحاولة تسميم ذهن الأوروبي والغربي بالصور السيئة والانطباعات السلبية والقبیحة للإسلام وأتباعه، ومع ترسيخ القناعات المشوهة وتفاقمها في الأفلام، التي أسهمت في نشر ظاهرة الإسلاموفوبيا على نطاق واسع، ظهرت في المقابل بعض الصور الجديدة والمستحدثة للعربي والمسلم في بعض الأفلام الهوليوودية، التي لا يمكن اعتبارها صورا إيجابية ومحسنة بشكل مطلق. ففي حقيقة الأمر تقع هذه الصور المنقحة في مجموعة القوالب النمطية الجديدة التي تقتصر على صورة المسلم المرضي عنه والمتعاون مع سياسات الحكومة الغربية والأمريكية، أو صورة العربي والمسلم المتهم والمشتبه به¹.

يعتبر الفيلم الدرامي واجب وطني (Civic Duty)، من إخراج جيف رينفرو (Jeff Renfrew)، أحد أهم الأفلام الأمريكية الكندية التي ظهر فيها المسلم بشكله النمطي الجديد، فقد تناول الفيلم الذي يقع في 98 دقيقة صورة المسلم المشتبه به أو المتهم بالإرهاب. قام بدور البطولة في هذا الفيلم الممثل المصري خالد أبو النجا، والممثل الأمريكي بيتر كراوس (Peter Krause)، والممثلة الكندية كاري ماتشيت (Kari Matchett)، والممثل الأمريكي ريتشارد شيف (Richard Schiff)، وقد أُخرجَ الفيلم الذي صُوّر في مدينة فانكوفر الكندية عام (2006م) بميزانية تقدر بحوالي 1.2 مليون دولار.²

ينتقد الفيلم في مشاهدته حالة الرعب، والاضطراب الشديدة التي استحوذت على الشعب الأمريكي عقب أحداث (11 أيلول 2001م)، إذ تتقلنا تفاصيل الفيلم إلى المواطن الأمريكي تيري (بيتر كراوس) الذي يتعرض لحالة من الخوف والقلق عند انتقال طالب عربي مسلم إلى البيت المجاور له. يظهر المخرج في مشاهد قصيرة وسريعة ومتكررة على مدار الفيلم تعرض الأمريكي تيري بشكل كبير وكثيف لوسائل الإعلام الأمريكية العدائية والمتحيزة، واحتلالها حيزا كبيرا من حياته، التي كان لها دورا كبيرا وأثرا واضحا في تقاوم هذه المشاعر السلبية والعنصرية المنسوجة، وترسيخ قيم الكره والحقد لديه، التي ترتب عليها فيما بعد آثار نفسية فسيولوجية وسلوكية تجاه العرب والمسلمين. وبذلك يبرز المخرج في تفاصيل الفيلم أهم الأسباب والعوامل المساعدة لتكون هذه الصورة القاتمة تجاه المسلمين، ومظاهر تشكل نوبات الهلع والخوف الشديدة

¹ينظر: دعدوش، ضريبة هوليوود، ص84.

²ينظر: <http://www.imdb.com/title/tt0446298>

تجاههم، والتي تتمثل في التعرض الكبير لوسائل الإعلام، ودورها في تشكيل الصور النمطية والتقليدية المشوهة.

أشارت مواصفات وبنية الجار المسلم حسان (خالد أبو النجا) وهيئته الملائمة، وتقاطيع وجهه المصفر، وشعره الأسود، وعيونه الداكنة، على أنه من أصل عربي شرق أوسطي كما وصفه البطل الأمريكي تيري في الفيلم. تشكلت لدى تيري حالة من القلق الزائد حيال جاره، وانتابه الشك والارتياب تجاهه بعد عدة لقاءات جمعت مع عرب ومسلمين غيره، ليقوم المواطن الأمريكي تيري بأداء واجبه الوطني وتبليغ المخابرات الأمريكية عن هاجسه إزاء جاره، وخشيته من تورطه وانضمامه لإحدى التنظيمات الإرهابية. ازدادت حدة الشكوك لدى بيتر بعد اقتحامه لبيت حسان، ليتفاجأ بحيازته مواد كيميائية مشوهة قد تستعمل لاحقا لصناعة المتفجرات الفتاكة. ويعزز المخرج هذا القلق تجاه المسلم بمشهد سريع ولقطات قريبة لصورة القرآن الكريم بجانب فراش حسان، ومشهد آخر لعدد كبير من المغلفات المالية التابعة لمنظمة أولاد الكرم الإسلامية في خزائنه.

تظهر الشخصية الأمريكية في بداية الفيلم بمظهر الضحية التي تؤدي مهمتها الإنسانية والوطنية بكل نبل وأمانة وإتقان، وذلك بتبليغ تيري المخابرات عن جاره، إلا أنه ومع اختراقه للقانون الأمريكي، واقتحامه بيت جاره المسلم، تتجاهل المخابرات الأمريكية الممثلة بالمحقق هيري (ريتشارد شيف) مكالمات تيري المتكررة وتطلب منه وبشكل مباشر وصريح ترك أمر التحقيق لهم، وأن لا يتدخل في عملهم. إلا أن ذلك لا يرضي الأمريكي المرتعب والمضطرب ليقوم بمواجهة الإرهاب بطريقته الخاصة. تتطور الأمور وتخرج عن السيطرة بعد اقتحام تيري بيت المسلم السيد حسان مجددا مشهرا عليه السلاح مهددا بقتله. يحتجز تيري السيد حسان في بيته، ويقوده ليحقق معه بطريقته مستفسرا عن تفاصيل ما وجده في شقته مسبقا، والجماعة التي يعمل لصالحها، وعن أماكن تواجدهم، وأسمائهم، ونحو ذلك. وبذلك يظهر المسلم حسان في الفيلم بالصورة النمطية للمسلم المذنب والمتهم بالإرهاب، حتى تثبت برائته، كما ظهرت هذه الصورة كما رأينا سابقا في فيلم كامب اكس راي والمتمثلة في شخصية المعتقل علي أمير.

يؤكد السيد حسان لتيري أن هذه المواد الكيميائية التي يشك بأمرها يستخدمها من أجل دراسته في مجال الكيمياء، فهو يدرس كيفية زيادة تنقية مياه الصنبور عن طريق استخلاص حمض البروسيك منه، وأن لا ضرر منها، وكما يؤكد المحقق هيري لاحقا بحزم لتيري أن السيد حسان هو طالب نموذجي ويعمل في شركة للطباعة والنسخ، وهو ليس شخصا يهمهم أمره، وأن منظمة أولاد الكرم هي منظمة تعليمية شرعية لم ولن تمويل الإرهاب، وأنها تعمل على دفع مصاريف السيد حسان التعليمية، إلا أن المخرج يبقي أمر

المال الإضافي الذي يتلقاه السيد حسان من المنظمة مفتوحا ولا يحدد هدفه، لتبقى إشارات الشك ملازمة للمجتمع الغربي والأمريكي، وكي تترسخ الصورة النمطية تجاه المسلم بصورة الإنسان المشتبه به.

السيد حسان - بانفعال أثناء احتجازه-: ماذا كنت ستفعل إذا تم أخذ زوجتك منك؟ وتنجرت إلى مئة قطعة بصاروخ توماهوك¹ لعين وهي تعد عشاءك؟ ماذا كنت ستفعل؟ هل كنت ستسعى للانتقام؟ ألن تحاول تكريم موتها؟ هل ستعتبر نفسك شريرا إذا فعلت هذا؟ ماذا كنت ستفعل؟

تيري: المرأة التي في الصورة هل هي زوجتك؟ هل هي حية؟ أم أن فعلا ذلك الصاروخ قتلها؟

السيد حسان: ماذا كنت ستفعل؟

إن إبقاء إجابة هذا السؤال مفتوحا يزيد من حدة الشك تجاه نوايا السيد حسان، فقد دفعت هذه الصور إلى الاستنتاج أن المسلم العربي متهم دائما بالإرهاب ما لم يثبت عكس ذلك.

لا تكتمل هذه الصور النمطية والمشاهد المقولبة إلا بشروط غربية أمريكية، فالمواطن الأمريكي الفاشل والعنصري صاحب السلوك العدواني والعنيف، بدت عليه علامات الإصابة بنوبات الغضب والعصبية من بداية الفيلم، وذلك في إحدى المشاهد الافتتاحية التي يظهر فيها تيري وهو يوبخ موظفة في البنك بشكل هستيري. سيطر على تيري نوع من الاضطراب النفسي الذي أثر على مشاعره وسلوكه العام، إذ ظهرت عليه علامات سوء المزاج الحاد بكسره وتحطيمه لهاتفه بغضب، كما فقد تيري توازنه بشكل كامل بعد تراكم الضغوطات عليه، وفقده لوظيفته، وزوجته، وزيادة احتمالية فقده البيت الذي يحلمان به.

أدت هذه الحالة النفسية العسيرة إلى قيام تيري كذلك بتعنيف زوجته التي يحب وإبعادها عن طريقه، بعد أن حاولت معرفة ما يحاول أن يقحم نفسه به. أبدت الزوجة قلقها الشديد وحرصها حيال ما يقوم به زوجها لتتصل بالشرطة الأمريكية، وتخبرهم عن شكها وارتياها لما يحصل في بيت جارهم المسلم السيد حسان، وعن وضع زوجها النفسي المصحوب بسلوكيات تعكس حالة مرضية ما، فهو برأيها يحتاج للعون والمساعدة، فما يقوم به ليس من طبعه بتاتا، وجراء هذه الحالة العصبية والنفسية الحادة يحاول تيري الانتحار في نهاية الأمر، إلا أن المحقق هيري يعمل على إيقافه فتتطلق رصاصا لتخترق زوجته مارلا (كاري متشيت) وتقتلها بالخطأ، فينتهي الأمر بالزوج في إحدى المصحات العقلية.

يؤكد المخرج على حالة الاضطراب التي يعاني منها المواطن الأمريكي في المشهد الأخير من الفيلم، إذ يبدو وللحظة أن تيري يقوم بمشاهدة نشرة الأخبار التي تنقل خبر هجوم إرهابي كان سببه مغلفات

¹ صاروخ توماهوك هي صاروخ جوال أمريكي إستراتيجي وتكتيكي ذات المدى البعيد لإصابة أهداف برية.

إيداع في عدة بنوك، إذ وجد أن المغلفات تحتوي على سيانيد حر وهو مميت بشكل سريع، وأن مصدر السيانيد هو حمض البروسيك والذي تم خلطه مع اللاصق على هذه المغلفات، وفي ذلك ربط ذهني سريع يوحي بأن منفذ هذا الهجوم الإرهابي هو المشتبه به المسلم حسان.

إلا أن في حقيقة الأمر ذلك الخبر ما هو إلا وهم وخيال، فعند التدقيق في انعكاس صورة حدقة عين تيري، تظهر صورة شخص يلعب رياضة البيسبول، وأن الخبر الذي شاهده تيري ما هو إلا من صنع خياله المريض. وبهذا تبرر هذه الحالة النفسية للمواطن الأمريكي المواقف الإجرامية والعنصرية التي ارتكبتها، وأن تصرفه العدواني تجاه المسلم ليس تطرفاً أو إرهاباً، وأنه بعيد عن العمل السياسي، فلا يمكن أن تظهر الولايات المتحدة الأمريكية بمظهر البيئة الحاضنة والمدافعة عن الإرهاب، وبذلك فحالته المرضية هي التي أثرت على مشاعره وسلوكه، ليصبح المعتدي هنا ضحية أفعاله التي لا يمكن محاسبته عليها.

يهدف صناع الفيلم بشكل أساسي لترويج السياسة الخارجية الأمريكية التي تقبل الآخر، وتحتضن الأديان، والقوميات والثقافات الأخرى، وتحترم كل معتقداتهم، وتدافع عنهم، وهذا ما وضحه المحقق للمواطن الأمريكي قائلاً: "ما لم يكن هناك أي ظرف طارئ، أو خطر عظيم، فنحن هنا نطبق إجراءات قانونية حسب الدستور الأمريكي، ولا يمكننا اختراقه. والولايات المتحدة الأمريكية لا تزال مجتمعاً حراً، وبذلك لا يمكننا اقتحام المنازل، وإطلاق النار على أحدهم فقط لظننا أنه يشكل خطراً"، وبذلك يحقق المخرج هدفه بأن تظهر أمريكا بصورة البلد الطاهر والنقي والحر، الذي يسعى للأمن والسلام، وأن أي تصرف عدائي تجاه الأقليات الأخرى هو عمل شخصي وفردى، ولا يمثل الحكومة والسياسة الأمريكية، وهذا ما أكدته تيري في حوار دار بينه وبين السيد حسان أثناء احتجاجه:

السيد حسان: "أخبرني عن فيتنام، بنما، كوبا، تشيلي.

تيري: ماذا تريدني أن أفعل؟

السيد حسان مكملًا: سلفادور، جرنادا

تيري: ماذا تريد مني أن أفعل؟

السيد حسان: هايبتي

تيري: لا يهمني الأمر

السيد حسان: الصومال، لبنان، شاه إيران

تيري: أن لا أهتم، هل تسمعي؟

السيد حسان: أفغانستان

تيري: أيها الأحمق اللعين، أنا لست دولتي، أنا لا أعلن الحروب، ولا أستطيع فعل شيء."

المبحث الثاني عشر: المسلم بصورة غير نمطية: فيلم بلا توقف Non-stop

لا يتطلب الأمر عددا كبيرا من الدراسات والكتابات والأبحاث العلمية، أو كثيرا من النقاد والباحثين من أجل معرفة عدد الأفلام الإيجابية وغير النمطية التي تناولت الإسلام والمسلمين في السينما الغربية. إذ تعد هذه الأفلام الإيجابية المشرقة إلى حد ما، قليلة جدا مقارنة بما هو سائد وشائع في عالم السينما، فلم تخرج صورة الشخصية العربية والمسلمة في الأفلام الأمريكية الهوليوودية عن قالب النمطي السيء والشرير الذي ترسخ في ذهن المواطن الغربي على مدار عقود طويلة.

ومع ذلك ظهرت بعض الأفلام التي تناولت المسلم وقدمته -نوعا ما- بصورة إيجابية لها القدرة فقط على تحسين الانطباعات السلبية للمشاهد، دون تغييرها. تقف وراء هذه الصور غير نمطية عدة أسباب وعوامل مؤسسية تسويقية واستثمارية جديدة، ومواقف أيديولوجية خاصة بمرجعية القائمين على العمل. كما يتم تحسين هذه الصور في بعض الأفلام السينمائية نتيجة لأغراض وغايات سياسية. فحتى لا تلعب جرعات الصور السينمائية المشوهة دورا وتأثيرا عكسيا في زيادة موجة العنف الناتجة عن تقادم مشاعر الحقد والكره لدى المسلم، كان لا بد من صبغ شخصيته بصور غير منمطة وإيجابية في بعض أفلامها.

من أهم الأفلام الهوليوودية التي تضمنت في مشاهدتها صورا إيجابية للعرب والمسلمين، هو فيلم الأكشن والإثارة والغموض (Non-Stop) بلا توقف، الذي أنتجه المخرج جاومي كوليت سير (Jaume Collet-Serra) في 106 دقيقة، وذلك عام 2014م في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. قام سير بتصوير أحداث الفيلم في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، وأدى دور البطولة النجم السينمائي الأمريكي الهوليوودي الشهير ليام نيسون (Liam Neeson)، والممثلة جوليان مور (Julianne Moore)، والممثل سكوت مكينيري (Scoot McNairy)، وكوري ستول (Corey Stoll)، والممثل الأمريكي من أصل عربي عمر متولي، وغيرهم العديد.¹

تدور أحداث فيلم بلا توقف (Non-Stop) في حيز مكاني محدود جدا، على متن طائرة أمريكية متجهة من مدينة نيويورك إلى لندن. حيث يقوم إرهابي مجهول باختطاف الطائرة، وإرسال رسالة نصية إلى المارشال أو الحارس الجوي بيل (ليام نيسون) الموكل بتوفير الأمن والحماية والسلامة للركاب يهدده فيها بقتل أحد الركاب وبشكل عشوائي كل 20 دقيقة إن لم يودع مبلغ 150 مليون دولار في حساب حدده له خارج البلاد. بعد سلسلة متتابعة من الأحداث والتطورات الساخنة والمشوقة يحاول المارشال بيل القيام

¹ينظر: https://www.imdb.com/title/tt2024469/?ref=mv_sr_1

بالواجبات والإجراءات اللازمة التي تفرض عليه القبض على الإرهابي المجهول والمجرم الحقيقي الذي اختطف الطائرة.

يعمل بيل لاحقا على اختراق الصلاحيات الممنوحة إليه في سبيل التحقق من خلفية كل من هو مشتببه به على متن هذه الطائرة ليتمكن أخيرا من الوصول للراكبين الإرهابيين، الذي يتضح أنهما جنديان ساخطان على الأوضاع الأمنية والسياسية الأمريكية، قاما بزراعة قنبلة عسكرية في إحدى الحقائق. ينجح مساعد الريان بالهبوط اضطراريا في أيسلاند بعد انفجار الجزء الخلفي من الطائرة، كما يستطيع البطل بيل التخلص من المجرمين وقتلهم، وإنقاذ الركاب في نهاية الفيلم دون أي إصابات.

يكون فيلم بلا توقف (Non-Stop) إلى حد ما صورة متوازنة وإيجابية عن العرب والمسلمين في مشاهدته وأحداثه، وذلك من خلال كسر القالب النمطي المشوه، وتكريس الصور الإيجابية، بإضفاء صفات الإنسانية عليها. فقد ظهر المسلم الدكتور فهيم (عمر متولي) بصورة مشرقة في عدة لقطات ومشاهد، فهو المسلم الذي يتحلى بشخصية الإنسان المؤمن الذي يقوم بواجبه، فلا ينفك عن مساعدة الغير بلا تكلف، ومد يد العون لهم، وكذلك تقديم الرعاية الصحية عند الحاجة. وبذلك صور المسلم على أنه فرد فعال وذو أهمية شديدة في المجتمع الذي يعيش فيه. وقد حرص المخرج على إبراز إيجابية هذه الصورة عند طلب بيل المساعد من الطبيب عدة مرات من أجل إنقاذ حياة من هم على متن الطائرة.

تشير مشاهد الفيلم إلى زوال أصابع الاتهام تجاه الطبيب المسلم، فهو بريء من هذا العمل الإرهابي، إذ إنه رجل طيب لا يضمّر الشر، ولا ينوي السوء لأحد. يتضح ذلك من تعامل الحارس الجوي بيل مع الشخصية المسلمة كباقي المشتبهين على الطائرة، من ناحية التفتيش والسؤال، ولا يظهر على بيل في تعامله معه أي تصرف عدائي أو عنصري، وعلى العكس تماما، يأتمن بيل الطبيب المسلم في عدة مواقف، كان أهمها سماحه له بالدخول إلى غرفة الكابتن قبله بلحظات، إذ إن دخوله لغرفة التحكم قد يشكل خطرا كبيرا على حياة الركاب إذا كان المسلم من المشتبه بهم في هذه العملية الإرهابية. وكذلك تجدر الإشارة إلى ائتمان الطبيب المسلم في الفيلم عندما طلب منه الحفاظ على سرية وفاة كابتن الطائرة، فقام بالحفاظ على سرية المعلومة وعدم إفشائها، إلى أن اقتضى الأمر عكس ذلك.

إن إضافة الشخصية المسلمة إلى الفيلم خطوة ذكية ومحبوكة بعناية وبشكل متقن، إذ يظهر الطبيب في بداية الفيلم أحد أهم المشبه بهم الأوليين للمشاهد الغربي، بالتالي لا يخلو هذا الفيلم غير النمطي من مواقف الشك والارتياب اللحظية، فهذه الإيجابية في الفيلم لا تزال منقوصة، فأثناء تفتيش بيل لحقيبة الطبيب المسلم، كغيره من الركاب، يسأله أحدهم "أحقا لم تجد شيئا في حقيبته"، وكذلك عند دخوله لكابينة الكابتن

لمد يد العون ليليل، يسأل أحد الركاب مستكرا "ستدع ذلك الرجل يدخل إلى الكابينة"، وفي هذه المواقف دلالة رمزية على الاشتباه بالطبيب المسلم الملتزم، واتهامه بالتطرف والإرهاب. ومع عدم اتزان صورة المسلم في عيون الغير وبقائها محل اشتباه واتهام، تظهر صورة المسلم بصورة الإنسان الراقى، الذي يتصرف بعقلانية فلا يعاتب، ويتجاوز عن اتهام البعض له بشكل غير مباشر، كما يبذل نفسه من أجل الآخرين دون مقابل، حتى يتقبله الجميع بصدر رحب، ويحظى على تقديرهم، ورضاهم دون نفور ولا اعتراض.

الخاتمة

لعبت السينما الأمريكية دورا خطيرا في بث الأفكار والمعتقدات المنقوصة، وتشكيل الصور النمطية القائمة عن الإسلام والمسلمين لدى العالم الغربي وخارجه. فلم تنفك بإنتاجاتها الفنية الغزيرة عن تأصيل هذه الصور السلبية وغير الحقيقية، والتي بقيت شبه ماثله ومتجذرة إلى يومنا هذا، مما أسهم في نسج صورة الإنسان المسلم الغريب المنبوذ، والعدو الخطير على الإنسانية في مخيلة المشاهد الغربي، وبالتالي استحلال نزع شرعيتهم، وتجريدهم، ونبذهم، واستبعادهم. فبعد رصد ومشاهدة مئة فيلم أمريكي تكررت فيها صورة العربي والمسلم منذ غزو العراق وأفغانستان إلى عام 2018، تبين أن هوليوود أساءت للعرب والمسلمين في معظم الأفلام التي أنتجتها ما بين 2001م-2018م، إذ أظهرت السينما الأمريكية الشخصية المسلمة في اثنتي عشرة صورة، إحدى عشرة صورة منها وقعت في قالب الصور النمطية المشوهة والمزيفة مثل صورة المسلم الإرهابي، والبدائي. وقد ينبثق عنها تصنيفات مرتبطة بها وذات علاقة كالعنف والجهل.

تجلت هذه الصور النمطية الباطلة المسيئة واللاإنسانية في صورة المسلم الإرهابي القاتل الانتحاري ضد الغرب وإسرائيل، والذي يتبنى نهج العنف لتنفيذ المخططات والعمليات الإرهابية. ولم تقتصر الأفلام الأمريكية على عرض صورة الإرهابي المسلم، فقد ظهرت أيضا في مشاهدها السينمائية صورة المسلم الهمجي، الجاهل البدائي الفاشل المتخلف، وكذلك المسلم الفارغ والخالي من المبادئ والأخلاق الإسلامية والفضائل الإنسانية الحميدة. كما أنتجت هوليوود عددا من الأفلام التي أظهرت فيها المسلم بصورة الكائن الزائد عن الحاجة، والذي لا يحسن التفكير والتصرف ولا قيمة له.

ومن أكثر الصور النمطية شيوعا هي صورة المسلم الثري الشهواني الخسيس الذي يسعى خلف الشابات العذارى، وقد تصدرت هذه الصورة النمطية العديد من الأفلام الأمريكية منذ القدم، وفي المقابل بدا المسلم في بعض الأفلام بصورة الإنسان الذي يسوده الاعتقاد والزعم الخاطيء بدونية المرأة المسلمة ونقصها، فبرز باضطهاده للمرأة الواهية والضعيفة وقهره لها ماديا ومعنويا. كما طُرحت صورة المسلم الضعيف الذي يمكن قتله واصطياده بسهولة، لافتقاره للكفاءة والمهارات المتكاملة للتخطيط والتنفيذ الاستراتيجي. ونقلت السينمائية الأمريكية كذلك صورة المسلم الطاغية الدكتاتور المستبد، ذي الخلفية العدائية والوحشية في بعض المشاهد والأفلام.

ومع التغيير البطيء وغير الجذري في الصور النمطية الأمريكية والغربية للعرب والمسلمين، احتل هذا التقلب والتحول مكانا في قوالب نمطية جديدة، لا تكتمل إلا بشروط أمريكية هوليوودية، ومن أهم هذه الصور النمطية الجديدة التي تم التماسها في الأفلام الأمريكية هي صورة المسلم المندمج والمرضي عنه

والمعاون مع الغرب، أو صورة المسلم المتهم والمشتبه به إرهابياً، وعلى الرغم من هذه الصور النمطية كافة، التي أساءت للديانة والحضارة الإسلامية إلا أن السينما الأمريكية في المقابل قدمت صوراً محسنة، ومغايرة، وغير نمطية عن المسلمين، تصنف كحالات استثنائية مقارنة بما هو شائع.

وقد ترسخ هذا التلوث الإعلامي والسينمائي الأمريكي منذ القدم نتيجة لخلفيات تاريخية وسياسية وفكرية ودينية واجتماعية قديمة، بالتالي فإن التصدي لها ليس بالأمر الهين، إلا أنه لا بد من تتبع هذه الصور وأخذها على محمل من الجد، بامتلاك عين واعية ناقدة، وكذلك تحصين وتوعية العوام من العرب والمسلمين من أي صور نمطية أخرى قد تقع في قوالب جديدة ومحسنة، والعمل على مواجهة هذا التحدي بعيداً عن أي ممارسات قد تقاوم أزمة تشويه الواقع العربي والإسلامي. فلا بد من إنتاج صور بديلة، ومضاعفة الجهود والاستثمارات الفاعلة لتفعيل دور السينما العربية الإسلامية عالمياً. كما توصي الدراسة باستكمال هذا الجهد بدراسة محاور مختلفة لتغذية جوانب فكرية متعددة، وكذلك تأسيس مراكز أبحاث ومؤسسات عربية إسلامية في داخل الولايات المتحدة الأمريكية لتبادل الأبحاث والدراسات، مما يتيح فهماً حقيقياً للواقع العربي الإسلامي، ومحاولة التحرر من أسر هذه الصور النمطية.

وكما تعمل السينما الغربية والأمريكية باعتبارها إحدى أهم الأدوات الاستعمارية البحتة على تنمية روح القطيع لدى الشعوب، وإفراغ عقولهم من كل شكل ومضمون، بالتالي فإن أي استراتيجية للخروج من هذا المأزق إن كانت غير متصلة بالمهمة الأساسية وهي الحرية، فلا يمكن اعتبارها إلا عملاً خيالياً خالياً لا يبرهن فيه أحد على وجود أمته الإسلامية. فللتصدي لهذه الهجمات التشويهية لا بد من الانغماس في المعركة التي تخوضها الشعوب ضد القوى الاستعمارية بأشكالها كافة، سواء معركة الوعي والفكر أولاً والمعركة الميدانية أخيراً.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

المراجع باللغة العربية:

الكتب باللغة العربية:

أ:

-أحمد، محمد، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة عرض ونقد، ط1-د.م ، 2006م.

-أبو أصبع، صالح، الاتصال الجماهيري، ط3- عمان: دار البركة، 2010م.

-إمرى، إدوين، وآخرون، الاتصال الجماهيري. ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الطبعة الثانية. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م (المشروع القومي للترجمة).

ب:

-بشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط1-دمشق: دار الفكر، 2004م.

-بلقزيز، عبد الإله (تحرير وتقديم)، الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2013م (سلسلة كتب المستقبل العربي 69)

-بن سعيد، المحجوب، الإسلام والإعلاموفوبيا: الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف، ط1- دمشق: دار الفكر، 2013م.

-بودهان، يامن، تحولات الإعلام المعاصر، الأردن: دار اليازوري العلمية، 2013م.

-بورديو، ب . (1994م): العنف الرمزي. ترجمة نظير جاهل. المركز الثقافي العربي، بيروت.

-بيتر، جون، مقدمة في الاتصال الجماهيري، ط4- الأردن: مركز الكتب الأردني، 1986م.

ت:

-التل، سعيد، مناهج البحث العلمي، ط1-الأردن: دار المسيرة، 2005م.

ث:

-ثابت، أ، وآخرون (2003م): إسرائيل من الداخل: خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل. تحرير نادية مصطفى وهبة عزت، ط1. مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة.

ج:

- جولديريج، ج. (1997م): قوة اليهود في أمريكا. ترجمة نهال الشريف. دار الهلال، القاهرة.
- جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ (تحرير)، التربية الخاطئة للغرب كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، ط1. ترجمة حسان بستاني، بيروت: دار الساقى، بالاشتراك مع مركز البابطين للترجمة، 2005م.
- جيوبرى نوييل سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم: السينما الصامتة. ترجمة مجاهد مجاهد. إشراف ومراجعة هاشم النحاس، العدد 1585، ط1- القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.
- جيوبرى نوييل سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم: السينما الناطقة. ترجمة أحمد يوسف. إشراف ومراجعة هاشم النحاس، العدد 1586، ط1- القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.
- جيوبرى نوييل سميث، موسوعة تاريخ السينما في العالم: السينما المعاصرة. ترجمة أحمد يوسف. إشراف ومراجعة هاشم النحاس، العدد 1587، ط1- القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.

ح:

- حارب، ياسر، بيكاسو وستارباكس، ط1- بيروت: مدارك، 2011م.
- حجازي، سمير، ثقافة العرب وثقافة الغرب في قراءة العصر، ط1- القاهرة: مؤسسة طيبة، 2005م.

-حداد، حسن، تعال إلى حيث النكهة: رؤية نقدية في السينما، ط1-بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009م.

د:

-الدبيسي، عبد الكريم، الرأي العام عوامل تكوينه وطرق قياسه، ط1- عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2011م.

-دعدوش، أحمد، ضريبة هوليوود: ماذا يدفع العرب والمسلمون للظهور في الشاشات العالمية؟، ط1- دمشق: دار الفكر، 2011م.

-الدليمي، عبد الرزاق، العلاقات العامة والعولمة، ط1-عمان: دار جرير للنشر، 2005م.

-ديوك، د، (2002م): الصحة-النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية. ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي. دار الفكر، دمشق.

ر:

-الرفاعي، فؤاد، النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، ط1- مصر: بيت الحكمة، 2004م.

س:

-سالم، أحمد، صورة الإسلاميين على الشاشة، ط1- بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2014م.

-سردار، ض، ديفيز، م. (2006م): الحلم الأمريكي كابوس العالم. ترجمة فاضل جتكر، ط1. مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

-سعيد، إ، (1995م): الاستشراق المعرفة السلطة الانشاء. ترجمة كمال أبودييب. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

-سعيد، إ، (2005م): تغطية الإسلام. ترجمة محمد عناني. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

ش:

- شاهين، ج. (2013م): الصورة الشريرة للعرب في السينما الأمريكية. ترجمة خيرية البشلاوي. المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- شريعتي، علي، النباهة والاستحمار، ط1- بيروت: دار الأمير، 2004م.
- شهيبي، نجم، المدخل إلى السينما والراديو والتلفزيون، ط1- عمان: دار المعتر للنشر، 2012م.
- شيللر، ه. (1986م): المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

ع:

- العبد الله، م، خولي، م. (2002م): الإعلام والقضايا العربية بعد 11 أيلول، ط1. دار النهضة العربية، بيروت.
- عرفة، مازن، سحر الكتاب وفتنة الصورة من الثقافة النصية إلى سلطة اللامرئي، ط1 - دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007م.
- عصمت، رياض، ذكريات السينما، ط1- دمشق: المؤسسة العامة للسينما، 2005م.
- علوش، إبراهيم، الرسالة السياسية لهوليوود تفكيك الفيلم الأمريكي، ط1-الأردن: دار دجلة، 2013م.
- علي، م. (2014م): صناعة الواقع-الإعلام وضبط المجتمع. تحرير علاء عوض. مركز تفكر للبحوث والدراسات، القاهرة.

ف:

- فانون، ف (2014م): معذبو الأرض. ترجمة سامي الدروبي، جمال الأتاسي. مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة.
- فريد، سمير، مدخل إلى السينما الصهيونية، ط1-بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م.

ك:

- كنانة، علي، إنتاج وإعادة إنتاج الوعي، ط1 - بيروت: منشورات الجمل، 2009م.
- كوندناني، آ. (2016م): المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب. ترجمة شكري مجاهد. منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر.

ل:

- اللاوندي، س. (2006م): فوبيا الإسلام في الغرب: إشكاليات الوجود العربي والإسلامي في أوروبا وأمريكا. تحرير نوال مصطفى. دار أخبار اليوم، القاهرة.
- لعياضي، نصر، وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة القاعدة والاستثناء، ط1 - الشارقة: إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، 2001م.
- لوبون، غ. (2013م): سيكولوجية الجماهير. ترجمة هاشم صالح. دار الساقى، بيروت.

م:

- مبلغي، عبد المجيد، وآخرون، الإرهاب تعريفه وآليات مكافحته. ترجمة أحمد الموسوي. ط1، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2015م.
- محمد، عبد الله، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ط1 - أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001م.
- المسمار، ر. الزعبي، أ، (تحرير وتقديم)، الإرهاب والسينما جدلية العلاقة وإمكانات التوظيف، بيروت: مدارك، ط1، 2010م.
- مدانات، عدنان، بحثا عن السينما، ط2 - عمان: دار الأفق الجديد، 1985م.
- ميتري، ج. (2009م): المدخل إلى علم جمال وعلم نفس السينما. ترجمة عبد الله عويشق. المؤسسة العامة للسينما، دمشق.

-الميداني، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير-الاستشراق-الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه، ط1-بيروت: دار القلم، 1975م.

ن:

-ناجي، طلال، النفوذ الصهيوني في العالم بين الحقيقة والوهم: الولايات المتحدة أنموذجاً، ط1-دمشق: مركز دراسات الغد العربي، 2004م.

-ندا، أيمن، الصور الذهنية والإعلامية عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، القاهرة، 2004م.

-نصر، مارلين، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، ط1-بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م.

ه:

-هنتجتون، ص (2010م): صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي. ترجمة عباس هلال كاظم، دار الأمل، الأردن.

-الهيبي، هيثم، الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، ط1- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2008م.

و:

وهب، علي، الأخطبوط الصهيوني والإدارة الأمريكية، ط1-بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2011م.

ي:

-أبو يحيى، محمد، وآخرون (2002م): الثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة. دار المناهج، عمان.

-المراجع الأجنبية:

الكتب باللغة الإنجليزية:

F:

-Freire, Paulo, **Pedagogy of the Oppressed**, New York: Herder and Herder, 1971

L:

-Lippmann, Walter, **Public Opinion**, London: Transaction Publisher, 1998.

S:

-Stangor, Charles, **Stereotypes and Prejudice: Essential Readings**, United States of America: Taylor and Francis group, 2000.

انترنت (باللغة الإنجليزية):

R:

-Rinhart, James, **The Meaning of Stereotypes**, Intergroup-Relations Education, Vol. 2, No.3, pp.136-143, Taylor and Francis group, <http://www.jstore.org/stable/1475640>.

- الإنترنت:

أ:

- الأهرام، الصور النمطية في السينما الأمريكية. مصر، 2004م. تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/3/12م.

<http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/8/21/FACE11.HTM>

ب:

-بلخيري، رضوان. (2015م): العرب والمسلمون في السينما الأمريكية بعد 11 سبتمبر 2001م بين التشويه والتنميط: دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام السينمائية، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، م(43)، ملحق 5، ص2033-2048، عن دار المنظومة، <http://search.mandumah.com/Record/789241>

ع:

العبيدي، جبار. (1995م): السينما الأمريكية وأساليبها في المعالجات الفكرية والاجتماعية والثقافية، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ملحق 18، ص73-88، عن دار المنظومة،

<http://search.mandumah.com/Record/459904>

ي:

-يوسف، أيمن. (2008م): تنميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية والفوبيا: قراءة تحليلية نقدية، مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ملحق 18، ص117-146، عن دار المنظومة، <http://search.mandumah.com/Record/461083>

- <https://thewaltdisneycompany.com/about/#leadership>

- <http://www.nbcuniversal.com/our-history>

- <http://www.viacom.com/about/pages/default.aspx>

- <http://www.timewarner.com/company/about-us>

- <https://www.sonypictures.com/corp/aboutsonypictures.html>

[/https://www.imdb.com/title/tt2994190](https://www.imdb.com/title/tt2994190) -

[/http://www.imdb.com/title/tt0446298](http://www.imdb.com/title/tt0446298) -

https://www.imdb.com/title/tt2024469/?ref=nm_sr_1 -

[/http://www.imdb.com/title/tt2980210](http://www.imdb.com/title/tt2980210) -

<http://www.imdb.com/title/tt2179136/> -

<http://www.imdb.com/title/tt1645170> -

http://www.imdb.com/title/tt1277737/?ref=ttfc_fc_tt -

<https://www.thewrap.com/american-sniper-complaints-grow-in-hollywood-should-clint-eastwood-be-celebrating-a-killer> -

<https://www.theguardian.com/film/2016/jun/07/brian-de-palma-carrie-scarface-retrospective-documentary> -

-

الملحق(1): قائمة الأفلام التي تكررت فيها صورة الإسلام والمسلمين.

أفلام أمريكية (تسويق، إنتاج، إخراج، تمثيل) تناولت صورة الإسلام والمسلمين.				
اسم الفيلم	نوعه	تاريخ الإصدار ميلاديا	مكان الإصدار	
The Stoning of Soraya	دراما	7 سبتمبر 2008م	كندا	1
The Dictator	كوميدي	16 مايو 2012م	الولايات المتحدة الأمريكية	2
American Sniper	دراما، أكشن، سيرة ذاتية	16 يناير 2015م	الولايات المتحدة الأمريكية	3
Don't Mess with the Zohan	كوميدي	6 يونيو 2008م	الولايات المتحدة الأمريكية	4
A hologram for the King	دراما رومنسية كوميدية	20 أبريل 2016م	الولايات المتحدة الأمريكية	5
Non-Stop	إثارة ، أكشن	27 يناير 2014م	فرنسا	6
Civic Duty	دراما، إثارة	26 أبريل 2006م	الولايات المتحدة الأمريكية	7
The Kingdom	أكشن، دراما، إثارة	28 سبتمبر 2007م	الولايات المتحدة الأمريكية	8
Taken 1	أكشن، جريمة	27 فبراير 2008م	فرنسا	9
Taken 2	أكشن، إثارة	7 سبتمبر 2012م	فرنسا	10
Taken 3	أكشن، إثارة	9 يناير 2015م	الولايات المتحدة الأمريكية	11
2012	خيال علمي	11 نوفمبر 2009م	بلجيكا	12
Traitor	دراما، جريمة، أكشن	27 أغسطس 2008	الولايات المتحدة الأمريكية	13
Camp X-Ray	دراما، حرب	17 أكتوبر 2014	الولايات المتحدة الأمريكية	14
Syriana	دراما، إثارة	9 ديسمبر 2005م	الولايات المتحدة الأمريكية	15
Aladdin	خيال، مغامرة	14 مايو 2018م	الولايات المتحدة الأمريكية	16
Fair Game	سيرة ذاتية، دراما، إثارة	3 ديسمبر 2010م	الولايات المتحدة الأمريكية	17
Rendition	دراما، إثارة	19 أكتوبر 2007 م	الولايات المتحدة الأمريكية	18
Patriots Day	تاريخي، دراما، جريمة	13 يناير 2007 م	الولايات المتحدة الأمريكية	19
Body of Lies	أكشن، دراما رومنسية	10 أكتوبر 2008 م	الولايات المتحدة الأمريكية	20

الولايات المتحدة الأمريكية	6 يناير 2006 م	دراما، إثارة، تاريخي	Munich	21
ألمانيا	5 مايو 2005م	أكشن، دراما، مغامرة	Kingdom of heaven	22
الولايات المتحدة الأمريكية	30 يناير 2015م	دراما، كوميدى، رومنسي	Amira and Sam	23
كندا	16 أكتوبر 2009م	دراما، رومنسي	Cairo Time	24
الولايات المتحدة الأمريكية	11 يناير 2008م	دراما	The Kite Runner	25
الولايات المتحدة الأمريكية	29 أغسطس 2014م	دراما، سيرة ذاتية	Rose Water	26
الولايات المتحدة الأمريكية	11 يناير 2013م	دراما، إثارة	Zero Dark Thirty	27
الولايات المتحدة الأمريكية	12 مارس 2010م	أكشن، دراما، إثارة	Green Zone	28
الولايات المتحدة الأمريكية	19 أغسطس 2016م	كوميدى، دراما، جريمة	War dogs	29
الولايات المتحدة الأمريكية	25 ديسمبر 2013م	أكشن، دراما	Lone survivor	30
الولايات المتحدة الأمريكية	3 أبريل 2015م	أكشن، إثارة	Fast and Furious 7	31
الولايات المتحدة الأمريكية	31 يوليو 2009 م	دراما، تاريخ، إثارة	The hurt locker	32
الولايات المتحدة الأمريكية	14 أبريل 2017م	مغامرة، دراما	Queen of the Desert	33
الولايات المتحدة الأمريكية	4 نوفمبر 2005	دراما، حرب، سيرة ذاتية	Jar Head	34
الولايات المتحدة الأمريكية	9 يونيو 2017م	دراما، حرب، سيرة ذاتية	Megan Leavey	35
الولايات المتحدة الأمريكية	27 مايو 2010م	كوميدى، دراما، رومنسي	Sex and the City 2	36
الولايات المتحدة الأمريكية	20 يناير 2006م	كوميدى	Looking for Comedy in the Muslim World	37
الولايات المتحدة الأمريكية	12 أكتوبر 2012م	سيرة ذاتية، دراما، إثارة	Argo	38
الولايات المتحدة الأمريكية	28 سبتمبر 2007م	جريمة، دراما	In the Vally of Elah	39
الولايات المتحدة الأمريكية	21 أبريل 2017 م	دراما، حرب	Sand Castle	40
الولايات المتحدة الأمريكية	15 ديسمبر 2017 م	أكشن، دراما، رومنسي	Warfighter	41
الولايات المتحدة الأمريكية	26 يونيو 2015 م	مغامرة، دراما	Max	42
الولايات المتحدة الأمريكية	26 مايو 2017 م	كوميدى، دراما	War Machine	43

بلجيكا	26 مايو 2010 م	دراما، إثارة	Unthinkable	44
كندا	10 سبتمبر 2011م	دراما، كوميدي، رومنسي	Salmon Fishing in Yemen	45
الولايات المتحدة الأمريكية	21 يونيو 2013 م	أكشن، مغامرة، رعب	World War Z	46
الولايات المتحدة الأمريكية	5 مارس 2004 م	أكشن، مغامرة، سيرة ذاتية	Hidalgo	47
الولايات المتحدة الأمريكية	9 نوفمبر 2007 م	دراما، حرب، إثارة	Lions for Lambs	48
الولايات المتحدة الأمريكية	28 أبريل 2006 م	دراما، تاريخي	United 93	49
الولايات المتحدة الأمريكية	9 أغسطس 2006 م	دراما، تاريخي، إثارة	World Trade Center	50
الولايات المتحدة الأمريكية	17 ديسمبر 2004م	دراما، مغامرة، أكشن	Flight of the Phoenix	51
الولايات المتحدة الأمريكية	24 يونيو 2009	أكشن، خيال علمي، مغامرة	Transformers 2	52
الولايات المتحدة الأمريكية	23 ديسمبر 2005	غموض، إثارة	Flight Plan	53
الولايات المتحدة الأمريكية	28 أغسطس 2013	جريمة، دراما	Closed Circuit	54
الولايات المتحدة الأمريكية	5 أكتوبر 2011	وثائقي، تاريخي، أكشن	Hell and Back Again	55
الولايات المتحدة الأمريكية	4 أغسطس 2006	كوميدي	Borat	56
الولايات المتحدة الأمريكية	14 نوفمبر 2008	دراما	American East	57
الولايات المتحدة الأمريكية	4 مايو 2001	أكشن، مغامرة، خيال	The Mummy	58
الولايات المتحدة الأمريكية	9 مايو 2014	وثائقي، تاريخي، أكشن	The Hornet's Nest	59
الولايات المتحدة الأمريكية	5 ديسمبر 2014	رعب، أكشن، مغامرة	The Pyramid	60
الولايات المتحدة الأمريكية	28 مارس 2008	دراما، حرب	Stop-loss	61
الولايات المتحدة الأمريكية	4 ديسمبر 2009	دراما، حرب	Brothers	62
الولايات المتحدة الأمريكية	28 يناير 2002	تاريخي، دراما، حرب	Black Hawk Down	63
الولايات المتحدة الأمريكية	1 مايو 2006	دراما، إثارة	Five Fingers	64
الولايات المتحدة الأمريكية	12 مايو 2017	دراما، إثارة، حرب	The Wall	65
الولايات المتحدة الأمريكية	4 ديسمبر 2009	دراما، رومنسي، حرب	The Messenger	66
الولايات المتحدة الأمريكية	16 يناير 2009	دراما حرب	Taking Chance	67
الولايات المتحدة الأمريكية	10 أكتوبر 2007	حرب، إثارة	Redacted	68
الولايات المتحدة الأمريكية	15 ديسمبر 2006	أكشن، دراما، حرب	Home of the Brave	69
الولايات المتحدة الأمريكية	18 أكتوبر 2006	دراما، حرب	The Situation	70

الولايات المتحدة الأمريكية	15 مايو 2015	دراما، إثارة، حرب	Good Kill	71
الولايات المتحدة الأمريكية	27 يناير 2014	إثارة	Drones	72
الولايات المتحدة الأمريكية	25 ديسمبر 2008	دراما، رومنسي	Slumdog Millionaire	73
الولايات المتحدة الأمريكية	3 مايو 2016	أكشن، دراما، حرب	Sniper: Special Ops	74
الولايات المتحدة الأمريكية	20 يناير 2008	دراما، رومنسي، إثارة	Incendiary	75
الولايات المتحدة الأمريكية	12 يناير 2016	إثارة، حرب	13 Hours: The Secret Soldiers of Benghazi	76
الولايات المتحدة الأمريكية	11 مارس 2007	كوميدي، دراما، رومنسي	Arranged	77
الولايات المتحدة الأمريكية	10 نوفمبر 2006	دراما	Babel	78
الولايات المتحدة الأمريكية	19 يناير 2018	أكشن، دراما، تاريخي	12 Strong	79
الولايات المتحدة الأمريكية	21 سبتمبر 2007	مغامرة، كوميدي، دراما	The Hunting Party	80
الولايات المتحدة الأمريكية	27 أكتوبر 2017	سيرة ذاتية، دراما، حرب	Thank you for Your Service	81
الولايات المتحدة الأمريكية	18 يناير 2013	وثائقي، حرب، دراما	Dirty Wars	82
الولايات المتحدة الأمريكية	10 سبتمبر 2012	وثائقي، حرب	The Road to Fallujah	83
الولايات المتحدة الأمريكية	5 أغسطس 2016	وثائقي، أكشن	Citizen Soldier	84
الولايات المتحدة الأمريكية	25 يونيو 2004	وثائقي، دراما، حرب	Fahrenheit 9/11	85
الولايات المتحدة الأمريكية	1 سبتمبر 2006	وثائقي، حرب	Iraq for Sale	86
الولايات المتحدة الأمريكية	13 ديسمبر 2009	وثائقي، حرب	Inside the Iraq War	87
فرنسا	2 نوفمبر 2011	أكشن، دراما، حرب	Special forces	88
الولايات المتحدة الأمريكية	21 أبريل 2012	أكشن، دراما تاريخي	Memorial Day	89
الولايات المتحدة الأمريكية	29 ديسمبر 2006	كوميدي، دراما، رومنسي	The Tiger and the Snow	90
الولايات المتحدة الأمريكية	23 يناير 2010	كوميدي، جريمة، دراما	Four Lions	91
الولايات المتحدة الأمريكية	11 سبتمبر 2012	أكشن، جريمة، دراما	Clean Skin	92
الولايات المتحدة الأمريكية	22 يناير 2011	سيرة ذاتية، دراما، إثارة	The Decil's Double	93
الولايات المتحدة الأمريكية	21 يناير 2008	وثائقي، حرب، كوميدي	Where in the World is Osama binladen?	94
الولايات المتحدة الأمريكية	3 يوليو 2007	وثائقي، دراما	Sicko	95

الولايات المتحدة الأمريكية	21 يناير 2006	وثائقي، حرب	Iraq in Fragments	96
الولايات المتحدة الأمريكية	6 يونيو 2007	وثائقي	This is War-Memories of Iraq	97
الولايات المتحدة الأمريكية	22 يناير 2007	وثائقي، حرب	No End in Sight	98
الولايات المتحدة الأمريكية	7 أبريل 2017	إثارة، حرب	Mine	99
الولايات المتحدة الأمريكية	13 مايو 2005	مغامرة، كوميدي	Scooby-Doo in Where's my Mummy?	100
الولايات المتحدة الأمريكية	1 مارس 2016	أكشن، دراما، إثارة	London has Fallen	101
الولايات المتحدة الأمريكية	1 أغسطس 2014	خيال علمي، رومنسي	The Giver	102
الولايات المتحدة الأمريكية	20 أغسطس 2004	وثائقي، تاريخي، حرب	Uncovered: The War on Iraq	103
الولايات المتحدة الأمريكية	25 أبريل 2008	وثائقي، جريمة، حرب	Standard Operating Procedure	104
الولايات المتحدة الأمريكية	13 مارس 2009	وثائقي، حرب	Brothers at War	105
الولايات المتحدة الأمريكية	29 أبريل 2006	وثائقي، حرب	The War Tapes	106
الولايات المتحدة الأمريكية	29 أكتوبر 2004	وثائقي، حرب	Voices of Iraq	107
الولايات المتحدة الأمريكية	18 يونيو 2004	وثائقي	Control Room	108
الولايات المتحدة الأمريكية	2 مايو 2008	خيال، أكشن، مغامرة	Iron Man 1	109
الولايات المتحدة الأمريكية	3 مايو 2013	خيال، أكشن، مغامرة	Iron Man 3	110

فهرس المحتويات

أ	إقرار	1
ب	شكر وتقدير	1
ج	الملخص	1
ز	المقدمة	1
1	الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة	1
1	المبحث الأول: مشكلة الدراسة	1
3	المبحث الثاني: أهمية الدراسة	3
4	المبحث الثالث: أهداف الدراسة	4
4	المبحث الرابع: تساؤلات وفرضيات الدراسة	4
6	المبحث الخامس: منهج الدراسة	6
7	المبحث السادس: الدراسات السابقة	7
11	الفصل الثاني: (الإطار النظري للدراسة) السينما باعتبارها جزءا من عملية الاتصال الجماهيري	11
13	المبحث الأول: السينما تأثيرها ونشأتها	13
17	المبحث الثاني: السينما و تشكيل الوعي لدى المشاهد	17
21	المبحث الثالث: الصورة السينمائية وإشكالاتها	21
21	المطلب الأول: الصورة السينمائية	21
23	المطلب الثاني: القولبة وصناعة الصور النمطية	23
27	المبحث الرابع: وسائل الاتصال والإعلام وتأثيرها في تشكيل الرأي العام	27
33	الفصل الثالث: السينما الأمريكية ومضامينها	33

36	المبحث الأول: هوليوود: محطات هامة.....
42	المبحث الثاني: شركات هوليوود العملاقة.....
44	المبحث الثالث: اليهود في هوليوود.....
48	الفصل الرابع: صورة المسلم في السينما الأمريكية
50	المبحث الأول: دور السينما الأمريكية في تشكيل الصور النمطية.....
53	المبحث الثاني: الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في السينما الأمريكية.....
57	المطلب الأول: أبعاد صياغة الصور النمطية للمسلم.....
60	المطلب الثاني: مسلمون بلا هوية.....
63	المبحث الثالث: مرجعيات صورة الشخصية المسلمة في الغرب.....
63	المطلب الأول: الاستشراق دوافعه وأسبابه.....
65	المطلب الثاني: المسلم في الكتب والمناهج المدرسية الغربية.....
68	المبحث الرابع: الإسلاموفوبيا ودور السينما الأمريكية في التخويف من الإسلام.....
72	الفصل الخامس: مختارات سينمائية أمريكية تناولت الإسلام والمسلمين
72	المبحث الأول: المسلم الهمجي: فيلم كامب إكس راي Camp X-Ray.....
77	المبحث الثاني: المسلم الزائد عن الحاجة: فيلم 2012.....
79	المبحث الثالث: المسلم الثري الشهواني الخسيس: فيلم Taken1.....
82	المبحث الرابع: المسلم الإرهابي ضد الغرب: فيلم المملكة The Kingdom.....
86	المبحث الخامس: مسلم بدائي وبلا مبادئ: فيلم صورة ثلاثية الأبعاد للملك A Hologram for the King.....
90	المبحث السادس: المسلم الإرهابي ضد إسرائيل: فيلم لا تعبت مع زوهان Don't Mess with the Zohan.....
92	المبحث السابع: المسلم الذي يمكن قتله بسهولة: فيلم القناص الأمريكي American Sniper.....

95The Dictator	المبحث الثامن: المسلم الطاغية: فيلم الدكتاتور
97The Stoning of Soraya	المبحث التاسع: المسلم المضطهد للمرأة: فيلم رجم ثريا
100Traitor	المبحث العاشر: المسلم المرضي عنه: فيلم الخائن
104 Civic Duty	المبحث الحادي عشر: المسلم المشتبه به: فيلم واجب وطني
109 Non-stop	المبحث الثاني عشر: المسلم بصورة غير نمطية: فيلم بلا توقف
112	الخاتمة
114	المصادر والمراجع
123	الملحق(1): قائمة الأفلام التي تكررت فيها صورة الإسلام والمسلمين